تقديم إلى الساحة المقدسة للنبي الأكرم صلى الله عليه وآله

التاريخ الثقافي لقبيلة اللعنة (الجزء السادس)
فرسان الهيكل وأسس الماسونية

إسماعيل شفيعي سروستاني

التاريخ الثقافی لقبيلة اللعنة (الجزء السادس)
فرسان الهيكل وأسس الماسونية
المؤلف: إسماعيل شفيعي سروستاني
التنقيح: وحدة البحوث بمؤسسة موعود العصر(عج) الثقافية
الناشر: هلال
الطبعة: الأولى، ٢٠١٩
مكان الإصدار: طهران

عنوان الناشر: صندوق بريد ١٤١٥٥٨٣٤٧
الهاتف: ٨٨٩٤١٢٣٥-٨٨٩٤١٣٣٧ فكس: ٨٨٩٤١٤٠٢
المعرض على الإنترنت: www. yaranshop. ir

الفهرس

المقدمة ٩

مقدمة الجزء السادس ١٧

الفصل الأول: فرسان الهيكل ١٩

القسم الأول: الفروسية ٢١

نشأة الفروسية ٢٣

المسيحية والفروسية ٢٩

الفرسان الأوائل ٣١

الفرق الدينية والعسكرية ٤٥

الفرسان في فلسطين ٤٧

تنظيم الفرسان ٥١

تغيير مهمة فرسان الهيكل ٥٤

النظام التأسيسي لفرسان الهيكل ٥٩

رئيس نظام الفرسان ٦١

الفرسان، رواد الصيرفة ٦٣

عمارة الهيكل وكنائس الهيكل ٦٩

الفرسان والقواعد الباطنية ٧٣

القسم الثاني: الفرسان وأنقاض الهيكل ٥٧
الفرسان والتراث الثمين ٧٧
القبالة، التقرب إلى الشيطان؛ الكنز الكامن في أنقاض هيكل سليمان ٨٣
فرسان الهيكل وإحياء اليهودية ٩٣
القسم الثالث: تجديد حياة فرسان الهيكل ونشأة المحافل الخفية ٩٧
الحركات الإحتجاجية ضد الكنيسة البابوية ٩٩
نهضة الألبي ١٠٠
تعليمات الألب والقداس الأسود ١٠٣
عبادة الشيطان ١٠٥
عصر السحر والتخفي ١١١
مدرسة إسحق لوريا ١١٦
جمعية الصليب الوردي ١١٩
السحر والأعمال الشيطانية ومعارضة الديانة المسيحية ١٢١
جمعية الصليب الوردي، فرسان الهيكل يلتقطون الأنفاس ١٢٣
الفصل الثاني: الماسونية ١٢٧
القسم الأوّل: أسس الماسونية ١٢٩
أول مؤسس للماسونية ١٣١
واجبات وألقاب الجمعية السرية والأدوات والرموز ١٣٧
تنظيم البناؤون الأحرار (الماسونية) ٣٤١
مسقط رأس ومنشأ تنظيم الماسونية ١٤٥
المبدأ الأول، الشكل الظاهر ١٤٩
المبدأ الثاني، الإنطباع الفلسفي ١٥١
أبناء الأرملة ١٥٧
ملخص الآراء ١٦١

الدين الطبيعي ١٦٤
القسم الثاني: الماسونية، التطور والنشأة..... ١٦٩
مؤسسو الجمعيات السرية..... ١٧١
المؤسسون الرئيسيون للمجاميع السرية..... ١٧٣
دور يهود البلاط في إرساء الماسونية..... ١٨١
القسم الثالث: إضفاء الرسمية على الماسونية ١٩٥
إضفاء الرسمية على المحافل الماسونية..... ١٩٧
مراتب ودرجات الماسونية..... ٢٠١
١. الماسونية الرمزية..... ٢٠٥
نص خطاب القسم لأعضاء الماسونية الرمزية ٢١١
٢. الماسونية الملكية..... ٢١٣
خطاب قسم الماسونية الملكية..... ٢١٥
٣. الماسونية الكونية..... ٢١٦
القسم الرابع: الأسس والمبادئ الفكرية والعقائدية للماسونية..... ٢٢١
الأسس العقائدية للماسونية..... ٢٢٣
المبادئ العقائدية الثمانية للماسونية..... ٢٣١
١. المذهب الإنساني، روح إيديولوجيا الماسونية ٢٣٤
٢. الليبرالية..... ٢٤٣
٣. مذهب الإصلاح..... ٢٤٩
٤. التساهل والتسامح..... ٢٥٠
٥. المواطنة العالمية..... ٢٥١
٦. التوحيد الطبيعي ٢٥٢
٧. النزعة اليهودية..... ٢٥٤
٨. الصهيونية..... ٢٥٥

الماسونية وتعاليم الكابالا ٢٥٩
الوجهة النهائية للماسونية..... ٢٦٧
الأسس الفكرية والثقافية للماسونية ٢٧٧
صياغة النظام التأسيسي..... ٢٨٥

المقدمة

التاريخ الثقافي لقبيلة اللعنة

الحمد لله رب العالمين، والتوسل إلى الساحة المقدسة لحضرة رحمة للعالمين **محمّد بن عبد الله**ﷺ. إن الحجر الأساس لهذا العمل الذي عنوانه «التاريخ الثقافي لقبيلة اللعنة» وضع عندما، كان كتاب «التاريخ الثقافي لقبيلة الرحمة»[1] يسلك مراحله الإكمالية. وقد استند المؤلف في ذلك الكتاب إلى المصادر الروائية لاسيما «دعاء الندبة» ليبين المنعطفات التي مرت بها سلسلة الأنبياء والأوصياء الإلهيين وكذلك المنعطفات التي نمر بها حتى نصل إلى اخر محطة، أي تأسيس الدولة الكريمة الطيبة بوصفها آخر حلقة من سلسلة الأولياء والأوصياء الإلهيين. محطة مقدسة وُعد بها وبوركت، وتنطوي في ذاتها على جميع شؤون واعتبار الحكومة الحقة والعالمية للمستضعفين، بحيث أن الله تعالى وعد بتحقيقها في كتابه المبين حيث قال:

«وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ»[2]

---

١. وهذا الكتاب صدر عن إصدارات موعود العصرعجل‌الله‌تعالى‌فرجه‌الشريف.

٢. سورة القصص، الآية ٥. وقال الإمام علي أمير المؤمنينعليه‌السلام في تفسير هذه الآية الشريفة «**إن هؤلاء هم آل محمّد**ﷺ. **إن الله يرسل مهديهم بعد ما تكبدوا من عناء وضغوط ويعزهم ويذل أعداءهم.**»، «التفسير النموذجي»، جمع من الكتاب، ج ١٦، ص ١٨؛ نقلا عن «تفسير نور الثقلين»، ج ٤، ص ١١٠.

ويبدو أنه بموازاة سير وسفر «قبيلة الرحمة» على امتداد التاريخ، فان «قبيلة اللعنة» مضت قدما كتفا بكتف لتؤدي دورها.

إن عنوان «قبيلة اللعنة» هو عنوان عام ينطوي في حد ذاته على مجمل معنى ومفهوم «ائمة الكفر»، ويطلق على جميع الكافرين الذين يدعون الاخرين إلى الكفر والشرك ويمهدون لضلال أبناء آدم. وبما أن ابليس اللعين، هو كبير ومؤسس هذه القبيلة وهو راعيها وحاميها، لذلك أطلق على هذه القبيلة واتباعها مثل «بنو اسرائيل» إسم «قبيلة اللعنة.»

وقد جاء «القرآن الكريم» على ذكر هذه القبيلة بأسماء وتعابير مختلفة بما فيها المستكبرون (سورة سبأ، الآيتان ٣٣-٣٤) وأئمة يدعون إلى النار (سورة القصص، الآية ٤١) وكل أولئك الذين يرتبطون بشكل ما بائمة الكفر وقبيلة اللعنة.

«وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ»[١]

واستنادا إلى القرآن الكريم، فان هذه القبيلة وتابعيها، لا يُنصرون من قبل أي شفيع: **«وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنصَرُونَ»**،[٢] وبما أن الاخرين يتبعونهم في الكفر والمعاصي، فانهم يُحمّلون دوما عبء ذنوب مثل ذنوب أنصارهم، ولذلك ومع استمرار الكفر والمعاصي، فان اللعنة الأبدية ستطالهم.

«وَأُتْبِعْنَاهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُم مِّنَ الْمَقْبُوحِينَ»[٣]

وهذه الطائفة أدت إلى إستضعاف وضلال الناس، بحيث أنها حرفتهم بمجملهم عن صراط الحق وجعلتهم يقاسون في الدنيا والاخرة من التعاسة والخسران.

«وَقَالَ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَن نَّكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَندَادًا وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَجَعَلْنَا

١. سورة القصص، الآية ٤١.
٢. المصدر السابق.
٣. المصدر السابق، الآية ٤٢.

الاَغْلالَ فِى أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ يُجْزَوْنَ إِلاَّ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ»[١]

وفي تقلبات وهبوط وصعود التاريخ، فان أئمة الكفر والضلال، هم الذين يصطفون في مواجهة أئمة الدين وقبيلة الرحمة، وبالرغم من الموقع الزماني والمكاني المختلف، فان كلهم، ستكون لهم روح وروحية ثابتة وبالتالي عاقبة ثابتة أيضا.

وأول شخص من بين جُل الكائنات الانسية والجنية، المتصف بصفة «المستكبر» وبالتالي يستحق اللعنة الإلهية الأبدية، هو **إبليس**، بحيث أن اللّه تعالى قال بشأنه في القرآن الكريم:

«وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائكَة اسْجُدُواْ لـآدَمَ فَسَجَدُواْ إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ»[٢]

وعلى أثر هذا الإستكبار، كان جليا أن يطرد ابليس من رحمة اللّه ويصبح رجيما ولعينا إلى الابد.

«قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ * وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِى إِلَى يَوْمِ الدِّينِ»[٣]

وبعد **إبليس**، يقدم القرآن جميع الذين ينقضون عهد اللّه المتعال ويفسدون في الأرض ويمهدون لضلال الناس، على أنهم من الذين لا ينالون رحمة اللّه، ويعتبرهم من الملعونين، بحيث قال تعالى:

«وَالَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللهِ من بَعْدِ ميثَاقه وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللهُ به أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى الاَرْضِ أُوْلَئكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ»[٤]

وفي الثقافة القرآنية، فان الذين يعرضون عمدا عن الحقائق الواضحة ويتنكرون لها بعدما تبين لهم البينات والهدى، فانهم سيكونون ممن تنالهم لعنة اللّه.

«إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِن بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ

---

١. المصدر السابق، الآية ٣٣.
٢. سورة البقرة، الآية ٣٤.
٣. سورة ص، الآيتان ٧٧-٧٨.
٤. سورة الرعد، الآية ٢٥.

فِي الْكِتَابِ أُوْلَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللاَّعِنُونَ»[١]

وفي الحقيقة، فان هذه الجماعة، وبعد اطلاعها على الحقائق وإتمام الحجة عليها من قبل الأنبياء الإلهيين والحجج السماويين، وبعد مشاهدة أدلة وحجج الكتب السماوية مارست العناد وتصدت لإرادة الباري تعالى، وأبدعت الفساد والضياع والضلال بين الناس وفي الأرض، لذلك إستحقت اللعنة وابتعدت بذلك عن رحمة اللّه.

ويصنف الباري تعالى الفئات الثلاث «الكفار» و «المشركون» و «المنافقون ومن يؤذون اللّه ورسوله» في خانة الملعونين. وفي هذه الأثناء هناك مجموعات وأصناف مختلفة من الناس، يمهد التعرف عليهم وتحديدهم، تجربة وتحديد سائر مصاديق الملعونين المنتشرين على مدى القرون والأعصار.

إن إبليس وفرعون و«اليهود» و «بني‌اسرائيل» و«أصحاب السبت»،[٢]

---

١. سورة البقرة، الآية ١٥٩.

٢. كانت جماعة من طائفة بني‌اسرائيل في عصر النبي **داود**عليه السلام تعيش بالقرب من ساحل «البحر الأحمر» في ميناء «أيلة» («تفسير الكشاف»، ج ١، ص ٣٥٥) وكان عليهم أن يتبعوا مذهب ابائهم واجدادهم وأن يتفرغوا يوم السبت لعبادة ربهم، وكانوا وفقا لدينهم، يحرمون الصيد يوم السبت. وسبب حرمة الصيد في يوم السبت بالنسبة لليهود يعود إلى أن اللّه تعالى طلب من اليهود بواسطة النبي **موسى**عليه السلام أن يكرموا ويعظموا يوم الجمعة، وأن يعرضوا في هذا اليوم عن الامور المادية والدنيوية ويهتموا بالأمور المعنوية والأخروية. لكن اليهود تمردوا على هذا الأمر الإلهي واختاروا الجمعة للعمل والسبت كعطلة، وكانوا يعتبرون السبت أعظم الايام. وبناء على ذلك، فان القهر والغضب الإلهي طالهم وحرم عليهم الصيد يوم السبت. (**المجلسي، محمّدباقر**، «بحار الأنوار»، بيروت، دار احياء التراث العربي، الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ .ق.، ج ١٤، ص ٤٩).

وكان السمك يشكل السلعة الإستراتيجية لهذه المدينة، وكان معظم سكانها يقتاتون على صيد الأسماك. وبما أن اللّه أراد اختبارهم وابتلائهم، فاختبرهم بان تأتي أسماك البحر يوم السبت الذي كان يوم الأمان بأمر وإرادة من اللّه إلى شاطئ البحر وتملأ سطح الماء بحيث كان بوسع الصيادين صيد عدد كبير من الأسماك في فترة زمنية قصيرة وباقل جهد، لكن الأيام الاخرى لم تكن آمنة للأسماك وكانت تبتعد عن ساحل البحر وتغوص في أعماقه، بحيث كان يصعب صيدها: «**إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ**» (سورة الأعراف، الآية ١٦٣).

لكن دافع الجشع والطمع تحرك لديهم وأذكى دأب النهم لدى مذنبي هذه القرية وغفلوا عن أوامر أنبيائهم. ونسوا ما كانوا قد سمعوه وأخذوا يتبادلون الرأي ووجهات النظر وقالوا: لماذا نترك الأسماك في اليوم الذي تظهر فيه بكثرة على سطح الماء وتهرع بأنفسها إلينا، ونصطادها في اليوم التالي الذي تهرب منا؟! ولذلك فقد احتالوا الحيل ليحللوا ما حرم اللّه عليهم، وصنعوا أحواضا وبركا بجانب البحر ليتمكنوا من جمع الأسماك في القنوات والأنهر الصغيرة المتعددة التي تصب في البحر. فانقسم أهل القرية إلى ثلاث فرق:

١. إنضم معظم أهل القرية إلى أصحاب البدعة والمحتالين وتعاونوا وتماشوا معهم؛

و«ناكثي العهد» و«الشـجرة الملعونة»[1] و«المنافقيـن» و«أصحاب الجحيم» والمفسـدين فـي الأرض وبعض آخر من الناس، منخرطون فـي زمرة الملعونين، ونزلت العديد من الآيات بشأنهم.

«**أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللّاعِنُونَ**»[2]

وكأن التيارين الرئيسـيين المتمثلين في«قبيلة الرحمـة» و «قبيلة اللعنة» كانا ساريين في الكون والوجود طوال التاريخ ومنذ خلق **آدم أبي البشر** عليه السلام، وسيستمران حتى تأسـيس الدولة المهدوية الكريمة، وبغير هذين، فان باقي الطوائف، مشت علـى الأرض في ظل انتقاء ودمج تعاليم وسـيرة وسـنة أهالي هاتيـن القبيلتين. وثمة مصاديق متعددة للثقافات والحضارات السـابقة واللاحقة، كل منها، يعرض أوجها من التوجهات والإنطباعات والسنن والتقاليد الرحمانية أو الشيطانية لهاتين

---

٢. وكان ثمة من المؤمنين الذين ترسخ الإيمان في أعماق قلوبهم؛

٣. وثمة من لم يكن لهم موقف والتزموا الحياد.

والفئة الاولى التي كان يزداد عددها يوما بعد يوم، وقفت بوجه الناهين عن المنكر، واعتبرت مكرها ابتكارا وابتداعا وعمـلا جميـلا، وقالت تبريرا لما تقترفه: إننا أطعنا أمر اللّه ولا نصطاد يوم السـبت بـل نصطاد في يوم الأحد. («تفسير البرهان»، ج ٢، ص ٤٢)، وبهذا لم تؤثر نصائح الفرقة المؤمنة عليهم وقررت هذه الفرقة بالتالي الهجرة حتـى لا يطالهـا عذاب اللّه. وفي ليلة الهجرة نزل العذاب الإلهي على الآثمين العاصين: «**فَلَمَّا نَسُـوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ* فَلَمَّا عَتَوْا عَن مَّا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ**» وفي أعقاب هذا الأمر تحول جميع من تبقى في القرية، إلى قردة خاسئين («بحار الأنوار»، ص ٥٦، الرواية ١٣). وأغلقت بوابة قريتهم ولم يكن باسـتطاعة أحد الخروج منها. ومع سـماع هذا الخبر، توافد سكان المدن والقرى الأخرى على هذه القرية، وتفرجوا من على أسوارها، الرجال والنساء المخادعين الذين تحولوا إلى قردة.

وقرر الوعاظ الذين هجروا القرية، العودة إليها. وتوجهوا إلى القردة الذين كانوا يشبهونهم وأصدقائهم وسألوهم: هل أنت فلان؟ وأومأ القرد الذي سئل مصدقا برأسه فيما كان الدمع ينهمر من عينيه. وأرسل اللّه تعالى بعد ثلاثة أيام، الرياح والأمطار العاتية التي أهلكت الجميع ولم يبق أحد ممن مسخوا في تلك القرية. (**عاشوري، زهراء**، «أصحاب السبت»، نامة جامعة، مرداد ١٣٨٥، العدد ٣٢، ص ٤٨، بتصرف وتلخيص).

١. وقد أرى اللّه تعالى، في عالم الرؤيا لنبيه صلى الله عليه وآله الشجرة الملعونة (القوم الملعونون والذين يؤذون النبي وأهل بيته) وجزء من أفعالهم وعندها بيّن لهم بان هذه فتنة. «**وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّـجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ**» واسـتنادا إلى الكثير من الروايات التي رواها أهل السـنة، وكذلك جميع الأحاديث الواردة عن ائمة أهل البيت عليهم السلام، فان المراد من الرؤيا في هذه الآية، هي الرؤيا التي رآها النبي الأكرم صلى الله عليه وآله حول بني أمية وأن الشـجرة الملعونة هي هذه السـلالة والسلسـلة. («تفسـير الميزان»، ج ١٣، صص ١٣٨-١٤٠، توضيحا لآيتي سـورة الأعراف ١٦٢ و ١٦٦؛ وسورة الإسراء، الآية ٦٠).

٢. سورة البقرة، الآية ١٥٩.

الطائفتين.

والمؤسف أن اتساع نطاق وعمق الإنتقائية والإندماج في هذه المجالات الثقافية والحضارية، ضيّق الخناق على إمكانية التعرف على مدى اختلاط كل من المستويات الثقافية والمادية للأمم وعلاقاتها وتعاملاتها مع هذين التيارين المتجذرين الرحماني والشيطاني. ولذلك، يبدو من الصعوبة بمكان التشخيص الشامل للمواقع والتناسب العملي والنظري لسكان الأرض مع المظاهر التامة للرحمة أو اللعنة لعامة الناس، ولابد لعامة سكان الشرق والغرب، أن يواصلوا رحلتهم المحفوفة بالمخاطر على مدار الظن في مشهد التاريخ.

ولا شك أنه في وقت الغربلة الكبرى للوقائع والحوادث المستقبلية وما بعدها في وقت الظهور الأكبر للإمام المبين عجل الله تعالى فرجه الشريف، تحدث إصطفافات دقيقة بين سكان الأرض وكل فئة تنضم إلى المجتمع الذي تنتمي إليه، إلى أن تقوم الدولة الكريمة الموعودة المنزهة عن أي بدع وهرطقات وإعوجاجات.

وسئل الإمام الصادق عليه السلام عن إجراءات الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف، فقال عليه السلام:

«يَصْنَعُ ما صَنعَ رَسولُ الله صلى الله عليه وآله يَهْدمُ ما كانَ قَبْلَهُ كَما هَدمَ رَسولُ الله صلى الله عليه وآله أمْرَ الجَاهليَّة ويَسْتأنفُ الاسْلامَ جَديداً.»[1]

إن هذا الكتاب القائم على إنطباعات وتوجهات الأديان التوحيدية تجاه العالم والانسان والتاريخ، بصدد الإعلان عن أن:

أولا: إن خلق الكون قائم على أساس علم وحكمة الخالق المتعال، وأن الانسان بوصفه أشرف الكائنات، قد خلق بهدف الوصول إلى مقصود ووجهة نبيلة وسامية؛

ثانيا: إن أول انسان أي النبي **آدم ابو البشر** عليه السلام (نعوذ بالله) لم يخلق جاهلا ومليئا بالخرافة والجهل، بل أنه بدأ رحلته في التاريخ بعلم واختيار كافيين وبأعتباره حجة الله؛

---

١. **المجلسي، محمّدباقر**، «بحار الأنوار»، ج ٥٢، ص ٣٥٢.

ثالثا: إن ما حدث لأبناء وأحفاد وأجيال أول انسان على امتداد الثقافات والحضارات وأدى إلى إنحرافهم عن الصراط المستقيم لحضرة الحق (زاخر بالعلم والحكمة ومنزه عن الجهل والخرافة)، هو حصيلة عمل الشيطان وحقده على الإنسان وموقعه ومقامه.

رابعا: إن التفاسير والتحليلات التي قدمها المؤرخون حول الثقافات والحضارات القديمة، هي نتيجة عدم إطلاعهم وغفلتهم عن وجود القوى الماورائية للشياطين الجنية والعلوم الغريبة التي كانت كافة الحضارات والثقافات على علم واطلاع عليها وأصيبت بها.

إن هذه الكائنات المتمردة والحاقدة وانشغال الأمم بالعلوم والفنون المرتبطة بها، أدى إلى إبتعاد وانفصال الثقافات والحضارات عن قبيلة الرحمة (سلالة الأنبياء والأوصياء الإلهيين) وأقحمهم في زمرة قبيلة الملعونين؛

خامسا: وبالتالي فان السلسلة الطويلة لقبيلة اللعنة، استمرت منذ أن جعلها وأبدعها إبليس الرجيم ولحد يومنا هذا، وتسببت في تشكل ونشأة مجموعة «المحافل الخفية والسرية» (أكانت الماسونية أو الإيلومياتية و...).

إن هذه المحافل ورثت جملة تعاليم وتجارب وانطباعات أجدادها، لتتأسى بأول مطرود ورجيم (إبليس وأنصاره بين الشياطين)، وتدخل في مواجهة دائمة مع مختاري قبيلة الرحمة لاسيما حضرة خاتم الأوصياء المهدي الموعود روحي وأرواح العالمين لتراب مقدمه الفداء، وتملأ الأرض ظلمة وعتمة وضياعا، وتقيم عليها الحكم الإستبدادي العالمي.

إن ما تتبناه هذه الرسالة هو:

١. تبيان مبادئ وأسس ومصادر فكر وعمل أهالي قبيلة اللعنة؛

٢. تبيان علم كونيات وعلم عالم معلمي ومروجي توجهات قبيلة اللعنة تجاه الكون والوجود؛

٣. تبيان المنطلق والوجهة النهائية ومسار وطريق هذه القبيلة منذ اليوم الأول

وحتى خاتمة المطاف؛

٤. المنعطفات التي مـــرت وتمر والتالية لهذه القبيلة وحتى الورود إلى الوقت المعلوم الموعود؛

«فإنَّكَ مِنَ المُنْظَرين إلى يَوْمِ الوَقْتِ المَعْلوم»[١]

٥. تبيان مسار التطور التاريخي للمحافل الخفية والأوجه السياسية والإجتماعية لهذه المحافل في الغرب؛

٦. تقديم أشهر المحافل الخفية وصاحبة السلطة المؤثرة في عالم اليوم.

وقد ركز المؤلف جُل اهتمامه لتكون جميع المعطيات والتحليلات مســتندة ومعتمدة على المصادر والمستندات والمراجع الموثوق بها والقابلة للإعتماد.

وأقدم هذا العمل كله إلى أفضل إنسان وأكثرهم تميزا من قبيلة الرحمة، حضرة محمّد بن عبد الله ﷺ، وهو الذي قال اللّه تعالى بشأنه:

«ومَا أرْسَلناكَ إلاّ رَحْمَةً للعالَمين»[٢]

والسلام عليكم ورحمة اللّه وبركاته

إسماعيل شفيعي سروستاني

شتاء ٢٠١٤م.

---

١. سورة الحجر، الآيتان ٣٧-٣٨. وطلب ابليس من اللّه أن يطيل في عمره ويستمر حتى يوم القيامة. واستجاب اللّه طلبه بحياة طويلة، لكنه ومع الإتيان بـ«إلى يوم الوقت المعلوم» رفض استمرارها حتى القيامة، لذلك فان حياة ابليس تنتهي قبل القيامة وفي وقت ظهور **إمام الزمان** عجل الله فرجه الشريف.

٢. سورة الأنبياء، الآية ١٠٧.

مقدمة الجزء السادس

إن ما نعرفه عن المحافل السـرية بصفة عامة والماسـونية بصفة خاصة، أكان في الأسس الفكرية أو الأشكال التنظيمية، هو حصيلة عملية تطور المجاميع البدائية في تاريخ التطورات السياسـية والاقتصادية والثقافية لأوروبا. وبناء على ذلك، فان تقديم تعريف شـامل عن موقع هذه المحافل وأدائهـا واتخاذ موقف منها، رهن بمعرفة مسار التطور التاريخي والثقافي هذا.

إن عامة الباحثين، يعتبرون فرسان الهيكل بوصفهم فرقة عسكرية ودينية للعصور الوسـطى المسـيحية في بحبوحة الحروب الصليبية التي دامت مائتي عام، حجر أساس المحافل الماسونية الجديدة.

وعلى الرغم من أن هذا الفريق من الفرسان وضع أقدامه من حيث يدري أو لا يدري على طريق نشـأة اليهود، لكنه وبسبب الحصول على مجموعة من الوثائق والوعي الغامض والمستتر في أنقاض هيكل «أورشليم» سرعان ما تحول إلى تيار إنطوى في حد ذاته على القدرات الثلاث **المالية** و**العسكرية** و**الفكرية** الغامضة.

وحولت هذه القدرات الثلاث، الفرسـان إلى تيار شمولي في مقابل المجتمع الديني والكنسـي الكاثوليكي. وبالرغم من أن أرباب الكنيسـة بذلوا مع الشعور بالخطر، قصارى جهدهم لإبادة الفرسان، بيد أن التطورات الاجتماعية والسياسية لأوروبا، قوضت سـريعا الوسط الكنسي وسلطة البابا ومهدت لبزوغ نجم الفرسان

ونشأتهم التي اكتنفها الغموض.

إن إستحالة فرسان الهيكل في طور من النمو، أفضى إلى نشوء تيار أطلق عليه إسم «الماسونية».

إن المحافل الماسونية وقبل أن تكون تيارا سياسيا أو اقتصاديا، حملت توجها خاصا نحو العالم والانسان ونظرة عالمية خاصة تسببت بتبلور التاريخ الغربي الحديث.

إن أهمية وضرورة معرفة الأسس النظرية لهذا التيار الغامض والمتخفي، تكمن في أهمية وضرورة معرفة الأسس الفكرية والفلسفية لمؤسسي التاريخ الغربي الحديث. الشيء الذي بقي دائما خافيا على ناقدي المجال الثقافي والحضاري الحديث.

إن هذه المعرفة التي يُستعان بها لإنجاز الدراسات الثقافية الشاملة، ترفد سكان البلاد الإسلامية لدراسة هذا التاريخ وموقفه الخاص من المؤمنين والمستضعفين، وتمكنم من فهم روح وباطن هذا الحقل الثقافي والحضاري والتفكير فيما هم عليه.

إن هذا الكتاب تضاف إليه سائر الأجزاء من مجموعة «قبيلة اللعنة» يسبر غور فصل جديد من الحياة المستميتة لأبناء ابليس الرجيم بالتبني.

والمؤمل أن ينال هذا الجزء، رضا وقبول صاحب القلم الحقيقي الذي يعد وجودنا رهنا بوجوده، بإذن الله تعالى.

آذار/مارس ٢٠١٧م.

إسماعيل شفيعي سروستاني

الفصل الأول

فرسان الهيكل

القسم الأول

الفروسية

نشأة الفروسية

إن «الفارس»[1] هي مفردة فرنسية بالأصل ومأخوذة من إسم الفرس.[2] وما يعادل الفارس في اللغة والأدب الإنجليزي هو Knight وتعني الفارس وهو رجل نبيل المحتد عادة كان الملك يرفعه في العصور الوسطى،[3] في أوروبا إلى رتبة عسكرية خاصة بعد أن يجتاز مرحلة تدريب معينة.

وفي تلك الحقبة، كان بعض الفرسان يتولون قيادة خيالة الجيش. وكان هؤلاء أشخاص شجعان يحققون مفاخر وأمجادا لبلادهم. ولم ينخرط الفرسان بالضرورة في القوات المسلحة. فبعضهم كان من كبار الشخصيات والنبلاء والأثرياء ورجال الدين والكهنوت.

وفضلا عن ذلك، كانت الكنيسة الكاثوليكية (الفاتيكان) تمنح هذا اللقب لبعض كبار الزوار الأوروبيين ممن كانوا يتحملون أعباء الرحلة الشاقة من أوروبا إلى «أورشليم» لزيارة كنيسة «القبر المقدس» في هذه المدينة.[4]

ويجب اعتبار «الفروسية»، «مدونة سلوك» راجت بين مقاتلي وفرسان

---

1. Chevalier.
2. Cheval

٣. العصور الوسطى أو القرون الوسطى (Middle Ages) هي التسمية التي تطلق على واحد من التقسيمات الأربعة في التاريخ الأوروبي. وبدأت العصور الوسطى منذ انهيار الإمبراطورية الرومانية في القرن الخامس للميلاد وامتدت حتى سقوط «القسطنطينية» ونهاية عصر الإمبراطورية الرومانية الشرقية في عام ١٤٥٣ الميلادي.

٤. ويكيبيديا، الموسوعة الحرة، نقلا عن «موسوعة بريتانيكا».

العصور الوسطى. وبناء على ذلك، يمكن إعتبار الفروسية بانها على صلة وثيقة بالجوهر الثقافي والديني لأوروبا العصور الوسطى.

ويقول **ويل ديورانت** في هذا الخصوص:

ومن التقاليد العريقة للمبادرة العسكرية للجرمان، والمتلازمة لنفوذ الساراكينوس فى ايران وسورية واسبانيا وكذلك التصورات المسيحية حول الإنتماء والطقوس الدينية أن الفروسية هذه الظاهرة المنقوصة، لكن الشهمة، نضجت ونمت وبلغت طور الكمال.[١]

وكانت الفروسية التيار الوحيد الذي يربط التربية البدنية والتقاليد الأخلاقية لأوروبا العصور الوسطى معا، ويهيئ بوصفه التيار التربوي الفريد، الأشخاص المنتخبين للتواجد في ميادين القتال للنظام الإقطاعي الأوروبي، وكما يشير ويل ديورانت، فان هذا التيار لا يضرب بجذوره في البنية الثقافية لأوروبا، لكنه تأثر تدريجيا بالعلاقات الثقافية للغرب واتسم بتقاليد تلك المنطقة، بحيث تعرف الفروسية كأسلوب للتربية البدينة وبالأحرى تنشئة خاصة للشبان المختارين.[٢]

ويمكن في الحقيقة إعتبار عصر الفروسية، العصر البارز لأوروبا الغربية في العصور الوسطى.

وبينما تعود جذور الفروسية إلى القرنين التاسع والعاشر للميلاد، فان هذا الأسلوب نشأ ونما فى القرنين الثانى عشر والثالث عشر وقبل زوال العصور الوسطى. وعلى أى حال، فان الفروسية واصلت حياتها فى إطار سلوكيات النبلاء والطبقات العليا للمجتمع فى عصر النهضة.

وأصبح هذا اللقب منسوخا اليوم فى معظم المجتمعات الأوروبية ما عدا بريطانيا، ولا ينطوى على أى معنى رسمى أو إدارى. ويتم اليوم منح هذه الرتبة من قبل حاكم بريطانيا كوسام للعزة الوطنية للأناس الذين يحققون

١. **ديورانت، ويل**، «قصةالحضارة»، عصر الإيمان، ج ١، ص ٧٤٢.

٢. ولمزيد من المعلومات حول التربية البدنية في الغرب، راجع كتاب «قصة الرياضة في الغرب» وهو من تأليفي وصدر عن دار «هلال» للنشر عام ٢٠١٠م.

مفاخر ومكاسب خارقة لبريطانيا والعالم. وفضلا عن ذلك، فان وسام الإستحقاق الوطنى بدرجة فارس[1] هو جائزة فرنسية أسسها الجنرال شارل ديغول فى الثالث من ديسمبر ١٩٦٣م. ويتم منح هذا الوسام لجميع العسكريين (الناشطين وغير الناشطين) والمواطنين المدنيين (الأوروبيين وغير الأوروبيين) ممن يستحقونه.[2]

وإضافة إلى ذلك، فان عددا من المنظمات السرية بما فيها فرقة «قبر أورشليم المقدس» كانت تطلق لقب «الفارس» على أعضائها.

وقد تطورت الفروسية في العصور الوسطى في ظل عاملين أساسيين. أولهما: **الخيالة** التي انبثقت من هجمات الغزاة الخيالة والثاني **النظام الإقطاعي**،[3] الذين كان نظاما سياسيا عسكريا عمل على تنظيم العلاقة بين النخبة من المجتمع الاوروبي.

وكان الإقطاعيون الكبار بحاجة إلى الفرسان من أجل حماية وحراسة ممتلكاتهم وكذلك صد الهجمات المحتملة، كما كان الفرسان هم الاخرون بحاجة إلى الأرض من أجل كسب الرزق والمال.

---

1. Order National Domer.

٢. وقد تقلد هذا الوسام لحد الان من ايران كل من **محمود حسابي** (مؤسس الفيزياء والهندسة الحديثة في ايران) و**عباس كيارستمي** (مخرج سينمائي) و**بري صابري** (مخرجة مسرح) و**جلال ستاري** (عالم أساطير) و**محمد علي سبانلو** (شاعر) و**شهرام ناظري** و**محمد رضا شجريان** (موسيقيان) و**ليلى حاتمي** (ممثلة سينمائية) و**كامبيز درمبخش** (رسام كاريكاتير). وإلى جانب هذا الوسام، هناك «وسام الإستحقاق الوطني الفرنسي بدرجة ضابط» وهو أرفع من درجة فارس. وقد منح لحد الآن لأ**صغر فرهادي** (مخرج سينمائي) و**علي رضا سميع اذر** والبروفيسور **ناصر دارابي**. (ويكيبيديا، الموسوعة الحرة).

٣. وكان نظام الإقطاع نظاما اقتصاديا واجتماعيا خاصا عم أوروبا في العصور الوسطى. وتم تقسيم تاريخ أوروبا إلى أربعة عصور: «العصر الكلاسيكي القديم» و «العصور الوسطى» و «عصر النهضة» و «العصر الحديث» الذي بدأ منذ العام ١٦٠٠ للميلاد.

والإقطاع مأخوذ لغويا من كلمة «فيو» وتعنى الإقطاعة أو الأرض المقطعة، والإقطاعية هي في الحقيقة نوع من ملكية الأرض. وفي هذا النظام، كان يعهد كل قسم من الأراضي الكبيرة في البلاد لأحد الإقطاعيين النبلاء، وتمنح له عادة من قبل الملك أو كبار الملاك الذين كانوا يسمون «السينيور». وكان النبلاء الإقطاعيون وفضلا عن إمتلاكهم الأرض، يملكون عددا من العبيد والمحاربين الذين كانوا يخدمون الإقطاعية أو يحاربون من أجلها عند الضرورة.

وقام نظام الإقطاع في أوروبا الغربية على أنقاض نظام الرق في «روما» والذي انهار في القرن الخامس عشر للميلاد ومنشأ القبائل التي ساهمت من خلال هجماتها في زوال وانهيار هذا النظام. وبذلك وبعد الإستيلاء على الأراضي، قام رؤساء القبائل والملوك بتأسيس النظام الإقطاعي من خلال تقسيم الأرض.

وكان اتفـاق غير مكتـوب ينظم العلاقة بيـن الملك والأسـياد الاقطاعيين (اللوردات) من جهة وفرسـانهم من جهـة أخرى. وكان على الفارس أن يخصص أياما خاصة للخدمة العسـكرية لقاء الارض التي تسـلمها وأصبح الان في كنف حماية الملك (أو اللورد). كما كان يتوقع من فارس ما أن يحارب ببسالة من أجل سيده وأن يبقى وفيا له. وأرست البسالة والوفاء أساس ما عرف لاحقا بالفروسية.

وعلى امتداد السـنوات التي تلت ذلك، أثرت المسـيحية وحب البلاط على النظام التأسيسـي للفروسية. وهذه الآثار كانت تنطوي على الزهد الديني وتهذيب السلوك والعادات. وكان النظام التأسيسي الجديد يمنع الفرسان من الإعتداء على الأشخاص العزل، وكان الفارس المثالي هو الإنسان الذي يحارب ن أجل الشرف والمسـيحية، لا للمصالح الشـخصية. لكن على أرض الواقع كان معظم الفرسان يواصلون عملهم لنيل المصالح المادية التي كانوا يسـتطيعون اكتسابها من خلال رهينة ما أو سرقة حصان.[١]

وقـد أفرد ويل ديورانت في كتابه «قصة الحضارة» قسـما للفروسـية خلال إلقائـه الضوء على الإقطاع الذي كان يسـود أوروبا للأعوام الواقعة بين ٦٠٠ إلى ١٢٠٠ للميـلاد. وقـد أتى على ذكر الشـروط التي كان يجـب على فارس ما أن يكتسـبها لكي ينال منصب الفارس، وتطرق إلـى الفصلين النظري والتطبيقي لطقوس الفروسية وقال:

وفـي العالم النظرى، كان علـى الفارس أن يكون بطلا ونبيلا وشـهما. وقامت الكنيسـة بإخضاع مؤسسة الفرسان لسلسلة من الأحلاف واليمين والآداب الدينية فى سـبيل ترويض الحيوانات المتوحشة التى تسير على قدمين. وكان الفارس يتعهد ألا ينطق إلى بالصدق وأن يدافع عن حقوق الكنيسـة وينهض لحماية الضعفاء وأن يقيم السـلام والصلح فى منطقته

١. **سورغل، فيليب ام.**، «موسوعة إنكارتا»، ترجمة **رضا كياني موحّد**:
www.wars-and-history.mihanblog.com/post/392

ويتعقب ويطارد جماعة الكفار.[١]

لكن هذا الباحث في تاريخ الحضارة، أي **ويل ديورانت** يقول:

لكن ما قيل لحد الان حول الفروسية، كان يتسم بطابع نظرى. وكان الفرسان الذين يتصرفون وفقا للقواعد النبيلة بعدد أصابع اليد، مثلما أن عددا محدودا من المسيحيين فحسب استطاعوا نيل المناصب السامية التى كانت مخصصة للمؤمنين المسيحيين المتفانين، لكن الطبيعة الحيوانية للانسان، شوهت هذه المثالية كما غيرها. ذلك البطل الذى كان يشارك ذات يوم ببسالة فى تورنوا أو القتال، قد يتحول فى اليوم التالى إلى مجرم فاقد للإيمان. وكان قد يفتخر بشرفه كما يفتخر بريشته التزيينية وأن يدمر كـ«لانسلو» و «تريسترم» وفرسان أكثر أصالة من هذين الإثنين، عوائل أصيلة بسبب الزنا، كما كان من الممكن أن يتحدث عن حماية الضعفاء، وفى الوقت ذاته يقتل مزراعين عزل بالسيف. وكان ينظر إلى الكادح الذى كون بطولته هو تأسيسا على جهده وكدحه بنظرة دونية، ويتعامل مرارا وتكرارا مع إمرأة أقسم أن يحميها ويكرمها، بعنف تارة وبشكل متوحش تارة أخرى. وهكذا إنسان، كان يشارك فى حفل القداس صباحا، وينهب كنيسة فى بعد ظهر ذلك اليوم ويسكر فى الليل حتى الثمالة بحيث لم يتوان عن ممارسة الفسق والفجور. ويصف «غيلداس» الذى كان يعيش بين فرسان القرن السادس فى بريطانيا – ذلك القرن الذى صنع بعض الشعراء ملحمة فى مديح آرثور، تلك الشريحة الشهيرة من الفرسان – ممارساتهم هكذا:

إن كتابات المؤرخ والشاعر الفرنسى «جان فرواسار» مليئة بالسلوكيات العنيفة والخيانية لهذا القبيل من الفرسان الذين كانت أقوالهم زاخرة بالوفاء والعدل، وبينما كان الشعراء الألمان يتغزلون شعرا بالفرسان، كان

١. **ديورانت، ويل**، «قصة الحضارة»، ج ٤ (عصر الإيمان)، صص ٧٤٢-٧٤٥.

الفرسان الألمان ينهمكون فى الملاكمة وإضرام النيران ونهب أموال المسافرين الأبرياء فى الشوارع العامة. وكان «الساراسون» قد إنتابتهم الحيرة والذهول خلال الحروب الصليبية من توحش وظلم الفرسان. وحتى أن «يوهموند» الفارس الكبير، ومن أجل إبراز كراهيته لإمبراطور اليونان، أرسل إليه شحنة من أصابع الإبهام والأنوف المقطوعة. وهؤلاء الأفراد، كانوا يشاهدون بوفرة رغم ندرتهم. وطبعا فان من العبث أن يتوقع المرء العصمة من الجنود...

إن هؤلاء الفرسان العنيفين، رحلوا «الموريون» إلى «غرناطة». ودحروا «السلاف» من نهر «أودر» وطردوا «المجر» من «ايطاليا» و«المانيا». وكان هؤلاء قد روضوا «النورسيين» وحولوهم إلى «النورمان»، ونقلوا برؤوس سيوفهم الحضارة الفرنسية إلى بريطانيا. وكان هؤلاء هم القوم الذين كان يجب أن يكونوا كما كانت طبيعتهم.[١]

وكان أصحاب هذه الصفات يغتنمون فرصة التواجد في الشرق ليقترفوا أي جريمة تحت ذريعة الذود عن المسيحية وتنفيذ أوامر الكنيسة.

١. **ديورانت، ويل**، «قصة الحضارة»، ج ٤ (عصر الإيمان)، ص ٧٤٦.

المسيحية والفروسية

وبالرغم من أن مطلع العصور الوسطى كان بالنسبة للأوروبيين، حقبة اتسمت بعدم النظام وحفلت بالصراعات، لكن عصرا جديدا مستقرا بدأ فى القرن الحادى عشر (بعد زهاء ستة قرون). فقد انتعشت التجارة مجددا وظهرت مدن جديدة. وفى هذه الحقبة السلمية نسبيا، سعت الكنيسة لإستخدام الروح القتالية لدى النخبة الإقطاعية.

فعلى سبيل المثال، قام أعضاء الكنيسة فى القرن الحادى عشر بزيارة المناطق المختلفة وروجوا لفعاليات مثل «السلام لله والحرب لله». وكان «السلام لله» يمنع الفرسان من الإعتداء على العبيد والنساء والقساوسة والتجار، لكن «الحرب لله» كانت تحظر القتال فى ايام الأحد وباقى الأيام المقدسة. ورغم أن الكنيسة لم تكن تملك السلطة لإرغامهم على الرضوخ لمطالبها، لكن هذه الفعاليات أرست لقيم جديدة، ألقت بظلال من الشك على جميع حروب القرنين التاسع والعاشر.

وكانت المسيحية قد أثرت على الفروسية عن طريق الحروب الصليبية. وكان الصليبيون على هيئة مجموعات حربية أدوا اليمين مع الفرسان المسيحيين لكى ينتزعوا فلسطين من أيدى المسلمين.

وعلى الرغم من أن الكثير من الفرسان كانوا بصدد تحقيق المصالح

المادية والإفتخارات العسكرية أو المغامرات، لكن العديد منهم إنضموا إلى الصليبيين بدافع الميول الدينية. ويمكن مشاهدة الحماسة الدينية للصليبيين فى الأصناف العسكرية والدينية بما فيها «فرسان الهيكل» و«فرسان التيوتون» و«فرسان التمريض». وكان أعضاء هذه الأصناف يبرمون عهدا دينيا ويتعاهدون لإستعادة الأرض المقدسة.[١]

١. **سروغل، فيليب ام.**، «موسوعة إنكارتا»، ترجمة **رضا كياني موحّد:**
www.wars-and-history.mihanblog.com/post/392

الفرسان الأوائل

ويقول مؤلف كتاب «معمارو الخداع» حول منابع فرسان الهيكل:

إن تسعة (وفى الحقيقة أحد عشر) فرسان أوائل كانوا ينتمون إلى عائلة يمكن تتبعها حتى «دغوبرت الثانى» ملك «مروفينجين» الذى قتل فى ٢٣ ديسمبر ٦٧٩ للميلاد. وكان المؤرخون الكاثوليك ينكرون حتى أواسط القرن السابع عشر، وجود دغوبرت. والعضو الاخر لهذه الأسرة، كان الشخص الذى سافر بصحبة «فرسان الهيكل» إلى «الأرض المقدسة» وأصبح بعد فتحها مجددا، ملك «أورشليم»، أى «بالدوين الأول» (الأخ الصغير ل غادوفروى دو بوليلون، أول أستاذ اعظم لنظام صهيون). ومن ثم أمسك إبن عمه «بالدوين الثانى» بالسلطة وأوجد فى قصره مقرا للفرسان.

وقد انتقلت على الأرجح كمية من غنائم أورشليم (بما فيها الكأس المقدسة) وكذلك الوثائق السرية إلى جنوب فرنسا عام ٤١٠ للميلاد وذلك عندما نهبت «روما» على يد الفيزغوت.

وفى نهاية القرن الخامس الميلادى، فتحت عائلة مروفينجين، مساحة شاسعة من فرنسا الحالية وحولتها إلى أمة واحدة. وشكلت أول سلالة ملكية فى فرنسا، واستمرت هذه السلالة على النقيض من كل المزاعم.

وكتب «مايكل بينجنت» و «ريتشـارد لى» و «هنـرى لينكن» فى هذا الخصوص فى كتابهم «الدماء المقدسة والكأس المقدسة»،[1] أنهم يظنون أن فرسـان الهيكل الذين انطلقوا فى تلك الفترة بإتجاه أورشـليم، كانوا يملكون معلومات دقيقة عن «هيكل سليمان».

وثمـة علاقة بين المروونجين ويهود «بنيامين». وتحول جنوب فرنسـا إلى مكان لإقامة العديد من اليهود. وقد سكن اليهود فى منطقة تمتد من «بيرنه» حتى مدخل «نهر رون» لاسـيما المنطقة المحيطة ب «ناربون». وهذه المنطقة كانت بتصرف العرب سابقا.

وفـى عام ١١٢٨ للميلاد، عادت أول مجموعة من إخوان الفرسـان إلى بلادهـم، والتقوا هناك البابا «هورنوريوس الثانـى» و «برنارد كلروو» زعيـم إحدى الجمعيات. وكان «فرسـان الهيـكل» معروفين لدى القادة الدينيين الذين شـكلوا فى تلك السـنة مجلسا فى فرنسا، رغم أن كلهم كان يعرف أن الفرسان هم كفار سيئو الجبلة وناهبون ومجرمون وأفاقون وزناة.

وفى هذه الحقبة، تحول برنارد إلى حارس لهم وأصبح ثريا للغاية. وكان لـه ضلع فى بناء وتمويل ٩٠ صومعة و ٨ كنائس. وكان يخدم فرسـان الهيكل بتشوق وحماسة ووضع كتيب عنهم عام ١١٣٥ للميلاد.

وبدأ فى عام ١١٣٤ للميلاد العمل على أكبر كنيسـة فى العالم باسلوب غوتيـك فى «شـارترز» وبإيعاز من برنارد. ولم يكـن لعمارة غوتيك مثيل فى السـابق وأذهـل العالم. وكان البعض يظن أن فرسـان الهيكل، عثروا على وثائق حول عمارة هيكل سـليمان. ويشـير الماسونيون دائما إلى تشييد الهيكل ومعمار أسطورى يدعى «هيرام ابيف».

وأطلق الأسـتاذ الأعظم على جمعية فرسان الهيكل، إسم منفذى المسيح

1. The holy Blood and The Holy Grail.

والكنيسة الشرعيين وأجاز لهم حمل السلاح. فيما أعفى البابا، أشقاء الهيكل من إثم القتل. وكانت الجمعية تعاقب عقابا قاسيا كل من الأعضاء الذين ينتهكون قوانين الهيكل.

وكانت علامة فرسان الهيكل عبارة عن حصان وفارسين، رمز الفقر والأخوة، لكن علامتهم الاخرى كانت الجمجمة وعظمين. فهل كان هذا شاهد على كونهم عديمى الخطر؟

وكان فرسان الهيكل أتباع ديانة «ميترا» ويسعون للإستيلاء على السلطة فى أوروبا. وكان استخدام العلائم السرية جزء من مؤامراتهم.[١]

وطرح **محمّد عبدالله عنان** فرضية أخرى واعتبر أن الفرسان ينتسبون إلى اليهودية وكتب يقول:

وانتشرت فى منتصف القرن التاسع عشر نظرية جديدة حول ديانة «فرسان الهيكل» وخلاصتها هى أن الفرسان من دعاة الشرق، تعلموا نظرية اليهودية المنسوبة إلى القديس يوحنا الرسول (سنت يوحنا من حوارىى المسيح) وبذلك تخلوا عن دين القديس بطر (سنت بطر) وتحولوا إلى اليوحنائية.

وتعود هذه النظرية إلى رواية نقلت فى مطلع القرن التاسع عشر فى كتابين حول جمعية الفرسان. وقد تطرق هذان الكتابان إلى جمعية تدعى «جمعية الهيكل» وزعما أنها تنتسب مباشرة إلى تلك الجمعية الأولى. كما ورد فى هذين الكتابين إن جمعية الهيكل لم تحل البتة بل كانت قائمة فى القرون والأعصار منذ عهد «جاك دو مولاى». وقبل أن يقتل جاك دو مولاى عين جاك دلارمينى محله فى منصب الأستاذ الأعظم، ومذاك عمل الأساتذة الأعظمون فى مناصبهم بلا انقطاع حتى نهاية القرن الثامن عشر. وثم حلت الجمعية لعدة سنوات، لكنها تشكلت مجددا

١. **لينا، جورى**، «مهندسو الخداع والتاريخ الخفي للماسونية»، الفصل الأول، ترجمة **فاطمة شفيعي سروستاني**.

عام ١٨٠٤ للميلاد برئاسة الأستاذ الأعظم «فابرى بالابرا». وتضمن أحد الكتابين، نسخة عن وثيقة أو عهد من أرشيف الجمعية السرية، يذكر فيه أصل الجمعية وكيف تأسست ويوضح أن الدوك «دبايان» الأستاذ الأعظم الأول للفرسان إعتمد نظرية «الكنيسة الأولية للنصرانية» عام ١١١٨ للميلاد أى سنة تأسيس الجمعية وكان كبير أساقفتها منتسبا مباشرة إلى «القديس يوحنا». ويقول فابرى بالابرا فى كتابه:

«إن النظرية السرية لفرسان الهيكل، كانت تعارض بلا شك تعليمات أو برنامج كنيسة روما، بحيث يمكن القول أن نشاط جهاز البابا فى تعقب وقمع الفرسان، جاء أصلا لهذا الغرض» وينقل التقرير التالى عن عمل هذه الجمعية:

«وفى عام ١٣٠٧ للميلاد، أخفى الفرسان كتبهم ووثائقهم السرية عن أعين الحكام وخزونها فى مخابئ آمنة وبقيت محفوظة حتى هذا العصر (مطلع القرن التاسع عشر) وقد تيقنا اليوم أن الفرسان كانوا يجيزون إختبارات وفحوصات دينية وأخلاقية عدة للأعضاء، قبل أن يصلوا المراتب المختلفة للإنتماء للجمعية، فمثلا كانوا يأمرون المبتدئ بان يسحق الصليب أو أن يعبد الوثن وإن لم يعبد، فانه سيعدم. وإن كان المبتدئ يصاب بالخوف والرعب وهو ما كان مطلوبا أن يحصل لديه، لم يعتبروه يستحق نيل المراتب العليا، ويمكن لنا أن نتخيل كيف أن البشر أضعف وأدنى أخلاقيا من أن يجيز هذه الإختبارات. واتهم الفرسان بذلك بارتكاب هذه الممارسات الشنيعة واتباع التعليمات الخرافية.

إن لون هذا الإلحاد الذى تلون به مذهب جمعية الهيكل، ليكن مهما يكن، لكن الشئ الذى لا شك فيه هو أن الجمعية كانت هدامة وتعمل فى الخفاء لسحق المعتقدات الدينية واستئصالها كلها من الجذور، وقد نفذ هذا الشئ رغم التباينات الدينية ورغم الصبغة الدينية التى اتسمت بها

فى بادئ الأمر، وفى الوقت ذاته حيث كانت تعمل الإسماعيلية فى الشرق لسحق المعتقدات الدينية والأخلاقية للإسلام، كان فرسان الهيكل يعملون فى الغرب لسحق التعاليم النصرانية ومحو التقاليد والسنن والعادات.[١]

وقد نسب بعض المؤرخين، أداء «فرسان الهيكل» فيما يخص إنتهاك حرمة الصليب وإنكار ألوهية المسيح، إلى التعاليم الدينية الاسلامية في الشرق، واعتبروه ممارسة إحتجاجية بشكل ما ضد الأرباب. وأرجع هؤلاء سبب زوال تنظيم الفرسان في مطلع القرن الرابع عشر (١٣١٠م.) وفي «فرنسا» بالذات إلى هذا الشئ.

ويتطرق **محمّد عبد الله عنان** في كتابه «تاريخ الجمعيات السرية والحركات الهدامة» إلى هذا الشئ، لكن أيا من المؤرخين لا يستطيعون توجيه إتهامات مثل الإشتغال بالعلوم الباطنية والخفية والممارسات الشنيعة إلى المسلمين. إن توسع واستمرار هذه الممارسات بين أتباع ومجددي مذهب فرسان الهيكل، مؤشر على الجانب الثاني لأدائهم.

ويشير **اسماعيل رائين** إلى كيفية عمل «جمعية الصليب الوردي» ويقول:

وانهمكت هذه المجموعات تحت مسمى السحر بصناعة العقاقير السامة والكيمياء فى قلب الغابات والأحراش ووسط الكهوف وحتى فى ظل بعض الفرسان والأبطال. وكانت نهضتهم فى الحقيقة معادية لكل المعتقدات الدينية والمدنية السائدة فى عصرهم وحتى أنهم أوجدوا بالتقليد العكسى لطقوس القساوسة، تقاليد باسم التقرب إلى الشيطان، إذ ألقت رعبا وخوفا فى القلوب، وباختصار، اقترفوا جرائم على مدى قرنين أو ثلاثة، بيضوا فيها وجود القساوسة المتعنتين والمتصلبين.[٢]

إن التقرب إلى الشيطان، عن طريق السحر والتعاليم القبالية الغريبة، هو ذلك الكنز الثمين والخفي الذي حصل عليه «فرسان الهيكل» تحت أنقاض «هيكل

١. **عنان، محمّد عبدالله**، «تاريخ الجمعيات السرية والحركات الهدامة»، صص ٧٦-٧٧.
٢. **رائين، اسماعيل**، «الماسونية في ايران»، ج ١، صص ٢٦٨-٢٦٩.

سليمان».

وبالرغم من خبراتهم الكبيرة التي اكتسبوها جراء التقلبات الرهيبة، فان فرسان الهيكل لم يكفوا عن نشاطاتهم، بل واصلوا عملهم في السرّ، وظهر أساتذة أعظمون واحدا تلو الاخر بعد إعدام رئيسهم وزعيمهم **جاك دو مولاي**.

ويقول **منصور عبدالحكيم** في هذا الخصوص:

وكان جاك دو مولاى قد اختار قبل مقتله، جاك دلارمينى كنائب له والأستاذ الأعظم. وقد واصلت هذه المجموعة نشاطها حتى القرن التاسع عشر. وبعد ذلكن تم حل هذه المجموعة والجمعية لعدة سنوات، ومن ثم استأنفت نشاطها فى مطلع القرن التاسع عشر فى عام ١٨٠٤ للميلاد برئاسة فابرى بالابرا، وما فتئت أن بقيت على كفرها، وكانت «الكنيسة الروسية» تعتبرهم كفارا.

ويقول **فابرى بالابرا**، في كتابه حول «فرسان الهيكل»:

ومما لا شك فيه، فان رؤاهم السرية والخفية ومعتقداتهم الحقيقية، كانت تعارض تعاليم الكنيسة الرومانية، وأن تشدد البابا وتعقبهم، يجب إعتباره ناجما عن هذا السبب.

ولم يتم حل جمعية فرسان الهيكل إطلاقا، ورغم أنها قامت بتقييد وتقليص نشاطها، لكنها لم تعطل عملها أبدا على مدى العصور المختلفة.[١]

إن الكثير من القرائن تبرهن أن «فرسان الهيكل» إنهمكوا في رحلتهم الطويلة إلى أورشليم واستقرارهم في أنقاض الهيكل وبعد تخليهم عن المسيحية، بتنفيذ الطقوس السحرية، ونقلوا تلك الطقوس إلى الأجيال اللاحقة كـ«سرّ ورمز».

ويقول **هارون يحيى** بعد إنسحابه من جمهور الناقدين لـ«المحافل الماسونية» وانضمامه إلى المحفل:

وقد توصل الكثير من الباحثين إلى نتيجة مؤداها أن هذا السر يتصل

١. **عبدالحكيم، منصور**، «حكومة العالم الخفية»، ص ١١٠.

بالقبالــة. على ســبيل المثال، يقدم الفرنســي اليفــس ليفى[1] مؤلف كتاب «تاريخ الســحر» أدلة تفضيلية ويبرهن أن فرسان الهيكل خطو الخطوات الاولــى فى تقبل تعاليم القبالة، بعبارة أخرى، فقد تعلم هؤلاء هذه التعاليم بصورة ســرية. لذلك فان مبادئ «مصر القديــم» المتجذرة إنتقلت الى فرسان الهيكل بمدد القبالة.[2]

وقد أبــرز الروائى الايطالى الشــهير أمبرتــو ايكو هــذه الحقائق [تأثر الفرســان بالقبالــة] فى إحــدى رواياتــه. ويبين فى روايته على لســان الشــخصية الرئيســية أن فرســان الهيكل وقعوا تحت أثر القبالة وكانوا قباليــن أصحاب رمــز يمكن تتبعه لدى فراعنة مصر القديمة. وحســب ايكو فان بعض اليهود، تعلموا الرموز الخاصة ومن ثم أدرجوها فى كتب العهد العتيق الخمسة (الوثائق الخمس)، لكن القباليين وحدهم يفهمون هذا الرمز الذى انتقل سرا...

وبعد أن بين ايكو أن القباليين قادرون على قراءة ســر مصر القديمة فى القياسات الهندسية لـ«هيكل سليمان»، يقول:

لقد تعلم فرسان المعبد هذا من حاخامات «أورشليم» القباليين.

وكان عدد ضئيل من الحاخامات الذين بقوا فى فلسطين على علم بالسر... وتعلمه لاحقا فرسان الهيكل منهم.

وقد تنافر فرسان الهيكل مع المؤسسة المسيحية الحاكمة فى أوروبا بعد قبولهــم مفاهيم القبالــة بطبيعة الحال. وكان هذا التنافر مشــتركا مع قوة مهمة أخرى ألا وهى «اليهود».[3]

ويشــرح **عبد الله شــهبازي** في الجــزء الرابع من كتاب «حكومــة أثرياء اليهود والفرس» وهو يسبر أغوار الماســونية، الرؤية التي ترى أن تراث الصليبيين وطريقة

1. Eliphas Levi

٢. **يحيى، هارون**، «فرسان الهيكل، الأسس النظرية للماسونية العالمية»، ص ٥١.

٣. المصدر السابق، صص ٥١-٥٢.

فرسان الهيكل تشكل أساس النشأة الهيكلية للماسونية ويبين حلقات الترابط بين «فرسان الهيكل» و «الأوليغارشية اليهودية» ويقول:

والنقطة المهمة الاخرى، هى ماضى وتقاليد تواصل فرسان الهيكل مع الأوليغارشية اليهودية. وفى الحقيقة فان هذه هى حلقة التواصل المباشر الوحيدة القادرة على ربط ووصل الفرقة الصليبية آنفة الذكر بماسونية القرن الثامن عشر. بينما كانت فرقة فرسان الهيكل قد زالت حسب الظاهر وبصورة رسمية منذ حلها على يد البابا «كلمنت الخامس» (١٣١٢م.) وإعدام أستاذها الأعظم جاك دو مولاى (١٣١٤م.)،[1] وعلى النقيض من سائر الفرق الصليبية، لم يكن أى من البلاطات الأوروبية يعتبر نفسه وريثا ومتوليا لها. ويمكن الوقوف عند النقاط التالية فى هذا الكتاب: وألقى فيليب الرابع ملك فرنسا (١٢٨٥-١٣١٤م.) القبض على الصرافين والمرابين اليهود والايطاليين عام ١٣٠٦ للميلاد وطردهم من فرنسا[2] وبعد فترة وجيزة (١٣٠٧م.) أقدم على اعتقال وقمع فرسان الهيكل. وفى هذه الفترة، كان فرسان الهيكل قد بنوا ثروة طائلة بحيث كانوا يعتبرون بمنزلة «بنوك الملوك»[3] وكانوا يتصرفون منذ حقبة الحروب الصليبية كـ«الوكلاء الماليين للبلاط الفرنسى».[4] ويجب تقييم الحادثين آنفى

---

1. Jacues de Molay (1243-1314)

وقد التحق **جاك دو مولاي** بفرقة فرسان الهيكل عام ١٢٦٥ للميلاد وأوفد إلى جبهة «فلسطين» واشتهر في الحرب. ومع سقوط «عكا» (١٢٩١م.) استقر برفقة سائر الفرسان الصليبيين في «قبرص» وانتخب أستاذا أعظم للفرقة عام ١٢٩٨ الميلاد.

وألقى القبض على دو مولاي وجميع مرافقيه نحو عام ١٣٠٦ للميلاد بايعاز من **فيليب الرابع**. وفي عام ١٣١٢ للميلاد أصدر البابا **كلمنت الخامس** أمرا بحل الفرقة. وفي مارس ١٣١٤ للميلاد، أدان مجلس من الكردينالات، دو مولاي وسائر قادة الفرقة بالموت وأحرقوا جميعا في باريس.

2. Judaica, Vol 16, p1284: Philip VI (of France). Microsoft Encarta 97 Encyclopedia.

3. Americana, 1985, Vol.16, p 509.

4. Britanicca, 1977, Vol 14, p224.

وكانت فرقة فرسان الهيكل قد تحولت إلى فرقة فوق وطنية خلال فترة الحروب الصليبية وذلك بسبب إرتباطها المباشر بالبابا واستقلالها عن ملوك أوروبا. وكان قادة هذه الفرقة منشغلين بغنائم الحرب بشدة، وابتاعوا من العائدات المتأتية من هذه الصفقات، عقارات كبيرة في أرجاء أوروبا. وتمثل صفقة «قبرص» بوصفها ثالث أكبر

الذكر (إعتقال وطرد اليهود وقمع فرسان الهيكل) كاجزاء مترابطة لسياسة وردة فعـل تجاه ظاهرة إجتماعية ما. وكان فيليب الرابع يعد ملكا حكيما ومدبرا، وفى عهده، حققت فرنسا إعتبارا وقوة مادية ومعنوية فى أرجاء أوروبا المسيحية.[١] لذلك يجب تقييم السياسة المذكورة على أنها إجراء جاء لوضع نهاية للفسـاد المالى المتفشى وقمع المجموعات الناهبة التى تكونـت إبان الحروب الصليبية. إن الترابط الوثيـق بين المرابين اليهود وفرسان الهيكل، كان طبيعيا بالكامل بسبب أدائهما المالى المشترك.

يضاف إلى أن جاك دو مولاى وسـائر قادة الفرقة، كانوا قد كونوا ثروة طائلة، وقد سـرت شائعات واسـعة فى أوروبا عقب طرد الصليبيين من «عكا» (ربيع ١٢٩١م) واسـتقرارهم فـى قبرص تتهم[٢] دو مولاى بعبادة الشيان،[٣] والتجديف وإهانة المقدسات[٤] وإنكار المسيح والممارسات غير الأخلاقية واللـواط.[٥] وبعد فترة من القبض عليه، أقر دو مولاى أنه كان قد أنكر المسيح إبان عضويته فى الفرقة المذكورة.[٦]

وفى هذه الفترة، سـادت فى بريطانيا سياسة مماثلة لفرنسا وكانت مؤشرا علـى ظهور نفس الظاهرة الإجتماعية فى هذا البلد وشـاهد على التحليل آنف الذكر. ومنذ عـام ١٢٩٧ للميلاد، بدأ ادوارد الأول الذى كان على

جزيرة في «البحر الأبيض المتوسط» مؤشرا جليا على أداء الفرسان.

وانضمـت قبرص إلى الإمبراطورية الرومانية خـلال الفترة ٣٣٣-٥٢٥ ق.م. وفي عام ١١٩١ للميلاد احتل ملك بريطانيا ريتشـارد الأول هذه الجزيرة وباعها لفرقة فرسـان الهيكل. وبعد فترة، فسخ قادة الفرقة هذه الصفقة. وفي للسـنة التالية قام ريتشارد ببيع الجزيرة للورد الفرنسي وملك «فلسطين المحتلة» غاي لوزيناني (Guy og Lusig-nan) (١١٨٦-١١٨٧م.). وطبق غاي سياسـة التغيير الديمغرافي لسكان قبرص ونقل عددا غفيرا من الأوروبيين إلـى هذه الجزيرة. وتحول هؤلاء إلى طبقة جديدة من الملاك. وقد حكم أعقاب غاي لوزيناني قبرص حتى العقد ١٤٧٠ للميلاد.

1. Ibid. p223.
2. Americana, 1985, Vol 16, p 509.
3. Satinism.
4. Blasphemy.
5. Sodomy.
6. Britannica, 1977, Vol VI, p973.

غرار فيليب الرابع ملكا حكيما ومدبرا،[١] مكافحة الربا اليهودى الذى نشأ خلال الحـروب الصليبية وأقدم عام ١٢٩٠ للميـلاد على طرد اليهود.[٢] ومع موته (١٣٠٧م.) اعتلى إبنه إدوارد الثانى العرش وحلّ فى مسـتهل سـلطنته، فرع فرقة فرسـان الهيكل فى بريطانيا. ويجب إعتبار سياسـة ادوارد الثانى هذه إستمرارا لسياسة إدوارد الأول.

ومع ذلك وبالرغم من أوامر البابا وانحلال مؤسسـة فرسـان المعبد فى فرنسا وبريطانيا، بقى معقل هذه الفرقة فى البرتغال حصينا، واضطلع بدور مهـم للغاية فى التطورات التاريخية اللاحقة فى هيئة جديدة لكن بدرجة أقل من الشـهرة. وقد تم هذا بسـبب الترابط الذى حصل منذ تأسـيس مملكة البرتغال بين فرسان الهيكل والعائلة الحاكمة فى «البرتغال».[٣]

لعنة الأستاذ الأعظم

ويقول مؤلف كتاب «التاريخ الأسـود لفرسـان الهيكل» حول تاريخ الفرسان بعد الإعلان عن آخر استاذ لهذه المنظومة:

لقـد ولد جاك دو مولاى آخر أسـتاذ أعظم لنظام فرسـان الهيكل، عام ١٢٤٤م. فـى أسـرة يهودية تنصرت وليسـت نبيلة كمـا يجب. ويزعم كريستوفر نايت وروبرت لوماس اللذان كانا من الماسونيين من الدرجة الرابعة أن نسب دو مولاى يصل إلى عيسى المسيح. وانخرط فى سلك فرسان الهيكل وهو فى سـن الواحدة والعشرين وانتخب الأستاذ الأعظم الثالث والعشرين للمنظومة عندما كان فى سن الـ٤٩ عاماً.

وأدين جاك دو مولاى بالسـجن المؤبد عقـب إعتراقاته، لكنه زعم أن

---

١. راجع: **شهبازي، عبدالله**، ««حكومة أثرياء اليهود والفرس»»، مؤسّسة الدراسات والبحوث السياسية، ١٣٧٩هـ .ش.، ج ٣، ص ٢٣٤.

٢. المصدر السابق، ج ٢، صص ١١٠-١١١.

٣. المصدر السابق، ج ٤، صص ١٥٥-١٥٧.

مجموعته بريئة. ولذلك أحرق فى الثامن عشر من مارس ١٣١٤ للميلاد فى «سنت لويس» بالقرب من نوتردام. وعندما كانت ألسنة النيران تلتهمه، لعن البابا والملك. وتوفى البابا بعد ٤٠ يوما والملك بعد سنة من هذا الحادث (وقد مات كلاهما فى الموعد الذى كان قد تنبأ به دو مولاى). وقد توفى البابا العشرين فى ابريل من عام ١٣١٤ للميلاد بعد صراع مع مرض مؤلم فى الأمعاء فيما قتل فيليب فى ٢٩ نوفمبر عام ١٣١٤ للميلاد أثناء الصيد على يد دب برى. وقد أرست هذه الحوادث الأساس لبناء أسطورة.

إن القضية كانت فى الحقيقة قتلا. وكان أنجرند دو مرينغى ممثل فرسان الهيكل، قد خطط لقتل الملك أثناء الصيد. كما قتل أبريل كبير وزراء الملك الذى كان قد بدأ محاكمة الفرسان أيضا.

وقد ثبت هذا الأمر خلال محاكمة مرينغى عام ١٣١٥ للميلاد وأدين مدبر المؤامرة بالإعدام. ومن أجل أن يتحقق اللعن على أرض الواقع، كانت ثمة حاجة للمساعدة من الاخرين. كما قتل الذين كانوا قد أخبروا السلطات بوجود فرسان الهيكل.

وتم البوح عن هذه الحقيقة للماسونيين الذين نالوا المرتبة ال٣٠ من أن البابا كلمنت الخامس وفيليب قد قتلا. وتقول مذكرة غير رسمية للمجلس الأعلى للماسونية:

إن هذا الثأر، أثر على الذين كانوا فى السلطة بصورة غير مباشرة. كما كان جاك دو مولاى قد لعن فرنسا أيضا. وفى عام ١٣١٥م. كانت فرنسا ومعظم مناطق أوروبا قد تعرضت لأول جولة من الحصاد غير الملائم. وكانت الأمطار تهطل بصورة مستمرة فى الفترة الزمنية الكائنة بين ١٣١٥ و ١٣١٨ للميلاد.

وكان الكل يستطيع أن يتحسس أن ثمة مشكلة. وكان الطاعون يتبرص

فى موقع ما، ومن ثم اندلعت الحروب.

وعلـى امتداد الأعوام ١٣٤٦ حتى ١٣٥٢ للميلاد، إجتاح الطاعون أرجاء أوروبا وأودى بحياة ٢٤ مليون نسمة أى ثلث سكان أوروبا. وقد نشرت الفئران والحشرات المرض. وكانت سلطات خاصة فى الكنيسة قد تيقنت بان القطط هى شيطانية ومشاكسة، وأقدمت على إبادتها وبالتالى لم يبق قط حتى يحد من تكاثر الفئران. وكان اللصوص والناهبون منتشرين فى كل حدب وصوب. وأشيع أن اليهود هم وراء هذه الكارثة غير المسبوقة وقتل على إثر ذلك ألوف اليهود.

وكان الأسـتاذ الأعظم لفرسـان الهيكل والذى خلف جاک دو مولای فى منصبه، قد التقى دو مولای فى حبسـه. وكلف بايعاز من دو مولای بان يقـوم بنبش قبر دو مولای وإخراج صندوق يحتوى على وثائق فرسـان الهيـكل منه. وتم نقل هذه الوثائق إلى اسـكتلندا. ومازال الماسـونيون السويديون يحتفظون ببعض الممتلكات المتبقة عن الفرسان.[1]

وفى ٢٤ يونيو ١٣١٤م. إنتصر الاسكتلنديون فى الحرب على البريطانيين فى «استرينغ» وذلک فى ظل التدخل غير المتوقع لفرسان الهيكل الذين كانوا يعرفون بالمقاتلين المجهولين. وبالتالى، اسـتقلت اسكتلندا وبقيت مسـتقلة ل ٢٨٩ عامـا. وكان السـير ويليام سـن كلر[2] مـن بين هؤلاء المقاتلين.

ويقول الزعيم الماسونى الامريكى «البرت بايک» فى كتابه «أخلاقيات التعصب»:

لقـد واصلت الجمعيـة حياتها بمسـميات مختلفة بقيـادة زعيم مجهول، وأشـهرت نفسها فقط للذين بنوا أنفسـهم ليكونوا موضع ثقة من خلال

1. Frimurarnas Hemlighet/ The Secret of Freemasons, Stockholm, 1916, p20.
2. Sir William St.clair.

سلوك عدة درجات. وكان فرسان الهيكل يميلون إلى تأسيس «محفل أوروبا الكبير» فى ٢٤ يونيو ١٧١٧ للميلاد للماسونيين، لان هذا التاريخ يذكر بانتصارهم وكان سعد الطالع فى حربهم السرية والسحرية على الحضارة التقليدية. ويعد «يوم الصياد» الموافق ٢٤ يونيو يوما مقدسا بالنسبة للماسونيين، وكذلك لفرسان الهيكل.

وبعد جاك دو مولاى انتقلت رئاسة الجمعية إلى جين مارك لارمنيوس الذى كان قد اطلع على أسرارها خلال فترة سجن دو مولاى. وكان لارمنيوس وهو من أهالى الأرض المقدسة، قد نجا من خلال مغادرة فرنسا. وفى عام ١٣٢٤ للميلاد اختير توماس توبالد أستاذا أعظما خفيا جديدا. وكان آخر أستاذ أعظم معروف هو برنارد ريموند فبرة بالبرت.[١] وكان يعد من ماسونيى النظام الماسونى لاسكتلندا. وكل هذا حصل تأسيسا على وثيقة سرية تدعى «مخطط لارمنيوس»[٢] والتى نشرت عام ١٨٠٤ للميلاد.[٣] وفى هذه السنة أضفى نابليون الصفة القانونية على نظام «فرسان الهيكل».

إن الماسونيين يقرون أنفسهم أن جاك دو مولاى، كان يملك الزمن والفرصة الكافيتين لنقل أسراره إلى خليفته قبل أن يحرق، وأن هذا الخليفة قد تمكن من تأسيس محافل سرية فى باريس وستوكهولم.[٤و٥]

1. Bernard Raymond Fabre Palaprat 1804-1838.
2. Larmenius Charts.
3. Micheal Biagent, Richard Leigh, The Temple and the Lodge, London, 1998, p114.
4. Petet Partner, The Murdered Magicians: the Templars and their Myth, Oxford, 1982, pp110-114.

٥. **لينا، جورى**، «مهندسو الخداع والتاريخ الخفي للماسونية»، الفصل الثاني: التاريخ الأسود لفرسان الهيكل، ترجمة **فاطمة شفيعي سروستاني**.

الفرق الدينية والعسكرية

إن أهـم حادثة حصلت أثنـاء الحروب الصليبية تمثلت فـي تكوين مجموعات مختلفة من الفرسان الذين اضطلعوا بدور مهم في الحقب المختلفة لهذه الحروب التسـعة وما بعدها في أوروبا في مجال الصفقات السياسـية والاجتماعية. إن ما أشير إليه كدافع وسبب رئيسـي لتأسيس هذه الفرق هو اندلاع الحروب ومسألة الذود عن الأرض المقدسـة وحمايـة زوار المواقع الدينية وتأميـن الطرق ورعاية المسافرين.

وكان «فرسـان الهيكل» أبرز من الآخرين في هـذا الخصوص. وكانت هذه الجماعة قد بدأت حياتها تحت عنوان «نظام الفرسان الفقراء والمساكين لهيكل سـليمان» أو بالأحرى «نظام فرسـان الهيكل» ذاته. وهذا النظام الذي يعد أول نظام ديني وعسكري في عالم المسيحية الغربية، أسس على يد شخص يتحدر من أصول فرنسية ويدعى **هوغس باينز**[1] في أورشليم عام ١١١٨ للميلاد.

وعلى مرّ القرون السالفة، ساد الغموض والنقاش، أسرار ورموز أعضاء الهيكل، وأثير هذا التسـاؤل على الدوام ألا وهو هل أن هؤلاء كانوا رهبانا مقاتلين كرسـوا أنفسـهم للمسـيح والزوار الأبرياء، عينـات من طلائع المشـاركين في الحروب الصليبية ورعاة «الأرض المقدسـة» الذين قاتلوا جنبـا إلى جنب قادة بمن فيهم

1. Hugues de Payens.

ريتشـــارد شـــيردل أم أنهم كانوا يملكون كنوزا خفية ومخبأة تحت أنقاض «هيكل سليمان» وباحثون عن الأسرار الخفية القابعة تحتها؟

الفرسان في فلسطين

ويقول **آلبر ماله** في وصف الوقائع التي شهدها تاريخ العصور الوسطى حول نشأة الفرق الدينية والعسكرية المسيحية في «فلسطين»:

ومن أجل الذود عن فلسطين، تشكلت ثلاث فرق تولى أعضاؤها وظيفة الراهب والجندى فى آن: فرقة «سن جان بيت المقدس» أو «المضيافون» وفرقة «حراس الهيكل» وفرقة «فرسان ألمانيا"، وقد كلف أعضاء هذه الفرق أن يتبعوا على غرار رهبان الغرب، التقوى والتزهد فضلا عن الإنخراط فى فن القتال. وقد وضعت قوانين صارمة للحرب، على سبيل المثال، فان أعضاء فرقة حراس المعبد ما كان عليهم أن يتملصوا من الحرب إطلاقا، حتى وإن كان عددهم شخصا واحدا، وإضافة إلى ذلك، لا يتعين عليهم الإستسلام للعدو إطلاقا. وكان زى هؤلاء الرهبان والجنود يوضح مهمتهم الثنائية، بمعنى أنهم كانوا يعلقون أسلحة فرسان الحرب ويرتدون عليها قباء الرهبان. وكان قباء المضيافين أسود اللون، مع صليب أبيض يوضع على الصدر، فيما كان قباء حراس الهيكل أبيض اللون مع صليب أحمر. وكانت الجيوش الدائمة لفلسطين، خليط من أعضاء الفرق آنفة الذكر. وقد تأسست فرقة المضيافين، فى عام الإستيلاء على بيت المقدس لتقوم بنقل الزوار وتزويدهم بالأطباء والمنازل ورعايتهم، لكن

تأسيس فرقة «حراس الهيكل» يعد من مآثر ١١١٩ للميلاد.
وسرعان ما تطورت هاتان الفرقتان اللتان كان مؤسسوها فرنسيين واستقطبت أنصارا فى جميع البلدان الأوروبية المسيحية، بحيث أن فرقة حراس الهيكل أصبحت تملك حصنا حقيقيا فى باريس، أما فرقة «فرسان ألمانيا» فقد تشكلت فى أواخر العقد الثانى عشر (١١٩٧م.) وانتقلت سريعا إلى «بروس» لمحاربة الأمم المشركة.[١]

وقد تشكل «فرسان الهيكل» بعد الحرب الصليبية الأولى التي وضعت أوزارها عام ١٠٩٩ للميلاد. وثمة خلافات بشأن التاريخ الدقيق لتأسيس نظام فرسان الهيكل. ويذهب البعض أن هذا التاريخ كان في عام ١١١٨ للميلاد.

إن ما كان يميز الفرسان في تلك الحقبة عن سائر الفرق، هو حمايتهم للزوار الذين كانوا يسافرون إلى الأرض المقدسة. وفي البداية، كان هذا النظام الرهباني يتألف من تسعة فرسان إجتمعوا معا لحماية ورعاية الزوار في الظروف غير المؤاتية للطرقات الطويلة التي تربط البلدان الغربية باورشليم.

وتعود تسمية فرسان الهيكل إلى إنتساب الفرسان إلى ضريح وهيكل النبي **سليمان**عليه السلام. وحسب الروايات التوراتية، فان النبي سليمانعليه السلام شيد بنحو عام ٩٥٠ ق.م. معبدا في أورشليم وفي الموقع الذي كان قد حدده مسبقا أبوه النبي **داود**عليه السلام. المكان الذي كان حسب تشخيصه، الموقع ذاته الذي ضحى به النبي **ابراهيم**عليه السلام بابنه **اسحاق**عليه السلام. وقد سمي هذا الموقع بعد ذلك ب «جبل الهيكل»، بينما تفيد الروايات الاسلامية، أن الذبيح كان النبي **اسماعيل**عليه السلام، وأن مذبحه لم يكن في أورشليم، بل في أرض «منى» حسبما تفيد الروايات المنقولة عن **الإمام الرضا**عليه السلام.

ونقل **محمّد بن سنان** أن الإمام الرضاعليه السلام قال في رسالة موجهة إليه:

حدثنا على بن أحمد رحمه الله قال حدثنا محمّد بن أبى عبد الله الكوفى

---

١. **ماله، آلبر**، «تاريخ العصور الوسطى»، ترجمة **عبدالحسين هجير**، مكتبة إبن‌سينا، ١٣٣٢هـ .ش.، ص ٢٣٨.

عن محمّد بن إسماعيل البرمكى عن على بن العباس قال حدثنا القاسم بن الربيع الصحاف عن محمّد بن سنان أن أبا الحسن الرضا عليه السلام كتب إليه: «العلة التى من أجلها سميت منى منى أن جبرئيل عليه السلام قال هناك يا إبراهيم تمن على ربك ما شئت فتمنى إبراهيم فى نفسه أن يجعل الله مكان ابنه إسماعيل كبشاً يأمره بذبحه فداء له فأعطى مناه.»[1]

وعلى أي حال، فقد أعلن بنو اسرائيل أن الذبيح هو **إسحاق** عليه السلام والمذبح «أورشليم»، وأصروا على ذلك. وبناء على التعاليم التوراتية، فانه عندما دعا النبي **موسى** عليه السلام بني اسرائيل إلى الهجرة الكبرى وأخرجهم من مصر، تلقى في موقع «جبل سينا"، «الوصايا العشر» التي صدرت عن الله تعالى. وكانت هذه الوصايا قد نقشت على ألواح وضعها بنو اسرائيل داخل صندوق سمي «تابوت العهد للحفاظ عليها.

وحسب المصادر ذاتها، فان تابوت العهد وضع في البيت أو الهيكل الذي بناه النبي **سليمان** عليه السلام. جدير ذكره أن هذا الهيكل هدم بعام ٥٨٦ ق.م. على يد نبوخذنصر ودمر خلال هجمات «الرومان».

وبعد الإعتراف رسميا بالديانة المسيحية من قبل «الرومان» إهتم الإمبراطور قنسطنطين ببناء الكنائس العديدة في أورشليم منذ عام ٣١٢ للميلاد.

وبعد الإستيلاء على أورشليم وتسخير «بيت المقدس» جعل الصليبيون، المسجد الأقصى مقرا وحاضرة للملك المسيحي أي الملك بالدوين الثاني.[2]

وسمح بالدوين الثاني لتسعة فرسان للإستقرار في إحدى قاعات القصر ومقر إقامته الخاص.

ويقول **ش. دولاندلن** مؤلف كتاب «تاريخ العالم» حول أول نظام اجتماعي – سياسي لأورشليم بعد التحرير:

---

١. **ابن بابويه، محمّد بن علي**، «علل الشّرائع»، قم، مكتبة داوري، الطبعة الأولى، ١٣٨٥هـ .ش.، ج ٢، صص٤٣٥-٤٣٦).

2. Baldwin II.

لقد تحررت أورشـليم وتم الإستيلاء على الشام باسرها فى ظل بطولات الصليبيين والنفاق والخلافات بين المتنافسين، وكان من الضرورى إتخاذ إجراءات لتنظيم الدول التى تم الإستيلاء عليها والدفاع عنها. وتم إنشاء أربـع حكومات لاتينية من المناطق التى اسـتولى عليها الصليبيون. ولم تقبل مملكة أورشـليم ومناطـق الأسـر «ادس» و «انطاكية» و كونتية «طرابلـس» و «غودفروى دو بويلون» عنـوان المملكة. لكن خلفاءه لم يمتنعوا عن ذلك. وراج نظام ملوك الطوائف فى هذه الحكومات الأربع، وكان معظم النبلاء من الفرسان الفرنسيين، وحل بعدهم التجار الذين كان معظمهم ايطاليون، فيما حل بعدهم أهالى المدن والقرى من الأرثوذكس أو المسـلمين الذين كانوا يعاملون كرعية وتابعين. واستولت الإمبراطورية اليونانيـة علـى الأراضى التـى أحتلت فى «اسـيا الصغـرى»، لكن لم تحصل على شـئ من أراضى «الشام». وبعد فترة وجيزة، أسس الفرسان الفرنسـيون، فرقة «هوسـبى تالية» أو «سـن جان» الدينية والعسكرية، ومن ثم قام جمع منهم بتأسـيس فرقة «تامبلية» والألمان فرقة «فرسـان توتونى»، وكانت مهمة جميع هذه الفرق، محاربة المسلمين.[1]

ويعد «فرسان الهيكل» أهم فرقة عسكرية – دينية في تاريخ المسيحية[2] ظهرت خلال الحروب الصليبية.

---

١. ش. **دولاندلن**، «تاريخ العالم» (ما قبل التاريخ وحتى القرن السـادس عشـر)، ترجمة **احمد بهمنش**، إصدارات جامعة طهران، ١٣٦٧هـ .ش.، ص ٤٦٢.

2. Malcolm Barber. The new knighthood: A History of the order of the Temple. Cambridge university press, 1994, ISBN:0-521-42041-5.

تنظيم الفرسان

وكان الهدف الأولي من تشكيل هذه المجموعة يتمثل في المشاركة في «الحروب الصليبية» على غرار سائر الفرسان الذين إنحدروا نحو الشرق. وتولى هؤلاء في «أورشليم» مهمة حماية الزوار، لكن وبعد إبادتهم في الحرب التي استولى خلالها المسلمون على «عكا»، هاجر عدد ضئيل منهم إلى مناطق مختلفة من «اروبا» وهم يحملون معهم ثروة طائلة وغنائم خاصة.

ويقول **ويل ديورانت** حول المجموعات والفرق الاجتماعية للفرسان في أورشليم:

وكانت مملكة أورشليم حديثة التأسيس تملك مقومات ضعف كثيرة، لكنها كانت تتمتع بدعم هائل من مجموعات جديدة مؤلفة من الرهبان المناضلين. ولفترة طويلة قبل هذا الحادث ومنذ عام ١٠٤٨ للميلاد، كان تجار «أمالفى» قد بنوا باذن من المسلمين مستشفى للزوار الفقراء أو المرضى المسيحيين فى أورشليم. وأقدم ريموند دوبوى بنحو عام ١١٢٠ للميلاد على تحويل طاقم هذه المؤسسة إلى فرقة دينية إلتزم أعضاؤها من خلال أداء اليمين بمراعاة الطهر والفقر والطاعة وحماية المسيحيين فى فلسطين. وهذه الفرقة التى اشتهر اعضاؤها باسم «الفرسان المضيافون» أو «فرسان يوحنا الحوارى» تحولت إلى أحد أرفع الجمعيات الخيرية فى العالم المسيحى. وفى هذا التاريخ على وجه

التقريب (١١١٩م.) كرس «أوغ دوبين» وثمانية أخرون من الفرسان الصليبيين، أنفسهم لإقامة النظام والرهبنة والقتال فى سبيل إعلاء المسيحية. وحصلت هذه الجماعة من «بودوين الثانى» على مقر إقامة بالقرب من «هيكل سليمان» ولذلك لم يمض وقت حتى لقبت بـ«فرسان الهيكل». ووضع «القديس برنارد» قوانين صارمة لهم لم تدم مراعاتها. ووصف هذا الزاهد المسيحى، هؤلاء الفرسان بانهم أمهر الأشخاص فى فنون الحرب والقتال تمجيدا لهم وأمرهم بان قلما يستحموا وأن يحلقوا رؤوسهم بالموس كاملا. وقال برنارد متوجها إلى فرسان الهيكل:

«إن المسيحى الذى يقتل كافرا فى الجهاد، سيكافأ حتما، وإن قتل هو، فان نيله هذه المكافأة سيكون أكثر حتمية. إن الإنسان المسيحى يعتز بموت الكافر، لانه يمكن عن هذا الطريق التسبيح لعيسى». وكان مستهل هذا البرنامج يحوى جملة وكأنها تمثل رنينا لأوامر نبى الاسلام موجهة إلى المسلمين. وكان برنارد يؤمن أنه إن كان الأشخاص يطلبون الإنتصار على عدوهم، فيجب تعليمهم أن يقتلوا العدو براحة بال وضمير. وكان فارس مضياف يرتدى جبة سوداء نقش على كمها الأيسر، صليب أبيض، وكان فارس الهيكل يرتدى جبة بيضاء نقش على معطفها صليبا أحمر. ومن الناحية الدينية، كان أفراد كل فرقة يكرهون أفراد الفرقة الاخرى. وانتقل أنصار كل فرقة من حماية وتحسين حالة الزوار إلى مداهمة حصون ومواضع المسلمين تدريجيا، وبالرغم من أن عدد أنصار فرسان الهيكل كان يبلغ ثلاثمائة شخص فحسب ومجمل أفراد الفرقة الاخرى بنحو ستمائة شخص، إلا أنهم اضطلعا عام ١١٨٠ للميلاد، بدور بالغ فى الحروب الصليبية ونالوا شهرة كبيرة بوصفهم «مقاتلون أبطال». وكانت كلتا الفرقتان تبذلان جهدا لاستقطاب المساعدات المالية وكانوا يجبون المال من الكنيسة والحكومات ومن الفقير والغنى. وفى القرن

الثالث عشـر، أصبحت كل فرقـة صاحبة ممتلكات عظيمـة فى أوروبا وتشمل الأديرة والقرى والمدن. ونالت كلتا الفرقتان إعجاب واستحسان المسيحيين والمسـلمين من خلال تشييد قلاع عظيمة فى سورية، وعلى الرغم من أن كل فرد من هؤلاء المقاتلين، إعتمد الفقر شـعارا له، لكنهم كلهم كانوا يتمتعون بالبهرجة والنعمة فى خضم معاناة ومقاسـاة الحرب. وفى عام ١١٩٠ للميلاد، آزر الألمان المقيمون فى فلسـطين، عددا قليلا من أنصارهم فى الوطن وأسسوا «فرقة توتونى الفرسان» وبنوا مستشفا بالقرب من عكا.[١]

١. **ديورانت، ويل**، «قصة الحضارة»، ج ٤، (عصر الإيمان)، صص ٢٩٣-٢٩٤.

تغيير مهمة فرسان الهيكل

وفي البداية لم يكن الفرســان يملكون مالا ولا ملبســا يكسوهم جيدا. لقد كانوا يعتاشــون على المســاعدات الانسانية وصدقة ملك أورشــليم أي بالدوين الثاني الذي كان إبن عمه **غادوفروي دو بويلن**[1] إســتولى على الأرض المقدسة قبل تسعة عشر عاما

وعندمــا توفى غادوفروي عام ١١٠٠ للميــلاد، تولى أخوه الأصغر بالدوين، حماية القبر المقدس لملك أورشــليم. وفي عــام ١١١٨ للميلاد، إعتلى بالدوين الثاني العرش. وأظهر إحترامه وتقديره ل «فرسان الهيكل» من خلال إعطائهم منازل في إحدى إمارات قصره والتي كانت شاســعة بما يكفي لعيشــهم هم وأحصنتهم براحة. وكان هذا القصر ومقر إقامة أهالي الهيكل، يقع في موقع «هيكل سليمان» القديم، ومن هنا ولهذا السبب أطلق عليهم إسم «فرسان الهيكل».

ويقول **عبد الله شهبازي** في هذا الخصوص:

وكان فرســان الهيكل فى البداية، إسم فرقة من الفرسان الفرنسيين التى تأسســت عــام ١١١٨ للميلاد فى بيــت المقدس بعــد إحتلالها على يد الصليبيين. وشكل ٩ من الفرسان فصيلا وأطلقوا على أنفسهم إسم «جنود المسيح الفقراء». ونشــر «بالدوين» و «كونت فلاندزر» وآمر الجيوش

1. Godefroy de Bouillon.

الصليبية الذى كان يسمى نفسه ملک أورشليم، هذا الفصيل بالقرب من هيكل سليمان وأوكلوا إليه مهمة حماية الزوار المسيحيين. وبذلک سمى أعضاء هذا الفصيل «جنود المسيح الفقراء» و «هيكل سليمان».

وتوسع هذا الفصيل شيئا فشيئا وتحول إلى تنظيم مرتزقة عسكريين يعرضون خدماتهم على الحكام الصليبيين. وأصبحت قدراتهم العسكرية محط اهتمام بحيث أوكلت إليهم مهمة نقل سبائک الذهب والأموال المنهوبة من الشرق إلى «بارس» و «لندن».[1]

ويقول **ستيفن رونسيمان** مؤلف كتاب «تاريخ الحروب الصليبية» حول تأسيس هذه الفرق:

إن أهم تطور داخلى لهذه السنين تمثل فى إرساء الفرق العسكرية. ففى عام ۱۰۷۰ للميلاد، قام عدد من المحسنين الأمالفيين باقامة فندق لاستقبال الزوار الفقراء فى أورشليم. وقد سمح الحاكم المصرى للمدينة آنذاک، لأهالى «ألمالفى» باختيار أرض ملائمة لبناء فندقهم عليها. وقد اقتبس هذا التنظيم إسمه من «جان» (يحيى) القديس المكنى بـ«يحيى المتصدق» على غرار محسنى القرن السابع بالاسكندرية. وكان معظم القائمين على الفندق من أهالى أمالفى وقد أدى الجميع قسم الرهبان، وانهمک الجميع باسداء الخدمة تحت إشراف مرشد كان يعمل بدوره تحت إمرة أولياء فرقة «بنديکت القديس» فى فلسطين. وعندما استولى الصليبيون على أورشليم، كان مدير هذا التنظيم رجل يدعى «جرارد» وعلى الأرجح من أهالى أمالفى. وقبل بدء محاصرة المدينة، كان الحاكم المسلم لأورشليم قد طرده مع باقى زملائه فى العقيدة من المدينة. إن معرفة هذا الرجل باوضاع وأحوال الموقع، كان مفيدا جدا للصليبيين. وحرض الفرنج ليضعوا موقوفات جديدة بتصرف الفندق. وأصبح عدد

---

۱. شهبازي، عبدالله، «حكومة أثرياء اليهود والفرس»، ج ۲، صص ۲٦-۲۷.

غفيـر من الزوار فى خدمة هذا التنظيم ولم يمض وقت طويل حتى خرج التنظيم عن طاعة فرقة «بنديكت القديس» وأسس فرقة خاصة به، يأتمر فيها مباشـرة بأمر البابا وعرف بفرقة «الاسـباتارية» وحصل على مزيد من الموقوفات. وقام معظم رجال الدين الشهيرين فى منطقة «اورشليم» بوقف عشر مداخلهم له. وتوفى جرارد بنحو عام ١١١٨ للميلاد. وكانت لخليفته الفرنسـى «ريموند دوبوى» تطلعات وأمنيات أرفع. وكان يرى أن إرشاد واستقبال الزوار لا يكفى بالنسبة لمريديه وأنصاره، بل إضافة إلى ذلك، يجب الحفاظ على أمن الزوار، كما يجب أن يكونوا دائما فى جهوزية من أجل القتال.

وكان معظم مريدى هذه الفرقة من الذين لا يقومون بعمل سوى الأعمال الروحانية، لكن الواجب الرئيسـى للفرقة تمثل اليوم فى تجميع مجموعة من الفرسان يقسـمون أن يقضوا عمرهم فى التقوى والتنسك والإحجام عن الملذات الجسـدية، وأن يكرسـوا حياتهم لمحاربة الكفار، وفى هذه الأثناء ومن أجل تعزيز أسـاس الفرقـة، أعطى جان المتصدق، الذى كان لحد الان المرشـد الأعظم للفرقة، مكانه لـ جان الملقب بقارئ الإنجيل. وكان الوسام الخاص لفرسان فرقة الاسباتارية، على شكل صليب أبيض اللون يعلق على قميص موحد يرتدونه على جوشنهم.

وهـذا التغيير عزز مكانة فرقـة الداوية.[1] والأرجح أن تكون فكرة إيجاد فرقة دينية لا تخشـى الحرب، رشـحت للمرة الاولى من ذهن فارس من أهالى «شامبانى»[2] يدعى هوغس دى باينز.[3] وقام هذا الرجل عام ١١١٨ للميـلاد، وإبان عهد «بالدويـن الثانى» بوضع جزء مـن القصر الملكى الذى كان فى الحقيقة المسجد الاقصى للمسلمين ويقع فى باحة الضريح،

1. Templar.
2. Champagne.
3. Payen.

بتصرفه من أجل إقامته وأنصاره فى العقيدة. وكان فرسان الهيكل، شأنهم شأن فرقة الاسباتارية، بداية من أتباع «بنديكت القديس» لكنهم سرعان ما رفعوا شعار الإستقلال وصنفوا لأنفسهم ثلاث شرائح مختارة، الأولى، الفرسان الذين كانوا يصطفون من بين النبلاء، والثانية، النواب من الطبقة المتوسطة أى الخدام والثالثة رجال الدين الذين كانوا يتولون أداء الشؤون المدنية. وكان وسام المنتمين إلى هذه الفرقة هو صليب أحمر اللون يخيطه الفرسان على قميصهم الأبيض والنواب على قميصهم الأسود. والواجب الاول الذى كان يقسم هؤلاء على تأديته هو حراسة وحماية الطريق الوصال بين أورشليم وساحل البحر من خطر القرصان واللصوص، لكن لم يمض وقت حتى انخرطوا فى كل معركة حصلت لدولة أورشليم. وقد أمضى هوغس معظم حياته فى أوروبا لجمع الجنود لفرقته.

وكان الملك بالدوين يحمى هذه الفرق، ولم يتدخل فى شؤونهم البتة، لانهم لم يكونوا يعترفوا بسلطة سوى سلطة البابا، وحتى أن الموقوفات الواسعة التى كان الملك أو أمراؤه يضعونها بتصرف هاتين الفرقتين، لم تلزمهما القيام باى خدمة عسكرية، لكن جيلا مر حتى تقوت هاتان الفرقتان لدرجة أنهما تساويتا مع قوة الملك.[١]

واعتبر الفرسان الذين توجهوا إلى الشرق للإنضمام إلى الفرقتين العسكريتين، فرسان الهيكل والاسباتارية، عاملا مؤثرا ودائما لتعزيز البنية العسكرية لمملكة أورشليم. وتولت هاتان الفرقتان تدريجيا دور الجيش الدائم للدولة، كما أن العقارات الواسعة التى وهبها الملك وحاشيته لهاتين الفرقتين، تعد بحد ذاتها مؤشرا على مدى الدعم الذى

١. **رونسيمان، ستيفن**، «تاريخ الحروب الصليبية»، ترجمة **منوجهر كاشف**، مؤسسة ترجمة ونشر الكتاب، الطبعة الثانية، ١٣٦٠هـ .ش.، ج ٢، صص ١٨٠-١٨١.

كانت تتمتع به هاتان الفرقتان من هذا وذاك.[١]

١. **رونسيمان، ستيفن**، «تاريخ الحروب الصليبية»، ص ٢٨٨.

النظام التأسيسي لفرسان الهيكل

واستنادا إلى المصادر التاريخية، فقد أقدم «فرسان الهيكل» على وضع نظام تأسيسي لهم وعيا منهم بأهدافهم طويلة الأمد ولترتيب تنظيمهم بصورة دقيقة.

ويأتي تاريخ الحروب الصليبية على ذكر الراهب الأعظم كلروو بوصفه أكثر رجال السياسة والدين باوروبا الغربية نفوذا على أنه من وضع النظام التأسيسى لفرقة «فرسان الهيكل» ويقول:

إنه كان يهتم على الدوام بشؤون مسيحيى الشرق وساعد عام ١١٢٨ للميلاد على تنظيم ووضع النظام التأسيسى لفرقة «فرسان الهيكل».[1]

القوانين اللاتينية

وفى ١٣ يناير ١١٢٨ للميلاد، إلتقى حشد من القساوسة معا تحت إدارة بابا «طروادة». كما انضم برنارد والفرسان الذين كانوا حتى ذلك الحين فى أوروبا إلى بعضهم البعض. وكان هدف المجلس البت فى قضايا الكنيسة، لكن بما أن هذه الأعمال كانت قد أنجزت من قبل، فقد نجح برنارد فى الإستفادة منها لتمرير أهدافه. وقد واضب «هوغس دى باينز» على وصف وتوضيح أسس ومبادئ نظام «فرسان الهيكل» والقوانين

١. المصدر السابق، ج ٢، ص ٢٩٢.

التى كانوا يتبعونها فى حياتهم. وتحدث عن وجبات الطعام الجماعية فى الصمت والملابس البسيطة وعهود الفقر والطهارة والطاعة التى كانت تؤخذ منهم.

وبعد محادثات قصيرة، صادق مجلس طروادة تحت إرشادات وتوجيه برنارد على ما أسماه «قوانين طروادة». وتألفت هذه القوانين من ٧٣ عبارة تتحكم بجميع أبعاد ومجالات حياة الفرسان، وتعكس بشكل ما قوانين «السيستريک» [إحدى الفرق العرفانية المسيحية على غرار البنديكت والجوزيت]. لكن بشروط إضافية عندما يكون الفرسان منهمكين فى العمل (أثناء تقديم الخدمة). وكانت هذه القوانين تتضمن تعليمات لكل شئ تقريبا: كيفية قبول الأشخاص الجدد، وسن قبولهم، وطول المدة التى يجب أن يخدم فيها كل رجل، وعقوبات السلوكيات السيئة، وأى جرائم تؤدى إلى طرد الأشخاص من رتبة الفارس. وكان الأخوان يأكلون وجبتى طعام يوميا فى صمت، ويتناولون اللحوم ثلاث مرات أسبوعيا فقط. ونادرا ما كان يتم قبول الرجال المتزوجين، شريطة أن يحصلوا على رضا زوجاتهم، لكن جميع العلاقات الطبيعية بينهما كانت محظورة.

وكان على الأخوة الذين يرتكبون ذنبا وينتهكون القوانين، أن يعترفوا ويظهروا ندمهم، وربما كان يتم طرد بعض الأخوة بسبب بعض هذه الذنوب: البوح عن أسرار هذه الرتبة، وشراء أو بيع إمتياز الدخول إلى رتبة الفارس، وقتل مسيحى ما، والسرقة، والهروب أثناء الحرب، واللجوء إلى المسلمين وممارسة اللواط.

والجرائم الأقل وقعا تشمل هذه الحالات: عدم الطاعة، ومهاجمة أحد الأخوة، وإقامة علاقة مع إمراة ما، والدخول فى حرب من دون إذن ووهب أو فقدان شئ من ممتلكات نظام الفرسان.

رئيس نظام الفرسان

وكان الأستاذ الكبير، فى «اوت رمر» [منطقة واسعة تحت سيطرة المسيحيين فى أورشليم] الرئيس المطلق للرتبة. وتأسيسا على هذا القانون، كان لازما الطاعة الكاملة للأستاذ الكبير فى أى وقت. لذلك كانت هناك تعاليم صارمة لإنتخابه. وكانت مجموعة من «الرجال القيمين للبيت» يصوتون من أجل إنتخاب شخص يتصرف كمفوض مسؤول، وبعد ليلة من العبادة، كان هذا المفوض ومعه مرافق خاص، ينتخبان أخوين آخرين إلى أن يصل العدد إلى ١٢ شخصا، على شرف ١٢ حواريا. إن إضافة قس آخر للحصول على مكانة المسيح، أوصل عدد أشخاص هيئة الإنتخابات إلى ١٣ شخصا. وكان فرسان الهيكل يسعون دائما لان يكون هناك ثمانية فرسان فى المجموعة، أربعة حراس وأربعة قساوسة، كما كانوا يسعون لان يكون الأعضاء من مختلف الجنسيات. وكان التصويت يتم بصورة سرية، وكان من الضرورى أن يطغى قرار الأغلبية للإعلان عن الأستاذ الكبير الجديد من قبل الأخوة.

وكان الأستاذ الكبير مسؤولا فقط أمام البابا رغم أنه كان على غرار البقية يراقب بواسطة القوانين اللاتينية. وكان عدد من الأساتذة الكبار،

يصبحون مستشارين لملوك أوروبا.[١]

وعلى امتداد الحروب الصليبية وحتى آخر أستاذ أكبر، كان هناك ٣٧ بابا. وكان بعضهم من حماة الفرسان بالكامل ويقدمون لهم الدعم والمساعدة، بينما كان البقية بمن فيهم «كلمنت الخامس»[٢] الذى ساعد على سقوطهم، ضدهم. وكان معظمهم من حماة الفرسان وترسخ بواسطة هذا الدعم، نظام الفرسان بصورة رصينة فى مركز حياة المسيحيين فى الأرض المقدسة، ورغم أن منتقديهم كانوا قد بقوا، لكنهم لم يكونوا فى تلك الحقبة، يملكون القوة لمواجهة الفرسان.[٣]

1. The Secret History of Knights Templar, susle hodge, Lorenz books 2008, London, pp22-23.
2. Clement V.
3. The Secret History of The Knights Templar, pp 26-27.

الفرسان، رواد الصيرفة

وعلى الرغم من أن «الفرسان» كان عليهم أثناء الإنخراط في نظام الفروسية، أن ينقلوا كل ممتلكاتهم، لكن الغريب أن ممتلكاتهم هذه كانت تزداد بصورة مذهلة. وبالرغم من أن الفرسان كانوا متمسكين بالتزامات الفقر والفاقة، لكن نظام فرسان الهيكل، أصبح يملك ثروة فاحشة ككل.

وعلى إثر الموقع الخاص الذي حققه فرسان الهيكل والإعتبار الديني الذي سجلوه لدى المسيحيين سرعان ما تحولوا إلى واحد من أكبر الإقطاعيين وأصحاب الموقوفات الكنسية والعقارات.

وكانت مساحة الإقطاعيات متغيرة. وكانت الإقطاعيات غير الدينية غنائم حصل عليها فى ساحات الوغى وتشمل قطع ترابية بالمرة، فيما كانت موقوفات الكنيسة وممتلكات الفرق العسكرية التى وهبها الناس المحسنون المتدينون أو تحققت على خلفية وصية أو كما ينطبق على الفرق العسكرية بسبب مصالح عسكرية وضعت بتصرفهم، منتشرة فى أرجاء بلاد الفرنجة.[1]

وقد وردتنا إشارات مبعثرة عن العدد الحقيقى لمقاتلى وفرسان هذه

---

١. **رونسيمان، ستيفن**، «تاريخ الحروب الصليبية»، ترجمة **منوجهر كاشف**، مؤسسة ترجمة ونشر الكتاب، الطبعة الثانية، ١٣٦٠هـ .ش.، ج ٢، ص ٣٤٤.

الفرق. وشارك خمسمائة فارس وعدد ملائم من باقى مقاتلى فرقة المضيافين (الاسباتارية) فى معركة عام ١١٥٨ للميلاد ضد المصريين. فيما بلغ عدد حراس الهيكل (الداوية) فى معركة عام ١١٨٧ للميلاد نحو ثلاثمائة. وعلى أى حال، فان هذين الرقمين يمثلان على الأرجح عدد فرسان هاتين الفرقتين فى أرض «أورشليم» ولا شك أن فريقا كان قد بقى فى القلاع والمدن للحراسة، ولم يذهب للقتال. لذلك، فان عدد المضيافين، كان أكبر وثروتهم كانت أكثر، ومع ذلك، كانوا يعملون بقوة على دعم ورفد المساكين. وكان فندقهم فى أورشليم قادرا على استقبال حتى ألف زائر. وكان لهم أيضا مستشفى خاص بالفقراء، وواصل عمله حتى بعد سقوط البلاد مجددا بيد العرب.[١]

وسرعان ما تحول الفرسان إلى صيرفيين موثوق بهم، ويمكن بالأحرى، إعتبارهم رواد الصيرفة الحديثة. وقام هؤلاء من خلال تأسيس مواقع ومراكز عديدة طوال الطريق الواصل بين أوروبا وأورشليم، بنقل أموال الزوار على شكل أمانة عن طريق الحوالات أو كانوا يحولونها إلى سيولة نقدية، فضلا عن أنهم كانوا يمنحون أحيانا قروضا للحكومات الأوروبية الفقيرة ليتحولوا بذلك إلى صيرفيين كبار.

وقد جمع الفرسان ثروة طائلة في ظل الذكاء والمهارة (اليهودية) في الإقتصاد ومن خلال الإستثمار في شراء الأماكن والزراعة، وكانوا يقرضون الكنيسة حتى لبناء المباني والعمارات.

وعلى الرغم من وجود عدد كبير من مقار للفرسان فى أوروبا والأرض المقدسة، فقد قام الفرسان بتنظيم عملية لنقل آمن ومؤثر للمال إلى التجار بسعر فائدة متدن، الأمر الذى جعل هؤلاء التجار يعتمدون عليهم على مر الوقت. فقد أوجدوا نظاما للمراسلات الرسمية الإئتمانية، كان يمنح للشخص فى أحد مقار الفرسان ويتم نقد المال فى مقر آخر. وكانت مبانى

١. **رونسيمان، ستيفن**، «تاريخ الحروب الصليبية»، ص ٣٦٣.

الهيكل قد قويت لدرجة أنه أصبح من غير الممكن الإستيلاء عليها. وشكل ذلك سببا إضافيا لكى يشعر الناس بالأمان والأمن للإحتفاظ بأموالهم هناك. وتحول «معبد باريس» إلى قاعدة مالية رئيسية للمعابد. واستطاع الفرسان فى ظل تمتعهم بالفطنة الاقتصادية الهائلة وكذلك وجود نظام الرسائل الإئتمانية، إيجاد معادل لصناديق الأمانات والشيكات المصرفية والشيكات السياحية. وكان الزوار يحتاطون من حمل مبالغ كبيرة من المال أثناء السفر. لذلك كانوا يودعون مبالغ مالية نقدية كافية عند أحد مقرات الفرسان ليغطوا بذلك نفقات الرحلة وأماكن النوم والمبيت وأشياء من هذا القبيل أو نفقات هداياهم التى يقدمونها فى الوجهة. وفى مقابل الإيداع المالى النقدى، كانت خزينة المعبد، تسلم لكل زائر، إيصال مشفر. وبينما كان الزائر يقضى رحلته، كان يسلم إيصاله إلى خزينة المعبد المحلى التى كانت تعطى للزائر أى مبلغ من المال المودع الذى يطلبه، وتقوم بتشفير إيصاله مجددا وفقا لذلك وتعيده لصاحبه.

وعند إنتهاء الرحلة، كان الزائر يظهر إيصاله لخزينة المعبد التى راجعها أول مرة. وكان يتم إعادة أى مبلغ من الإئتمان النقدى إلى صاحبه، وإن كان زائر ما قد سحب أكثر من ماله المودع، كان يمنح فاتورة مناسبة.

إقراض المال

وكان أخذ الفائدة والإقتراض محظور على المسيحيين فى تلك الفترة، لذلك فان إقراض المال كمهنة تقليدية، كانت رائجة بين اليهود فحسب. وقد وجد الفرسان مفرا لهذا الأمر.م

وبما أنه سمح لهم أخذ بدل الإيجار إزاء تأجير بيت أو أرض ما، فقد استفادوا من مبدأ مماثل واستخدموا مصطلح بدل الإيجار لقاء خدمتهم

بدلا عن فائدة المال. وكان بوسع الاشخاص سداد بدل الإيجار أثناء الإقتراض وإضافة مبلغه إلى الحجم الأصلي للمال المقترض.[١]

إن المال غير المشروع والسلطة، دفعا الفرسان إلى الخروج عن الطريق والمهام المرسومة لهم. كما إن موروث القرون المتقادمة في فلسطين وأورشليم استطاع تحريض واستقطاب الفرسان الذين كانوا يرون أنفسهم وقد تسلقوا المراتب العليا للسلطة.

والملفت في أداء هؤلاء الفرسان المسيحيين هو إنشغالهم في الصيرفة وبعدها، الشؤون السرية والباطنية. وكما يقول مؤلف كتاب «تاريخ الحروب الصليبية»:

وقد اشتغل حراس الهيكل فى مهنة الصيرفة إلى جانب الشؤون العسكرية، وبعد فترة وجيزة تحولوا إلى الوكيل المالى للمجاهدين المسافرين، ولم يمر زمن حتى قلصت الآداب السرية من شعبيتهم.[٢]

ولم يكن للملوك المسيحيين أي سلطان على هؤلاء الفرسان الذين كانوا يعتبرون أنفسهم تابعين مباشرة للبابا، وكانوا يتمردون أحيانا على أوامر الملوك ويتابعون نهجهم الخاص بهم فقط.

وكل فرقة كانت تتابع نهجها المرجو لديها بغض النظر عن السياسة الرسمية للدولة. وحدث مرارا أن أبرم كل منهم عهدا مع الأمراء المسلمين. إن قضية المحادثات مع الإسماعيليين عام ١١٧٢ للميلاد تظهر الكراهية الشديدة التي كان يكنها فرسان الهيكل لديوان البلاط.[٣]

وكان الإسماعيليون يهتمون في ذلك الحين بالشؤون الباطنية والعلوم الخفية بصورة جادة، وكانوا يتمتعون بشهرة كبيرة في هذا المجال.

إن تعاون فرسان الهيكل مع المسلمين — على الرغم من أنهم كان يجب

---

1. The Secret History of The Knights Templer, pp 36-37.

٢. **رونسيمان، ستيفن**، «تاريخ الحروب الصليبية»، ترجمة **منوجهر كاشف**، مؤسسة ترجمة ونشر الكتاب، الطبعة الثانية، ١٣٦٠هـ .ش.، ج٢، ص ٣٦٤.

٣. المصدر السابق.

عليهم إعتبار المسلمين أعداء لهم – في الشؤون المالية وتطويرها، يظهر أن الفرسان تحولوا في المجالين العسكري والمالي إلى تنظيم مستقل ومرتزق وإنتهازي ومكتنز للمال.

وكان فرسان الهيكل وفى ظل نشاطاتهم المالية الواسعة، جاهزين لتطوير نشاطاتهم من أجل إجتذاب المسلمين. وكان لهذه الفرقة وكلاء متخصصون فى شؤون المسلمين.[1]

وكل هذا حصل بينما كانت الكنيسة المسيحية تحرم الربا وتعتبره حكرا على اليهود.

١. المصدر السابق، ص ٣٧٠.

عمارة الهيكل وكنائس الهيكل

وبعد فترة وجيزة من تشـــكيل نظام الفرسان، بدأ ضرب جديد من العمارة الكنسية وانتشر في أرجاء أوروبا الغربية. وظهر أول نموذج له في «فرنسا»، حيث الكنائس العالية التي تظهر أســـلوب «غوتيـــك» في العمارة في تلـــك الحقبة. وربما كان للفرســـان دور في تمويل وتشـــييد بعض هذه الكنائس، على ســـبيل المثال، كان يجـــب توفير المصادر المالية الهائلة على الفور لـ«كنيســـة تشـــارترز» من أجل اســـتخراج المناجم ونقل الأحجار ونقل عدد كبير مـــن البنائين العاملين في بناء الأحجار والفنانين لبنائها.

وكان الفرســـان وبجانب جميع الأعمال التي يمارسونها، يفهمون منذ البداية قيمـــة العمارة الجيـــدة ويمتدحونها. وبمـــا أن البابا كان يمثل الســـلطة الوحيدة عليهـــم، لذلك كان بمقدورهـــم تنقيب وفحص كل ما كانـــوا يريدونه. ومثلما أن ذكاءهم الاقتصادي كان في تطور وتنام، اقتبســـوا بعـــض الأفكار من محيطهم، فتعلموا أســـاليب العمارة والبناء الحديثة من الثقافات المختلفة التي كانت تعيش بينهم. وكان معماروهم وبناؤوهم الأفضل، كما كانوا يســـتخدمون العمال المحليين ويســـتفيدون من موادهم وتكنيكاتهم ونماذجهـــم المحلية. كما أن البعض ذهب إلى أن الفرسان كانوا يشيّدون الكثير من مبانيهم على أساس نظام هندسي قديم.

وكان أهالي الهيكل يتعاطون منذ البداية مع البناء والإنشاءات. وعندما أعطاهم

بالدوين الثاني مقار إقامة في «المسجد الأقصى»، منحهم كامل الحرية لبناء تلك المنطقة كيفما يشـاؤون. وكانوا في الفترة ١١٨٧ إلى ١١١٩ للميلاد حيث أعاد **صلاح الدين** بناءها وحولها ثانية إلى مسجد، يستخدمون تلة الهيكل كمقر وشيدوا الكثير من كنائسهم لاحقا على «هيكل سليمان».[1]

وفي عام ١١٣٩ للميلاد، منح البابا **اينوسنت الثاني** إمتيازا لنظام الفرسان تمثل في حريتهم ببناء كنائسهم الخاصة بهم والإستفادة من مدافن متجمعة. إن إحدى مواصفات مبانيهم في أوروبا كانت الكنائس ذات الباحات المستديرة والتي اقتبس نموذجها من تلة الهيكل. جدير ذكره أن ليس جميع كنائس الهيكل كانت تملك باحات مسـتديرة ولا كل كنيسـة تملك ساحة مستديرة شـيدت على يد أهالي الهيكل، لكن هكذا كنائس كانت مرتبطة بهم بشكل ما. وتعد كنيسة الهيكل في لندن أحد أفضل نماذج الكنائس المستديرة في أوروبا.

وزال أسـلوب العمـارة بالباحـات المسـتديرة فى أواخر القـرن الثالث عشـر وحصلـت عمليات صيانة وترميـم عامة علـى الكنائس، تحولت فيه المحاريب الرومية والباحات المسـتديرة إلى شـكل مربع. إن معظم الكنائس الهيكلية هى مبان صغيرة مسـتطيلة الشكل وبلا زخرفة وتزيين والتى تتبع التعليمات الإبتدائية لـ «سـنت برنارد»[2] القائمة على العمارة البسيطة. إن الكنائس الهيكلية كانت بسيطة ومتواضعة ومقارنة بكنائس غوثيـك[3] الكبيـرة والصوامـع فى تلـك الحقبة، وأصبحـت الكنائس الهيكلية فى بعض الأجزاء أشـبه بالبيوت الكبيرة والصلبة شـيئا فشـيئا. ومع ذلك، كان يتم زخرفة داخل هذه الكنائس باسـراف فى سبيل رضا الله، وهـذه الزخرفة كانت من قبيـل الغرف المطلية بالألـوان والمزودة بالشـمعدانات والآنية الفضية والمذهبة والمرصعة بالعاج والرسوم على

1. Domini Templum or Templus Solomonis.
2. St Bernard.
3. Gothic.

الجـدران والرايات المليئة بالنقوش والرسـومات. وفى البداية كان يتم حظر جنائز كبار الشخصيات فى داخل الكنائس الهيكلية، لكن معبد لندن يظهر كيف أنه تم تجاهل هذا القانون فى النهاية وكان يتم دفن الداعمين الأثرياء فى داخل الكنيسة وتحت مظلات نحتت ببراعة.[١]

1. The secret History of the knights Templer, pp38-39.

الفرسان والقواعد الباطنية

إن الدراسات التي أنجزت على كيفية عمل وتواجد «فرسان الهيكل» في «أورشليم» وساحات القتال الصليبية، تظهر أن هؤلاء كانوا يتابعون في هيئة المجاهدين، مآرب ومقاصد أخرى قبل أن يهتموا بـ**الجهاد المسيحي المقدس.** إن ممارسة تسعة من مؤسسي هذا التنظيم العسكري وأمناء السر التابعين لهم، لمهنة الصيرفة والصرافة، ومن بعدهما للطقوس والتقاليد الباطنية والحافلة بالأسرار والغموض تميط اللثام عن معدن الفرسان وانتمائهم للفرق السرية التي يلفها الغموض وعدم الوضوح، الأمر الذي أفضى بعد إنتهاء الحروب الصليبية إلى تشكيل الفرق والمجاميع الخفية في الغرب.

إن «فرسان [الهيكل] كانوا قد نثروا أكثر من المضيافين بذور الحقد والعداء، لأنهم كانوا أكثر ثراء وكانت لهم خبرة دامت على مدى سنوات فى الصيرفة والصرافة فى الشرق، والصرافة ليست بالمهنة التى تجلب المحبة ... وكان معروفا أن أعضاء هذه الفرقة كانوا يطالعون فى ظلال جدرانهم العالية، الحكمة الباطنية ويسعون لتأدية طقوس تفوح منها رائحة الكفر. وكان يقال أنهم كانوا يقومون خلال طقوس قبول الأعضاء الجدد بأعمال وممارسات تتسم بالكفر والشناعة، بما فى ذلك حفلات الترف والمجون والقيام باعمال غير طبيعية والتكلم بعيدا عن اللياقة.

ولا يمكن دحض هذه التهم على أنها شـائعات بثها الأعداء بالمرة، لانها قد تكون أقرب إلى الحقيقة لدرجة يمكن الإسـتناد إليها لمهاجمة الفرقة باشد الأشكال.[١]

وجلي أن تنظيم وتشكل الفرسان تحت عنوان «فرسان الهيكل» يعود إلى زمن إنتشارهم في «أورشليم» وإقامتهم في «هيكل سليمان».

١. **رونسـيمان، ستيفن**، «تاريخ الحروب الصليبية»، ترجمة **منوجهر كاشف**، مؤسسة ترجمة و نشر الكتاب، الطبعة الثانية، ١٣٦٠هـ .ش.، ج ٣، ص ٥١٧.

القسم الثاني

الفرسان وأنقاض الهيكل

الفرسان والتراث الثمين

ويرى عامة المؤرخين أن المهمة الرئيسية للفرسان الموفدين إلى الشرق تتمثل في حماية وحراسة الطرق المؤدية إلى «القدس» ورعاية الزوار والمسافرين المسيحيين، لكن تسليط الضوء على أداء «فرسان الهيكل» أثناء تواجدهم في «أورشليم» وبعد ذلك، يظهر أن هؤلاء كانوا يتابعون أهدافا ومآرب أخرى في ظل المهمة الظاهرية المعلنة.

ولا يخفى أن حماية وحراسة ألوف الكيلومترات من الطرق الموصلة بين أوروبا الغربية وأورشليم والقدس، خارج عن نطاق قدرات وإمكانات تسعة أو أحد عشر فارسا.

وتميط الدراسات التي أنجزها المؤرخون الغربيون المحبون للإستطلاع اللثام عن مصدر ونشأة الفرسان ومكاسب رحلتهم الطويلة في القدس وأنقاض «هيكل سليمان».

وتستند السيدة **جورى لينا**[1] مؤلفة كتاب «مهندسو الخداع والتاريخ الخفي للماسونية»[2] إلى مصادر متعددة حول نشأة الفرسان وتقول:

---

1. Juri Lina.
2. Arechitects of Deception: The concealed History of Freemasonary Stockholm, October 2004, Episode 1, ww33-51.

وقد أسس «هوغس دى باينز»[1] ومعه ثمانية صليبيين يهود بمن فيهم «آندره دو مونت بارد»[2] و«جفروا بيسول»[3] و «جفروا دو سنت اومر»[4] نظام «فرسان الهيكل» رسميا عام ١١١٨ للميلاد. ومع ذلك فان ثمة معطيات يعول عليها تؤكد أن هذا النظام كان قد تأسس بأربعة أعوام من قبل.

وفى عام ١١١٤ للميلاد، يتطرق أسقف مدينة «شارترز» فى رسالة إلى «فرسان المسيح»[5] أى التسمة التى أطلقت فى البداية على هذا النظام.

وأصبح هوغس دى باينز، أول أستاذ أعظم لهذه المجموعة. ويزعم «كريستوفر نايت»[6] و «روبرت لوماس»[7] الماسونيان أن أحد عشر فارسا كانوا فى البداية يسعون لتأمين الطريق الواصل بين ميناء «حيفا» و «اورشليم»، وسمى هؤلاء أنفسهم بـ «الفرسان المساكين لهيكل سليمان» وذلك تأسيسا على المكان الذى كانوا يقيمون فيه. وكانت أورشليم قد تحررت من أيدى المسلمين بتسعة عشر عاما من قبل (١٠٩٩م.)، لكن القوات المسيحية التى استولت على المدينة والمناطق المحيطة بها، كانت تتعرض للتهديد على الدوام من قبل العرب. ولذلك، فان الكنيسة كانت ممتنة لـ دى باينز والفرسان الاخرين من هذه الناحية.

وكان نظام يهودى خفى، وراء كل هؤلاء الأشخاص: «نظام صهيون» الذى أرسى عام ١٠٩٩ للميلاد على يد «غادفروى دو بويلون البالغ من العمر ٣٩ عاما فى رباط «نوتردام جبل صهيون» فى جنوب أورشليم. وكان هوغس دى باينز أستاذه الأعظم الأول الذى أوجد تاليا مجموعة

1. Hugues de Payens.
2. Andre De Moitbard.
3. Geoffroi Bisol.
4. Geoffroi de Saint Omer.
5. La Milicedu Christ.
6. Chrestopher Knight.
7. Robert Lomas

«فرسان الهيكل». وكان آندرة دو مونت بارد العضو الاخر فيه. وكانت التسمية الحقيقية لهذا النظام هى: «فرسان نظام نوتردام صهيون».[٨]

وثمة معطيات تشير إلى أن «نظام صهيون» أسس على الأرجح عام ١٠٩٠ للميلاد...

وجاء في كتاب بعنوان «مفتاح حيرام» تأليف الماسونيين **كريستوفر نايت وروبرت لوماس**، أن «فرسان الهيكل» كانوا يتابعون أهدافا خاصا في الهيكل وتحت ذريعة التواجد بين جموع المجاهدين الصليبيين. ويقولان:

لا يوجد أى مؤشر على دعم مؤسسى «محفل الهيكل» للزوار، لكن لم يمر وقت حتى عثرنا فيه على وثائق دامغة حول الحفريات الواسعة تحت أنقاض «هيكل هرود».[٩]

ويقول **منصور عبدالحكيم** بهذا الخصوص:

إن رحلة هؤلاء الفرسان التسعة إلى القدس لم تأت من أجل حراسة وحماية الطرق المؤدية إلى القدس، بل أنهم جاؤوا إلى هناك فى سبيل البحث عن كنوز طمرت تحت أنقاض أول معبد يهودى عرف بـ «الهيكل» الذى بناه النبى سليمان عليه السلام.

وكان النبى سليمان بن داود عليه السلام قد بنى الهيكل على قمة «موريا» فى القدس وأن أحد الأسماء العبرية للهيكل هو «هيكال» الذى هو مصطلح سامرى يعنى البيت الكبير.

وتهدم «هيكل سليمان» إبان الهجوم البابلى على فلسطين بعام ٨٥٦ ق.م. وأعيد بناؤه بعد عودة اليهود من الأسر البابلى، وهدم مرة أخرى فى عام ٧٠ بعد الميلاد، أثناء ثورة اليهود ضد الرومان.

وقام «فرسان الهيكل» بحفريات واسعة منذ عام ١١٧٤ للميلاد. وجدير

---

8. Chevaliers de l›ordre de Notre-Damede.

٩. **يحيى، هارون**، «فرسان الهيكل»، نقلا عن:
Christopher Knight and Robert Lomes, «The Hiram key», Arrowbooks, 1997, p. 37.

ذكره أن بعض الروايات تفيد بأن فرسان الهيكل عثروا خلال حفرياتهم على كتابات وأوراق كانت قد خبئت هناك وتشرح قصة حياة المسيح عليه السلام وعلاقاته بالأيسيين والغنوسطيين وتؤكد أنهم عثروا على ألواح الشهادة الأسطورية التى منحت للنبى موسى عليه السلام وكذلك آثار مقدسة اخرى وربما تابوت العهد الذى يسمى أيضا تابوت السكينة.

ومع اكتشاف الوثيقة النحاسية للحفريات ضمن وثائق البحر الميت التى وجدت فى «قميران» عند الساحل الشمالى الغربى للبحر الميت عام ١٠٤٧ للميلاد، وترجمت فى منتصف عقد الخمسينيات فى جامعة «مانشستر» لم تشر إلى الكنوز الكثيرة جدا والمشتملة على الذهب والكتابات، لكنها وصفت ذلك الموقع الذى خبئت فيه هذه الكنوز بالكامل، وهو على وجه الدقة الموقع الذى قام فيه فرسان الهيكل أى تحت «هيكل سليمان» بحفريات.

ويبدو أن هذه الوثائق هى واحدة من عدة نسخ وقعت بيد فرسان الهيكل، واحتوت تلك الوثائق بطبيعة الحال على إرشادات مسهبة حول موقع الأشياء النفيسة والثمينة والكنوز العبرية.[١]

وقد دُمر «هيكل سليمان» ونهب بنحو عام ٥٨٦ ق.م. على يد ملك بابل نبوخذ نصر. ومن ثم أعاد **هيردوس الكبير** بناءه إلى أن دمره الجنود الرومان مرة أخرى عام ٧٠ للميلاد. وتوجه الفرسان إلى الأقسام المتبقية من الهيكل وحسبما تقول السيدة جوري لينا، مؤلفة كتاب «مهندسو الخداع» أن الفرسان لم يسمحوا على نحو عشر سنوات لأحد غيرهم بالدخول إليه، وانهمكوا بالعمل السري بشدة ... وثمة إحتمال أن يكون الفرسان قد عثروا على أجزاء من الكنوز التي لم يتمكن نبوخذنصر الثاني والرومان من إنتشالها من تحت التراب. وتشير «وثيقة البحر

١. **عبدالحكيم، منصور**، «حكومة العالم الخفية».

الميت» إلى أن كنز الهيكل كان يضم ٦٥ طنا من الفضة و ٢٦ طنا من الذهب.[١]

وطرح مؤرخ اخر يدعى **دلافورج** إدعاء مماثلا لمؤلفي كتاب «مفتاح حيرام» إذ يقول:

إن المهمة الرئيسية للفرسان التسعة كانت تتمثل فى إنجاز الدراسات للحصول على الآثار القديمة والمخطوطات التى تحتوى على ماهية التقاليد الخفية لليهودية ومصر القديمة.

وفى أواخر القرن التاسع عشر، بدأ تشارلز ويلسون من «جمعية رويال للمهندسين» دراسة حول علم الآثار فى أورشليم. وتوصل إلى نتيجة مؤداها أن الفرسان حطوا الرحال فى أورشليم من أجل دراسة أنقاض الهيكل. وعثر ويلسون على علائم ومؤشرات حول الحفريات والتحريات فى أسفل أساسات الهيكل وتوصل إلى هذه النتيجة من أن هذه الأعمال أجريت بواسطة الأدوات المتعلقة بفرسان الهيكل. وهذه المواد توجد فى مجموعة روبرت برايدون الذى يمتلك أرشيفا معلوماتيا كاملا عن نظام الهيكل.[٢]

الوثيقة النحاسية، لم تكن سوى مخطط كنز

وينقل **منصور عبدالحكيم** عن **لورنس غاردنر** قوله:

إن فرسان المعبد عثروا خلال حفرياتهم على ذهب إضافة إلى الكتابات المخطوطة بخط اليد ومخطوطات كثيرة باللغتين العبرية والسريانية والتى يعود تاريخ العديد منها إلى عصر ما قبل المسيح.

وقد اكتشف فرسان الهيكل أخطاء كثيرة فى معتقدات المسيحيين بشأن

---

١. **لينا، جوري**، «مهندسو الخداع والتاريخ الخفي للماسونية»، الفصل الأول، ترجمة **فاطمة شفيعي سروستاني**، صص ٣١-٥١.

٢. **يحيى، هارون**، «فرسان الهيكل»، ص ٢٢-٢٣؛ نقلا عن:
C.Wilson, «The Excavation of Jerusalem», Christopher Knight, Robert Lomas, «The Hiram key», p. 38.

السيد المسيح عليه السلام، بما فى ذلک فيما يخص المسيح عليه السلام ذاته وكانوا يؤمنون بان المسيح عليه السلام ليس الله ولا إبن الله، بل هو نبى عادى...

ويذهب البعض إلى الإعتقاد بان فرسان الهيكل، كانوا يملكون وثائق حول الديانة المسيحية كانت أكثر أهمية من الأناجيل المماثلة لاحدها الاخر، وقد توعد قادة الفرسان، رجال دين الكنيسة بطريقة مباشرة أو عن طريق الألغاز والرموز بانهم سيقدمون وثائق ومستندات تبرهن زيف وكذب مزاعمهم حول أن المسيح عليه السلام هو الرب، ولذلک فقد قضى عليهم البابا وملک فرنسا ليحولا دون عملهم هذا. واتهمهم البابا وملک فرنسا بالهرطقة فى الدين والوثنية ومحاربة المسيحية وعدم تقديس الصليب المقدس.[٣]

لكن وعلى افتراض صحة هذا الكلام، فان هذه المعرفة كان يمكن فقط أن تستخدم كذريعة لإبتزاز أرباب الكنيسة، في حين أن الكثير من القرائن تشير إلى أن ما حصل عليه الفرسان خلال سنوات سكناهم في أورشليم وبجوار أنقاض الهيكل، كانت له قيمة تفوق الإبتزاز وأخذ الإتاوات.

٣. **عبدالحكيم، منصور**، «حكومة العالم الخفية»، ص ١٠٦.

القبالة، التقرب إلى الشيطان؛ الكنز الكامن في أنقاض هيكل سليمان

والآن يجب التساؤل، ما الذي عثر عليه «فرسان الهيكل» أثناء بحثهم في أنقاض «هيكل سليمان» في «أورشليم»؟

لقد حصل الفرسان سواء قبل الدخول في مغامرات الحروب الصليبية أو بعدها وفي ظل نهب البلدان الشـــرقية، على كنوز جعلتهم في غنى عن كل شـــئ. كما أن المنزلة التي اكتســـبوها من الكنيسة جعلتهم يحصلون على الكثير من الأموال المنقولـــة وغير المنقولة في هيئة هدايا ونـــذور وموقوفات تضاف إلى الغنائم التي نهبوها من المسلمين. إن ما حصل عليه الفرسان خلال وجودهم في الهيكل وعلى إثر البحوث التي قاموا بها، كانت قيمته تســـاوي أمثال أمثال مجمل الأموال آنفة الذكر. فقد توصل هؤلاء إلى المصادر والأســـرار الخفية ل"المصريين القدامى» و «أشرار اليهود» و «كهنة هيكل سليمان». إرث ثمين من «السحرة والسامريين» استطاع الفرسان بفضله القيام بأعمال خارقة والولوج إلى العوالم الماورائية وبالتالي فرض هيمنتهم على الاخرين بمدد «العلوم الخفية والغريبة».

إن إنتباه واهتمام مؤرخي تاريخ «الحروب الصليبية» بانشغالات فرسان الهيكل بالعلـــوم الباطنية والغامضة وإتهامهم بالكفر والهرطقـــة، ناتج عن الدنس الخاص الذي طال الفرسان على مدى الســـنوات المديدة من وجودهم في أورشليم. وفي الحقيقة يمكن القول:

إن تراث «السحرة اليهود» في مصر القديمة والذي كان قد انتقل إلى كهنة الهيكل عن طريق السامريين والسحرة، إنتقل بدوره إلى «فرسان الهيكل». إن الحصول على العلوم الخفية والباطنية بما فيها «القبالة» يعد أحد أضخم مكاسب الفرسان على امتداد سنيّ سكناهم في أورشليم.

وكما أشرنا في الجزء السابق من مجموعة «قبيلة اللعنة»، فقد أعتبرت القبالة، في ترابط مع التراث المعنوي لليهودية الحاخامية، تصوفا يهوديا، وكانت تشكل الأسس النظرية والتطبيقية للكهنة اليهود المهيمنين على المحافل السرية لبني اسرائيل.

واستند **إسماعيل رائين** في الجزء الأول من مجموعة «الماسونية في ايران» المكونة من ثلاثة أجزاء، إلى المصادر التاريخية المتصلة بكيفية إضفاء الرسمية على «فرسان الهيكل» وإنحدار الأموال نحوهم ليقول:

وكان أول ملك مسيحى لبيت المقدس يدعى «بالدوين الثانى» وضع مكانا بالقرب من أورشليم بتصرف جمعية «حراس الهيكل». واعترف فى عام ١١٢٨ للميلاد رسميا بالمجلس الإستشارى المقدس لهذه الجمعية، وأصدر البابا الأعظم مرسوما باسمها. وفى هذا المرسوم، ألزم البابا، أعضاء الجمعية بإحتمال الفقر والتقيد بالتقوى وطاعة أوامر الكنيسة.

وكان «حراس الهيكل» يشاركون مذاك، بالزى المزين بالصليب والمزخرف بالزينة الخاصة، فى الحروب وكانوا يبدون شجاعة هائلة، وبما أنهم كانوا ملزمين وفقا لمرسوم البابا، ألا يعتاشوا إلا على النذر والتبرعات الدينية، فكانت النتيجة أن انهالت عليهم الأموال النقدية الهائلة وحتى المجوهرات من أكناف أوروبا كتبرع وتقرب إلى المسيح. ولم يمر وقت حتى أصبح رؤساء الجمعية أصحاب جلال وجبروت وثروة كانت تساوى ثروة وجلال الملوك، كما أصبح زعماء الجمعية الذين كان هدفهم فى البداية حماية أورشليم وزوار الديانة المسيحية، أصحاب نفوذ

كبير فى العديد من المدن الأوروبية وأقاموا فيها فروعا.[١]

ويقول **رائين** كذلك حول تماشي مجاراة الفرسان للعلوم الباطنية لدعاة الفاطمية الاسماعيلية:

وأقام هؤلاء الأشخاص على إثر إقامتهم فى فلسطين وسورية، علاقات مع بعض دعاة الفاطمية والباطنية والصباحية واطلعوا على تعاليمهم السرية... إن قبول تعاليم الإسماعيلية ومكافحة الفرسان لنفوذ أصحاب الكنيسة سرعان ما أدى إلى تدفق تهم وإفتراءات الأوساط والبلاطات الأوروبية بإتجاههم.[٢]

وحسب بعض القرائن، فان تواصل واستئناس «فرسان الهيكل» مع الجمعيات السرية والباطنية الإسماعيلية، بلغ حدا أن الفرسان خانوا الكنيسة المسيحية رغم مهمتهم الذاتية وإلتزامهم تجاهها:

إن هذا التحول دفع بفرسان الهيكل بصورة تدريجية إلى التعاون مع المسلمين فى الكثير من الأحيان أكان بصورة باطنية وخفية أو علنية وجلية وحتى أنهم تصرفوا بما يضر المسيحيين وتسببوا لهم بارباكات فى بعض الأحيان، بحيث أن المؤرخين قالوا إن إخفاق الإمبراطور «كوتواد الثالث» فى محاصرة «دمشق» عام ٥٤٣ للهجرة (١١٤٩م.) حصل من جراء مساومة فرسان الهيكل مع معسكر مسلمى المدينة.[٣]

وقد أكد المؤرخون أن عدة مدن للمسلمين تم تداولها وتبادلها خلال الحروب الصليبية بين فرسان الهيكل والباطنيين والإسماعيليين. وفضلا عن ذلك، فقد أثر أسلوب عمل الإسماعيلية عليهم لدرجة أن أكابر

---

١. **رائين، إسماعيل**، «الماسونية في ايران»، طهران، إصدارات مؤسسة رائين للدراسات، الطبعة الثانية، ١٣٤٧هـ .ق.، ج ١، صص ٢٦٥-٢٦٦.

٢. المصدر السابق.

٣. **مرتاض زادة بنجابى**، «نبذة تاريخية عن الجمعيات السرية منذ العهد القديم وحتى الجديد»، طهران، فردوسي، ١٣٢٢هـ .ش.، ص ٣٤.

وأعاظم أوروبا ممن كانوا يعارضون فرسان الهيكل، قتلوا على طريقة الإسماعيلية وعلى يد فدائيي هذه الفرقة.[١]

ومن أمراء الفرنجة الذين قتلوا على يد الإسماعيلية، كان ريموند، كونت «طرابلس» الذى قتل عام ١١٥٢ للميلاد.[٢]

ويقول **محمّد عبد الله عنان** في وصف ماضي وتاريخ الجمعيات السرية:

وقد اقتبس فرسان الهيكل نظام إدارة فرقتهم وهيكلهم التنظيمى من الفرقة الإسماعيلية، وأرسوا على ذلک الأساس، تنظيمهم السرى.

وقام «فن هامار» بتشبيه مراتب الدعاة والرفاق والفدائيين فى جمعية الإسماعيلية بالمراتب الثلاثية فى تنظيم «البناؤون الأحرار» التى هى عبارة عن أساتذة البناء وتلامذة هذه المهنة والشبان المبتدئين.[٣]

إن تجربة أداء قسم كبير من الفرق والتنظيمات صاحبة الهياكل المعقدة والسرية تظهر أن هؤلاء أقاموا تواصلا وترابطا مع اليهود بصورة مباشرة أو غير مباشرة. وقد حقن بنواسرائيل دائما نهجهم بين هذا القبيل من الفرق واستفادوا من عُدتهم وعديدهم لمصلحتهم.

ولا ننسى أن عامة السحرة ومدمني العلوم الخفية، يعتبرون إقتراف الذنوب والمعاصي وهتك حرمات المصادر والشخصيات المقدسة والدينية، وسيلة وتوطئة للتواصل مع القوى الشيطانية الماورائية والتعاون معها. إن هذا القبيل من الممارسات الشنيعة يتمتع بمكانة خاصة في جميع التعاليم السرية للسحرة.

وقد حصل هذا كله فيما أثار موضوع الردة والسحر، موجة من الرعب الحقيقي بين مسيحيي أوروبا في القرنين الثالث عشر والرابع عشر للميلاد.

إن دراسة أداء «فرسان الهيكل» تظهر أن هؤلاء أصيبوا وأدمنوا شيئا فشيئا على

---

١. **مرتاض زادة بنجابى**، «نبذة تاريخية عن الجمعيات السرية منذ العهد القديم وحتى الجديد»، ص ٣٤.

٢. **عنان، محمّد عبدالله**، «تاريخ الجمعيات السرية والحركات الهدامة»، ترجمة **علي هاشمي حائري**، طهران، إصدارات مكتبة بهجت، الطبعة الثالثة، ١٣٥٨هـ .ش.، ص ٦٤.

٣. المصدر السابق، طهران، إصدارات مكتبة بهجت، الطبعة الثالثة، ١٣٥٨هـ .ش.، ص ٥٨.

الآثام والمعاصي وحتى الكفر، بحيث أن ذلك دفع الكنيسة المسيحية والبابا إلى التدخل وصدور الأوامر بمحاكمة الفرسان.

وفى أواخر القرن الثالث عشر للميلاد، ساء صيت الفرسان وشك فيهم رجال الدين إضافة إلى أنهم أصبحوا موضع شك وشبهة من لدن عامة الناس، ونسبت إليهم أمور وفضائح كثيرة بما فيها الإستغراق فى شرب الخمر والإعتداء على الأعراض وارتكاب الكبائر، وألقيت ظلال من الشك على معتقداتهم الدينية وأسسهم السرية، بحيث أن البابا «كلمنت الخامس» أمر فى عام ١٣٠٥ للميلاد، الأستاذ الأعظم لـ «فرسان الهيكل» والذى كان «جاك دو مولاى» آنذاك بمغادرة قبرس. وكان يعمل آنذاك على تنظيم قوات الصليبيين وتوجه حسب أمر البابا إلى فرنسا وجلب معه كمية كبيرة من الذهب والفضة والمجوهرات التى كان الفرسان حصلوا عليها من الشرق.

وفتح البابا تحقيقا بشأن ردتهم عن الديانة النصرانية وإعتناق التعاليم الوثنية وقام بدراسة حول أنواع كفرهم وكبائرهم. وفى تلك الفترة كان «فيليب مقبول» يحكم فرنسا وكان فى وفاق مع «فرسان الهيكل» لكنه خاف وتقدم على البابا فى ملاحقتهم وقمعهم وألقى القبض على جميع فرسان الهيكل من الفرنسيين فى أكتوبر ١٣٠٧ للميلاد، وأدرج المدعى العام، التهم التالية فى لائحة الإتهام ضدهم:

١. إن بروتوكول الإنخراط فى الجمعية يتضمن الإساءة إلى الصليب وإنكار المسيح وارتكاب الفسق والفجور؛

٢. إنهم يعبدون الأوثان ويقولون إن الوثن هو الإله الحقيقى؛

٣. إنهم يتجاهلون تلاوة ألفاظ التقديس أثناء إقامة القداس؛

٤. لقد خصص قادتهم أخذ الإعتراف وحق غفران الذنوب لهم وحدهم فى حين أنهم ليسوا من رجال الدين؛

٥. إنهم يبيحون إرتكاب العمل الإجتماعى الشاذ (والقصد منه اللواط).
وقد إعترف بهذه التهم الكثير من الفرسان بمن فيهم جاك دو مولاى، فيما أقر بعضهم أن صليبا قدم له خلال إنضمامه للجمعية ركب عليه تمثال المسيح، وكانوا يسألونه هل تؤمن بالوهيته (المسيح) أم لا؟ فان كان الجواب نعم، كانوا يقولون له أنه فى ضلال، لان المسيح ليس الله، بل نبى مزيف، والبعض الاخر كان يقر أنهم كانوا يؤمرون أن يبصقوا على الصليب وأرغم العديد منهم على ارتكاب الممارسات الشنيعة من قبيل العمل الإجتماعى الشاذ (اللواط).

وعلى الرغم من الإحتجاج على تدخل «فيليب مقبول» فى التحقيق مع هذه الفرقة، قرر البابا فتح تحقيق حر بشأنهم، لان تحقيق المدعى العام الفرنسى مع هذه الفرقة، تخلله ممارسة التعذيب. وأخذ المدعى العام أقوال وأقارير عدد كبير من «فرسان الهيكل» بحضور البابا شخصيا وحقق مع أستاذهم الأعظم «جاك دو مولاى» ودعاة الجمعية بحضور مجمع الكردينالات، وأقر هؤلاء أن ما نسب إليهم من إنكار المسيح والإساءة إلى الصليب، صحيح وأيدوا إرتكاب الرذائل المقيتة والأعمال الشنيعة التى أقروا بها للمدعى العام، ومع ذلك، لم يقتنع البابا بجرائم الجمعية بشكل عام وقرر تشكيل لجنة تحقيق بابوية فى «باريس». للبت فى ممارسات الجمعية. وتشكلت هذه اللجنة عام ١٣٠٩ للميلاد واستدعوا الأستاذ الأعظم لفرسان الهيكل وأزيد من مائتى فارس وشرعت تحقيقات بطيئة بواسطة عدد من كبار الأساقفة والقساوسة. وعدل بعض الفرسان بمن فيهم الأستاذ الأعظم بعض الأقارير السابقة إلى حد ما، وحادوا عما كانوا قد قالوه فيما صدق البعض الاخر صحة التهم الشنيعة التى نسبت إلى الجمعية. وأنجزت تحقيقات أخرى مع الفرسان فى عدد من مدن ايطاليا وألمانيا وأفضت فى النهاية إلى أن يصدر «كلمنت الخامس»

مرسوما أشار فيه إلى جرائم الكفر وشنائع الأعمال التى تسببت باعتقال فرسان الجمعية فى بريطانيا وفتح تحقيقا [فى هذا الخصوص]. واعترف بعضهم بالتهم المذكورة فيما شهد شهود من الخارج على صحة هذه الإعترافات.

وما إن أفشيت أسرار الفرسان وفضحوا بالتالى، غضبت جميع الدول عليهم واتخذ البابا قرارا باتا وأصدر «مجلس وينه المقدس» قرارا بعام ١٣١٢ للميلاد بشأن حل الجمعية السرية المذكورة، وعلى إثره تعقيب أعضاء الجمعية أى «فرسان الهيكل» أينما وجدوا، ومارسوا أبشع أنواع التعذيب ضدهم فى فرنسا وأحرقوا أربعة منهم وهم أحياء عام ١٣١٠ للميلاد، ومن ثم تم إحراق الأستاذ الأعظم جاک دو مولای فى مارس ١٣١٤ للميلاد.[١]

وهناك قرائن تشير إلى أن الفرسان كانوا يعتبرون تعليماتهم السرية والمهمة، بانها تخص أصحاب السر وأمناء السر، فيما كانوا يلقنون الأنصار والعوام تعليمات أخرى.

ويقول **اسماعيل رائين** حول أحد التهم التي وجهتها سلطات الكنيسة لهذه الجمعية:

١. ... إقامة مراسم تتسم بالكفر أثناء قبول الأعضاء الجدد وتنفيذ بروتوكولات من قبيل: إهانة الصليب وإنكار ألوهية المسيح والإبتهال باسم شخص كانوا يعتبرونه إلها حقيقيا؛

٢. إطلاق ألفاظ وعبارات خاصة وغير صحيحة أثناء إقامة القداس؛

٣. الصفح عن الذنوب من قبل رؤساء الجمعية وبذلک التدخل فى عمل الكنسية؛

---

١. **عنان، محمّد عبدالله**، «تاريخ الجمعيات السرية والحركات الهدامة».

٤. إشباع الشهوات بالطرق غير الطبيعية.[١]

وإضافة إلى ذلك:

وأتهم الفرسان أيضا بالمشاركة فى مجالس المثلية الجنسية والعمل المتسم بالكفر. وأقر أحد الأخوة أن «جاك دو مولاى» كان يقيم علاقات مثلية. إنهم كانوا يعبدون «بافومت»[٢] وهو الوثن ثنائى الجنس والشهوانى.

وتشير وثيقة «البحر الميّت»:

وحسب الرموز اليهودية فان مفردة «بافومت» تعنى «سوفيا» أى «الحكمة» باللغة اليونانية.

إن بافومت كان بحاجة إلى دماء جديدة للضحايا. ولهذا السبب كان «فرسان الهيكل» ينحرون الأطفال. وكلما كان يراق دم أكثر كلما كان نظام فرسان الهيكل يصبح اقوى... ومن وجهة نظر فرسان الهيكل، فان «بافومت ازمندس» (آسموديوس) كان حارس خزنة سليمان. ولقب آسموديوس فى «التلمود» الكتاب المقدس لليهود، زعيم الشياطين.[٣]

ويقول بعض المؤرخين حول علاقة الفرسان بالتعاليم السرية والعلوم الغريبة الرائجة لدى الاسماعيليين:

لقد تعلم أحد الفرسان وكان يدعى «جيوم دمونبار» مذهب الإسماعيلية على يد «شيخ الجبل» فى مغارة من مغارات «جبل لبنان» عندما كان هذا الموقع، معقلا لفرسان فلسطين. ويشير «فن هامار» إلى أوجه الشبه بين تعليمات الاسماعيلية وفرسان الهيكل فيما قدم «كلاول» المؤرخ الشهير لـ«البناؤون الأحرار» توضيحا فى هذا الخصوص وقال:

«ويذهب المؤرخون الشرقيون فى العصور المختلفة إلى أن فرسان الهيكل

---

١. **رائين، اسماعيل**، «الماسونية في ايران»، ص ٢٦٧؛ نقلا عن كتاب «فضائح الماسونية»، ص ١٩٨.

2. Baphomet.

٣. **جوري، لينا**، «مهندسو الخداع: التاريخ الخفي للماسونية»، الفصل الأول.

كانوا يقيمون علاقات وثيقة مع الإسماعيلية ويبيون أوجه الشبه والتماثل فى الفرقتين ويقولون إن كلتا الفرقتين إختارتا لأنفسهما اللونين الأحمر والأبيض كشعار، واتبعتا أنظمة موحدة واعتمدتا نفس تلك المراتب أو الدرجات فى جمعيتهما. وكانت مراتب الفدائيين والرفاق والدعاة فى إحدى تلك الفرقتين (الإسماعيلية) تساوى مراتب المبتدء والمنتهى والفارس فى الفرقة الاخرى (فرسان الهيكل)، وكانت كلتا الفرقتين تتآمران لهدم ونسف الدين الذى كانتا تتظاهران بالإيمان به أمام العامة، وبالتالى فان الفرقتين، استحوذتا على قلاع عديدة، فالاسماعيلية فى اسيا وفرسان الهيكل فى أوروبا».[١]

وثمة رواية أخرى تستحق الإنتباه طبعا حول الفرسان، تنسبهم إلى التوجهات اليهودية:

وقيل أن أحد «فرسان الهيكل» ويدعى «جيوم دمونبار» إنخرط فى هذا المذهب بتوجيه من أحد شيوخ وكبار مذهب الاسماعيلية عندما كان الفرسان يتخذون من فلسطين معقلا لهم.

وذكر المؤرخون أن هناك أوجه شبه كثيرة فى التعاليم الدينية للاسماعيليين وفرقة فرسان الهيكل. ويقول المؤرخ الماسونى «كلاول» فى هذا الخصوص:

«إن المؤرخين الشرقيين فى العصور المختلفة يرون ان فرقة فرسان الهيكل كانت تقيم علاقات وثيقة ومتينة مع الاسماعيليين. ومن أجل إثبات هذا الإدعاء يركزون على أوجه الشبه بين هاتين الفرقتين فى الحالات المختلفة، بما فى ذلك أن كلتا الفرقتين، اختارتا اللونين الأحمر والأبيض لهما واتبعتا نظاما ودرجات موحدين، على سبيل المثال، كان درجات الفدائيين والرفاق والدعاة لدى الاسماعيلية تساوى درجات

١. **عنان، محمّد عبدالله**، «تاريخ الجمعيات السرية والحركات الهدامة»، ص ٧٦.

المبتـــدء والفارس. وأحد أوجه الشـــبه الاخرى بين هاتيـــن الفرقتين هو التواطؤ والتخطيط للقضاء على الدين الذى كانوا يتظاهرون باتباعه أمام الناس، وفى النهاية فان كلتـــا الفرقتين كانتا تملكان قلاعا كثيرة وقوية، فالاسماعيليون كانت لهم قلاع فى اسيا وفرسان الهيكل فى أوروبا».[١]

١. **عبدالحكيم، منصور**، «حكومة العالم الخفية».

فرسان الهيكل وإحياء اليهودية

إن ما يلفت إنتباه الكثير من الباحثين بشأن العلاقة والنسبة القائمتين بين المحافل السرية للعصر الحاضر بما في ذلك «الماسونيون» و «فرسان الهيكل» هو أوجه الشبه الكثيرة بين هذين التيارين في السير والسلوك، وإستقطاب الأعضاء والرسميات الخاصة التي اعتمدها ويعتمدها هذان التياران في جميع مناسباته وطقوسه العلنية والخفية. إن عادات وتقاليد هاتين الفرقتين مماثلة لإحداها الاخرى لدرجة أنها تلفت إنتباه كل قارئ واع للترابط والتناسب القائمين فيما بينهما.

ويقول **هارون يحيى** الذي إنخرط للمحافل الماسونية بصورة علنية عام ٢٠١٥م.:

وثمة كتاب عنوانه «مفتاح حيرام» من تأليف ماسونيين يدعيان كريستوفر نايت و روبرت لوماس، يكشفان النقاب عن حقائق مهمة عن جذور الماسونية. وحسب الكتاب فان الماسونية هى إستمرار لفرسان الهيكل، وعلاوة على ذلك، فان هذين المؤلفين يلقيان الضوء على مصادر نظام الهيكل.

وتعرض فرسان الهيكل طوال فترة سكناهم فى أورشليم لتغيرات هائلة واعتنقوا معتقدات أخرى بحضور المسيحية. وثمة سر كامن فى صلب هذا الموضوع إكتشفوه فى «هيكل سليمان». ويعتبر مؤلفو هذا الكتاب

أن أعضاء نظام الهيكل هم حماة ورعاة الزوار المسيحيين، لكنهم كانوا يتابعون هدفا مختلفا بالكامل من خلال التظاهر بهذا العمل.[١]

ولا توجد أى علامة وأثر على دعم مؤسسى محفل الهيكل للزوار، لكن لم يدم الامر طويلا حتى عثرنا على وثائق دامغة تفيد بتنفيذ حفريات واسعة أسفل أنقاض «هيكل هيرودس».[٢]

ولم يكن مؤلفا كتاب «مفتاح حيرام» من اكتشفا وحدهما هذه الشواهد، بل أطلق مؤرخ فرنسي يدعى **دلافورج** كلاما مماثلا وقال:

وكانت المهمة الرئيسية للفرسان التسعة هى القيام بدراسات للحصول على الآثار القديمة والمخطوطات التى كانت تحتوى على ماهية التقاليد الخفية لليهودية و مصر القديمة.

وفى أواخر القرن التاسع عشر شرع تشارلز ويلسون من «جمعية رويال للمهندسين» بحوثا حول علم الآثار فى أورشليم. وتوصل إلى نتيجة أن الفرسان حضروا إلى أورشليم لدراسة أنقاض الهيكل. وعثر ويلسون فى أسفل أساسات الهيكل على علائم عن الحفريات والبحوث وتوصل إلى هذه النتيجة بان هذه الأعمال تمت بواسطة الأدوات المتعلقة بفرسان الهيكل. وتوجد هذه الأدوات فى مجموعة «روبرت برايدون» الذى يملك أرشيفا معلوماتيا واسعا عن نظام الهيكل.[٣]

ويرى مؤلفا كتاب «مفتاح حيرام» أن حفريات هؤلاء الفرسان لم تكن من دون نتيجة ويستدلان بان هذه المجموعة اكتشف آثارا فى أورشليم غيرت من رؤيتهم تجاه العالم، وإضافة إلى ذلك، فان العديد من

---

١. **يحيى، هارون**، «فرسان الهيكل»، طهران، هلال، الطبعة الخامسة، ١٣٩١هـ .ش.، صص٢١-٢٢.

٢. المصدر السابق، نقلا عن:

Christopher Knight, Robert Lomas, The Hiram Key, Arrow Books, London, 1997, p.37.

٣. **يحيى، هارون**، «فرسان الهيكل»، ص ٢٣؛ نقلا عن:

C.Wilson, the Excavation of Jerusalem, Christopher Kinght, Robert Lomas, the Hiram Key, p. 38.

الباحثيــن الاخرين يذهبون إلى الإعتقاد ذاتــه. وكان ثمة دليل حتما دفع بفرســان الهيكل ورغم كونهم مســيحيين، للإنتقال من البلدان المسيحية فى العالم إلى أورشــليم وقبول معتقدات وفلســفة مختلفان تماما وتأدية طقوس هرطقية وتنفيذ بروتوكولات «السحر الأسود».

ووفقا للرؤيةالمشــتركة للكثيــر من الباحثين، فهذا هو ســبب «القبالة». وتعنى القبالة لغويا «الوثيقة الشــفهية». وتعرفها الموســوعات والمعاجم اللغوية على أنها فرع غامض وســرى لليهودية. وبناء على هذا التعريف، فان القبالة تســبر غــور المعانى الخفية لــ «التوراة» وباقــى الكتابات اليهودية، لكن ومع دراسة الموضوع بصورة دقيقة نكتشف حقائق أخرى، بمــا فيها أن القبالة هى نظام يضرب بجــذوره فى عبادة الأوثان. وكانت قائمة قبل التوراة وانتشــرت وتوسعت فى اليهودية مرة أخرى بعد ظهور التوراة.[١]

ويقدم العديد من الباحثين أدلة وشواهد ليتوصلوا إلى نتيجة أن فرسان الهيكل وتأثرا منهم بالمؤسســات السرية والخفية، أقدموا على التحري والبحث في أنقاض الهيكل ليحصلوا على مجموعة من الأســرار والوثائق والكنوز أسهمت في المزيد مــن ثرائهم وتوجيههم نحــو العلوم الباطنية والقبالة علــى وجه الخصوص. وهذه التعاليم أدت إلى لجوء الفرسان إلى التقاليد السحرية.

ويعرض الكاتب الفرنســى «اليفس لوى» مؤلف كتاب «تاريخ الســحر» فــى كتابه شــواهد تفضيلية ويبرهن أن فرســان الهيــكل، خطوا الخطوة الاولــى فى قبــول تعالم القبالة، بعبــارة أخرى، فقد تعلمــوا هذه التعاليم بصورة سرية.[٢]

---

١. **يحيى، هارون**، «فرسان الهيكل»، صص ٢٣-٢٤؛ وللمزيد من المعلومات حول القبالة، راجع الجزء الرابع من مجموعة «قبيلة اللعنة» بعنوان «الأوليغارشية الحاخامية، التلمود والكابالا».

٢. **يحيى، هارون**، «فرسان الهيكل»، ص ٥١؛ نقلا عن:
Eliphas Levi, Histoere de la Magie, p. 273; Nesta H. Webster, Secret Societies And Subversive Movments.

وبناء على ذلك يتم الزعم أن أســس وأساليب التعاليم الكابالائية إنتقلت عن طريق الفرسان إلى حدود تجاوزت أورشليم.

ويرى مؤلف كتاب «مهندسو الخداع والتاريخ الخفي للماسونية»:

إن «فرسان الهيكل» ذهبوا إلى الأقسام المتبقية من الهيكل ولم يسمحوا للاخرين بالدخول. وعلى مدى نحو عشرة أعوام، إنهمك تسعة من أحد عشر فارسا (المتبقون الوحيدون منهم) بالنشاطات السرية بشكل دؤوب. وكانــوا يحمون على الظاهر مســار عبور الزوار، لكن ليســت هناك أى وثيقة تؤكد ذلك. وكيف يمكن لأحد عشر فارسا أن يحافظوا على طرق تمتد لمئات الأميال، وكان يمر عبرها عدد أكبر من المسيحيين يوميا.

وثمــة إحتمال أن يكون الفرســان قد عثروا على جزء مــن الكنوز التى لم يتمكن «نبوخذنصر الثانى» والرومان من إنتشــالها من تحت التراب. وأشارت وثيقة «البحر الميت» إلى أن كنز الهيكل كان يضم ٦٥ طنا من الفضة و ٢٦ طنا من الذهب...

القسم الثالث

تجديد حياة فرسان الهيكل ونشأة المحافل الخفية

الحركات الإحتجاجية ضد الكنيسة البابوية

لقد بدأت الحركات الإحتجاجية على أداء أرباب الكنيسة وكل ما كان يُعرض على الناس باسم ديانة **المسيح**(عليه السلام)، في السنين الباردة للعصور الوسطى، واتسع نطاقها مع الوقت. وبما أن رجال دين الكنيسة كانوا ينسبون للأسف كل التعاملات والمناسبات الكنسية إلى حقيقة الدين والتدين، فان الحركة الإحتجاجية للناقدين كانت تنطوي في حد ذاتها على موجة من الإعراض عن الدين والتوجه نحو المذاهب الباطلة والإلحاد وحتى عبادة الشيطان. وكل مفكر ومع مشاهدته للقرائن والشواهد كان يستطيع أن يكتشف بان جرس نهاية ديانة العصور الوسطى قد قرع.

وفي رؤية أولي الألباب، فان رجال الدين المسيحيين (أرباب الكنيسة) وبعد رجال الدين اليهود، وجدوا طوال سنوات العصور الوسطى، فرصة لعرض كل ما كان في جعبتهم، وعلى الرغم من كل الضجيج والإدعاءات والفرص، خرجوا خاليي الوفاض من الميدان وتسببوا في ظل ممارسة الإستبداد في إعراض الكثير من الناس عن الدين والتدين. ولذلك فان أمواج الإلحاد والأعمال التخريبية أخذت تدك جدران الكنيسة المسيحية منذ أواخر القرن الثاني عشر للميلاد الواحدة تلو الأخرى، ومهدت لإندلاع أعمال عنف وتمرد كبير ضد الدين.

نهضة الألبي

ويقــول **محمّد عبد الله عنان** حــول كيفية تجديد الحياة والهبــة المجددة لطقس «فرسان الهيكل» بطبع شيطاني:

إن نيــران الدعوة إلى الهدم والتخريب لم تنطفئ مع قمع الفرســان وحل جماعاتهــم، لكن لهيبها اختــرق فى الحقيقة أعمــاق البيئات المعتمة فى الدول الأوروبية المختلفة واتســمت أســس الإلحاد والتمرد ضد الدين، بطابع جديد. وفى تلك الحقبة، انتفضت الفرق الســرية الاخرى ما أسهم فى دوام واســتمرار الدعوة إلى الهــدم والعمل لقلب النصرانية والمبادئ الدينية والاخلاقية. إن هذه الصورة الحديثة تجلت فى أواخر القرن الثانى عشر، إذ ظهرت جماعات ملحدة كثيرة فى جنوب أوروبا وغربها. ونشأت هذه الحركة المبعثرة والمتشتتة فى جنوب فرنسا تحت راية جمعية حديثة التأسيس تدعى الألبيون نسبة إلى مدينة «ألبى» إحدى المدن التى كانت تضــم أعدادا غفيــرة من هؤلاء فى مركزها. وكان المعقل الرئيســى لهذه الجمعية فى مدينة «تولوز». وكان الألبيون مسيحيون فى الظاهر، لكنهم كانوا فى الحقيقة مجموعة ثوريــة تخريبية فى الخفاء وتقبلوا التعليمات المانوية والثنوية وطبقوها وانقســموا إلى مراتب مختلفة بما يتطابق مع نظم الجمعيات السرية. وكانت الفئة الاولى تشكل «جماعة المنتهى» أو

«الكمليـــن». وكان عددهم ضئيلا ويتظاهرون بالورع والزهد والقناعة، لا يأكلون اللحوم ويكرهون القســم والكذب ويعتبرونهما سيئآن، أما أبناء المرتبــة الثانية الذين كانوا من المؤمنين، فكانوا موضع تواضع وتكريم وإشادة.

وكان «ســواد» الجمعية يرتكبون أى عمــل قبيح ورذيلة. وكانوا يحلون ويبيحون النهب والزنا والغدر، ويعتبرون الزواج فسقا ويحلون ويبيحون زنا المحارم وأنواع المعاصى الأخرى. ولم يكن ســواد الجمعية على علم ودراية طبعا بأسرار الجمعية وتعاليمها، وكانت معلومات أكثرية الأعضاء حكرا على المنتهين أو الكملين.

إن معرفة مبدأ «الألبيين» غامض للغاية، لكن الارجح هو أن هؤلاء كانوا طائفــة من «الكاناريين» وكان الكاناريون فرقــة إلحادية كبرى ظهرت فى بلغاريا وحوض شرق «الأدرياتى» فى القرن السادس عشر واشتدت دعوتهم وانتشرت فى الكثير من المناطق، وتجمعت تحت لواء هذه الفرقة جماعات مختلفة من عبدة الأصنام والملحدين والسحرة، لكن لم يكونوا يملكــون نظاما وكانوا متشــتتين ولم تكن هناك حركــة عامة تجمعهم وتنظمهم.

ومــا أن انتفض الألبيون فى جنوب فرنســا ودعوا إلــى الهدم والإلحاد، تهيأت فى «لاندوك» أرضية خصبة لذلك، وساهم أرباب تلك الناحية فى إيجادها.

وفى تلك الحقبة، كان ســكان ذلك الإقليم خليطا من «الغات» و"الغل» و «الرومانيين» و «الســاميين» وكانوا يتمردون على الدوام، فتارة ضد الحكام وتارة أخرى ضد القساوسة ويقبلون دعوة جديدة من كل شخص متذمر وغاضب من الأوضاع وكل إنسان يعيش تحت الضغط ويتجمعون تحت لواء «الملاحدة» و «السحرة».

وحسب ميشلة (المؤرخ الفرنسى الشهير) فقد قامت من بينهم فرقة أبدت غيظها وغضبها من الوضع القائم وكذلك من الأعمال الشنيعة والإلحاد وإرتكاب الجرائم والجنح...

وسرعان ما اجتاحت الدعوة الجديدة جنوب فرنسا وتعرضت تعاليم الكنيسة لضربات ماحقة، ورغب الأرباب والفرسان بانواع وأقسام الأنارشية التى روجها «الالبيون». وتفشى تعدد الزوجات والفحشاء. وتوغل الفسق والفجور فى معظم شرائح وطبقات المجتمع. وتبددت الفتوة والأخلاق. وانهارت سيادة الكنيسة وهيبتها. وتخوف البابا «انوسان الثالث» من هذا الخطر المحدق وكلف «سيمون مونفور» بمحاربة الألبيين، وبالتالى اندلعت نيران «الحرب الصليبية» فى الجنوب فى مطلع القرن الثالث عشر للميلاد، وتلاشى الألبيون بفعل لهيبها المستعر بعد معارك دموية وطاحنة، لكن صفوة الرجال الشجعان والفرسان والكونت فى الجنوب لقوا حتفهم أيضا.[١]

١. **عنان، محمّد عبدالله**، «تاريخ الجمعيات السرية والحركات الهدامة»، ترجمة **علي هاشمي حائري**.

تعليمات الألب والقداس الأسود

إن تطرف أرباب الكنيسة في التظاهر بالتدين والقمع العنيف لأي حركة إصلاحية وتحررية باسم الدين أفرز نتيجة عكسية ومهد لانتشار التعاليم المضادة للدين وحتى الشيطانية بين الأوروبيين. وفي هذا الخضم، روج الألبيون لفكرة جديدة.

إن رواج الدعوة فى الطريقة الألبية، كان يدور حول فكرة حديثة وهى مكافحة المبادئ الاخلاقية والهيئة الحاكمة والتجمع تحت راية الشيطان. وكان الشيطان فى تعاليمهم خصما لله وهو مهيمن على جميع النظم الإجتماعية، إذ أن تلك النظم كانت تعذبهم وتسلب منهم الحرية، وبناء على ذلك، كانت للشيطان عبادة وتقرب وقداس وطقوس تقديسية. وكان الملحدون والسحرة يعقدون تجمعات سرية على غرار تجمع المسيحيين للصلاة والعبادة. وهذا الفكر كان يقوم على تعليمات المانوية التى تقول: «إن الخير والشر سيان من حيث القوة، وأن الشيطان هو على غرار الله، المنتصر والخالد.»

وبذلك فقد استحدث الألبيون ديانة جديدة للدين والعبادة ومارسوا ذلك القداس الغريب الذى كان يعرف بالقداس الأسود، وكانوا يقومون بذلك كعلامة على الخروج على طقوس الكنيسة. وكان قادة الألبيون، يؤدون هذه الطقوس فى الليالى فى قلب الأحراش الكثيفة أو السهول

الخاوية من السكان أو على قمم الجبال العالية وكان تلامذتهم يتوجهون إليهم من كل صوب. وكان أتباعهم من السحرة والكفار والأشرار والخوارج ويعبدون الشيطان ويشتمون المسيح ويستغرقون فى أنواع الفسق والفجور والإباحية. وكانوا يتحركون جنبا إلى جنب الإسماعيلية، أى أنهم كانوا يعطون المصلين أى التلامذة، مادة مخدرة قبل بدء القداس ويجعلونهم يتوهمون بان ما رأوه فى عالم السبات والدهشة من أحلام ممتعة وتصورات عذبة، هو من عالم الشيطان ومن أنهم كانوا يسيرون فى جنته التى هى مفتوحة أمام عباد الشيطان المخلصين.

وكانت دعوة الألبيين بمنزلة فتنة وعصيان مهم ضد التعاليم السياسية والأخلاقية للمسيحية لاسيما وأنها اتسمت بعد زوال وانقراض الألبيين بتطورات جديدة من حيث فوران الإلحاد والهدم.[١]

١. **عنان، محمّد عبدالله**، «تاريخ الجمعيات السرية والحركات الهدامة»، ترجمة علي هاشمي حائري.

عبادة الشيطان

ويقــول **محمّد عبد الله عنــان** أنه على الرغم من إلحاح أرباب الكنيســة على قمع الحركات المعادية للدين، فان هذه الحادثة اتســع نطاقها حتى الســنين الأخيرة من العصور الوســطى. العاصفة التي أججت لهيب التشــوق العــام للولوج إلى الممارسات السحرية الخفية.

وقد أصرت الكنيسة على تعقب وقمع «الكفار»، لكن نيران الفتنة والتمرد على النصرانية، كانت تستعر تحت الرماد، واكتسبت التعاليم الثنوية طابعا جديدا فى مطلع القرن الرابع عشر وكانت عبارة عن إعتبار الشرّ وعبادة الشــيطان متفوقين أو التوســل إلى القوى الخفية الشريرة لمحاربة قوى الخير وحرب الظلام ضد النور أو بعبارة أخرى «الســحر الأســود» الذى ظهر فى نهاية العصور الوســطى وأتى علــى جميع التجمعات الأوروبية فى إطار دعوته المنتظمة وكان بمنزلة تمرد وثورة واســعة النطاق على سلطةالكنيســة والتعاليم المسيحية، حتى وإن كانت فى الظاهر على هيئة فتنة بدوافع محلية ومتناوبة...

وفــى الحقيقة كانت إعصــار يتوق إلى الأعمال الخفيــة ويداعب لقرابة ثلاثــة قــرون عقيدة وفكــر التجمعــات الأوروبيــة وكان هدفها تحطيم التعليمات والآداب الدينية والكنيســة. فيما كانت الكنيسة تقوم بدورها

وبكل ما أوتيت من قوة بملاحقة وقمع هذه الحركة التخريبية، واتخذت إجراءات من خلال إيجاد جماعات دينية رجعية تارة أو تشكيل مجالس البحث والتحقيق تارة أخرى.[١]

المارشال درتز

إن التعامل المتسم بالإفراط والتفريط لرجال دين الكنيسة، وسوس في قلوب سكان أوروبا لدرجة أن الشيطان وجد مجالا لإختراقها وبالتالي نسفها من خلال السحر والمؤامرة. وظهر بقايا «الفرسان» واحدا تلو الاخر وقاموا بتأسيس المذاهب المختلفة ليضعوا عنان الحياة المادية والثقافية للناس بيد الهواجس الشيطانية. وكان **المارشال جيل درتز** إحدى تلك الجماعات التي ظهرت. ويقول **محمّد عبد الله عنان** في هذا الخصوص:

وكان [المارشال درتز] من فرسان فرنسا الشهيرين وولد عام ١٤٠٤ للميلاد فى «مشكول» بولاية «برتانى» الفرنسية، وشارك فى تلك الفترة فى الحروب الأهلية الفرنسية التى اندلعت آنذاك بين الكونتيات الفرنسية. ومن ثم تولى قيادة «جيش جان دارک» ورقى إلى رتبة المارشال وأصبح من مساعدى وقادة «جان دارک» إلى أن هزمت جان دارک وأسرت وأحرقت.

وبعد هذه الواقعة، ذهب المارشال إلى ممتلكاته الكبيرة فى برتانى وأطلق العنان لأهوائه وغرائزه ، بحيث أنه خسر معظم ممتلكاته وهو فى ريعان شبانه فى طريق الغرائز والملذات، ومن ثم فكر باكتساب المال والثروة عن طريق السيمياء (طريقة فى السحر) وأقدم على إجتذاب الخيميائيين والسحرة من كل موقع فى أوروبا لاسيما من «ألمانيا» و«ايطاليا» حيث كان يحظى فيهما السحرة والخيميائيون بمكانة مرموقة، وتظاهر بانه من

١. **عنان، محمّد عبدالله**، «تاريخ الجمعيات السرية والحركات الهدامة».

أكبر الخيميائيين والسحرة. بحيث أن قصره تحول إلى معهد للسيمياء والسحر. وقد أغرقه السحرة فى مستنقع من الحياة الرهيبة التى كانت عبارة عن التمنى للوصول إلى عالم الغيب وزوال الحجب الخفية من أمام الأعين والتوسل إلى الشيطان. وكان المارشال فى بداية الأمر مسيحيا نقيا ومخلصا لكنه وقع تحت أثر الحياة الجديدة التى خترقت جسمه وروحه، وأدار ظهره لدينه وأرغمه أنصاره السحرة على أن يتمنى العهد والإتفاق مع الشيطان عن طريق المراسلة. وكتب المارشال رسالة فى هذا الخصوص ووقعها بدمه، وتمنى فيها العلم والسلطة والمال، وفى المقابل تعهد بان يهب الشيطان كل ما يشتهيه، إلا روحه وحياته وأطلق هذه الرسالة فى مهب الريح فى مرعى من مراعى مشكول، لكن ورغم التضرع الهائل والصلوات التى أداها للشيطان، فان الشيطان لم يرد عليه ولم يظهر ويتجلى له!!

وانخرط جيل درتز (بعد أن تجاهله الشيطان) فى الحياة الإجرائمة المخيفة وارتكب أبشع الممارسات والجرائم ليكسب ود وخطب الشيطان وأفرط فى إقامة الطقوس السوداء إلى أن استغرق فى وحل الفسق والفجور وأنواع الرذائل، وبعد هذه المرحلة، إستمر فى إحياء طقوس عبادة الأوثان وسفك دماء البشر.

وأرسل أنصاره وأعوانه فى منطقته السكنية إلى جميع الأماكن ليخطفوا عشرات الأطفال الصغار ومئات الفتيان والفتيات. وقام المارشال شخصيا بتعذيب فرائسه البشرية بابشع الطرق والوسائل، بحيث فقد المئات من أطفال تلك الناحية فى الفترة من ١٤٣٢ إلى ١٤٤٠ للميلاد ولم يعثر على أثر لهم. وأطلق سكان تلك المنطقة صرخات الإستغاثة والإستنجاد وتوسلوا من جراء هذه الجرائم المروعة والفظيعة إلى أولياء الكنيسة وموظفى الدولة. وفى تلك الأثناء وصلت إلى الأسقف «تانت» عدة

رسائل سرية تشرح أعمال وممارسات «جيل درتز» من الفسق والفجور وإراقة الدماء.

وباشر الأسقف نانت شخصيا تحقيقا سريا وثبتت له حقيقة المعلومات الفظيعة التى وصلت إليه، لذلك قدم تقريرا إلى ملك فرنسا والبابا وطلب فيه أن يصدر قرار من الكنيسة يقضى برسوخ روح خبيثة فى جيل درتز أفقدته صوابه وسلامته.

وانتهى الأمر إلى إعتقال المارشال فى قصره فى مشكول وتقديمه إلى محكمة شرعية وعرفية ومحاكمته بتهمة الكفر والردة والتواصل مع الشيطان (!) وقتل الأطفال. وبدأت هذه المحاكمة الشهيرة عام ١٤٤٠ للميلاد، أنكر فيها المارشال بداية كل ما نسب إليه. وكانت لائحة الإتهام طويلة وأتهم المارشال بازدراء الدين والسعى للتواصل مع الشيطان وقتل الأطفال، كما أتهم بجعل هذه الأعمال مقرونة بالجرائم وتلويث الهواء الذى يستنشقه وممارسة الفسق والفجور وتدنيس طقوس القداس وغيره من طقوس الكنيسة وقراءة الكتب المحظورة وغير ذلك. ووصفت لائحة الإتهام هذه، المارشال بانه رجل كافر وفاسق وشقيق الأرواح الخبيثة ومخادع وقاتل الأطفال وساحر ومرتد وغيرها من التوصيفات. وأصدرت المحكمة قرارا قانونيا بالتحقيق. وأحتج المارشال بداية على القرار، لكنه استسلم بعد يومين بخضوع وخشوع ومسكنة وبكاء ونحيب وأعترف بجرائمه بشكل تام.

وكانت إعترافاته رهيبة ومرعبة لدرجة إهتز وارتعب لها القضاة والقساوسة الذين اعتادوا على سماع الأسرار والجرائم، وذلك من هول تلك الجرائم وفظاعتها والتى لم يروا نظيرا لها من قبل، ورسموا صليبا على صدورهم.

وقضت المحكمة الدينية (الشرعية) على إثر ذلك بطرد المارشال من

الكنيسة فيما صدر حكم المحكمة المدنية (العرفية) فى ذلک اليوم بشنقه وإحراق جثته.[١]

١. **عنان، محمّد عبدالله**، «تاريخ الجمعيات السرية والحركات الهدامة».

عصر السحر والتخفي

إن الفكر الشـيطانى والسعى لإقامة التواصل مع الشيطان والتحالف معه، يشـكل نصيبا ملفتا من الأعمال الثقافية للغرب على وجه العموم وألمانيا وعلـى وجه الخصوص. وحسـب العديد من إسـتطلاعات الـرأى، فان مسرحية «فاوست» العمل الشهير للشاعر والكاتب والفيلسوف الألمانى غوته،[1] وضعت على قائمة أفضل مائة كتاب فى جميع الأزمنة والعصور. واعتبـرت الكثير من الفهارس، هذا الكتاب بانه أحد أفضل عشـرة كتب لتاريخ الأدب فى العالم.

و**فاوست** الشخصية الرئيسـية لكتاب **غوته**، هو إنسان ناجح وصاحب دراسة جامعية يدفعه فضوله إلى السـحر والشـعوذة لنيل المتعة والملذات اللامحدودة، وفي صفقة مع الشـيطان، يسلم روحه لإبليس (مفستوفيليس) لقاء تحقيق أمنياته الدنيوية.

إن فاوسـت والسجية الفاوستية تمثل رمز الشـمولية لكائن يتخلى عن الدين وكل المبـادئ الأخلاقية من أجل نيل السـلطة والمتعة. بعبارة أخرى، فان الحياة الفاوسـتية هي حياة الإنسـان الغربي في وقت الإعراض عن الدين والإقبال على العصر الحديث.

---

١. **غوته، يوهان ولفغانغ فون**، ١٧٤٩-١٨٣٢م.

وفضلا عن **غوته** وقبل تأليف «فاوست» وبعده، إنبثقت أعمال عديدة بذات المضمون من الساحة الأدبية والفنية في أوروبا، لاسيما وأنه يمكن إعتبار القرنين الخامس عشر والسادس عشر، قرنين حافلين بالروحية والطبيعة الفاوستية في الغرب.

وقبل غوته، تمت إعادة كتابة وسرد قصة فاوست لقرابة عشرين دفعة. ويزعم بعض الباحثين أن رجلا خيميائيا يدعى **جورج فاوست** كان يعيش في منطقة «ووتمبرغ» بالمانيا في القرن الخامس عشر. وكان العوام مقتنعين بان فاوست يقيم إتصالا مع القوى الشيطانية ويلجأ إلى السحر والأعمال المثيرة للإستغراب. ومن جهة أخرى، يرى البعض أن شخصية **نوسترادامو**س كان لها وقع في نشأة وتكوين اسطورة فاوست.

وبعد غوته، وضع أشخاص عديدون بمن فيهم كلينغر ويوليوس زودن وشاميسو ومولر ولناو واشيل هاغن وآخرون، أعمالا بذات الإسم والمضمون، وتم إنتاج عشرات مسرحيات الأوبرا والأعمال الموسيقية ولوحات الرسم والأفلام.[١]

ويقول **محمّد عبد الله عنان**، في وصف الظروف الاجتماعية للقرن الخامس عشر وكيفية نشأة الطوائف الشيطانية:

وقد وجدت على الظاهر فى ذلك العصر وبنحو عام ١٤٦٠ للميلاد، فرقة سرية منتظمة لعبادة الشيطان والإشتغال فى السيمياء والسحر، بحيث إنخرط فيها جميع السحرة والمشعوذين فى جميع المجتمعات الأوروبية، كما أن معظم الحكومات الأوروبية أوعزت لقضاة المحاكم العرفية بملاحقة ومحاكمة أعضائها، لانها كانت قد اتسمت باهمية. إن توجهات العصر وآداب تلك الحقبة، كانت موجهة لنسب المخترعين

١. إستنتاج من مقال لـ رضا نجفي بعنوان «مدخل على معرفة غوته وكتابه فاوست» والذي نشر في ١٣ أغسطس ٢٠١١م. في موقع كرياس على العنوان: www.keryas.ir/asar/946

والكيميائيين وغيرهم من الأناس الأذكياء والمهرة، إلى السحرة وأخوة الشيطان وكان العلم يعد من العناصر الشيطانية، بحيث أن معظم العلماء والفلاسفة والذين كانوا يحظون بقوة فهم وإدراك أكبر من مستوى فهم وإدراك العامة، كانوا دائما موضع إتهام وشك.

وفى مستهل القرن السادس عشر، إجتاحت عاصفة من الدعوة فى الخفاء والتستر، جميع المجتمعات الأوروبية وظهر السحرة فى كل مكان وكانوا ينشطون بين خواص القوم والأسياد لنشر قناعاتهم ومعتقداتهم، فضلا عن أنهم مارسوا فعاليات تبشيرية بين عامة الناس أيضا. وفى المقابل، بادرت القوى الروحانية (الدينية) والحكومية (المدنية) بتعقبهم وقمعهم، لأنها لاحظت مدى الصدمات التى تلحقها تعليمات هؤلاء بالسلطات المذكورة والتى تؤدى إلى إنحلالها وتدميرها. وفى عام ١٥١٥ للميلاد، أحرقوا خمسمائة ساحر فى جنيف خلال ثلاثة أشهر فقط، كما أحرقوا ستمائة ساحر فى «بومبرغ» وثمانمائة فى «فرتمبورغ». وأدان برلمان «تولوز» فى قرار أربعمائة شخص بالموت حرقا. وكان معظم السحرة يتجمعون فى فرنسا وفى المقاطعات النائية، بما فيها «غاسكنى» و «نورماندى» و «فلاندر» و «أوفينة». وذكر جان بوفان مؤرخ السحرة أن عددهم بلغ حتى ذلك التاريخ، قرابة مليونى شخص لدى الشعوب المختلفة.[١]

وكأن عدد السحرة والمشعوذين، كان يساوى عدد الأساقفة والكردينالات والقساوسة المنتشرين فى مختلف المناطق الأوروبية.[٢]

التفكير الحقيقي للسحرة

إن التفكير الحقيقى للسحر فى العصور آنفة الذكر تمثل فى التحالف مع

١. **عنان، محمّد عبدالله**، «تاريخ الجمعيات السرية والحركات الهدامة»، صص ٨٤-٨٥.
٢. المصدر السابق، ص ٨٥.

الشيطان. وقد عقد هذا التحالف إما بصورة صريحة أو تلميحية، وكل من كان يمارس الأعمال الشيطانية كان يعرف بانه قبل سيادة الشيطان. ونتيجة هكذا تحالف، كانت التنكر للمسيحية، لانه كما يقولون، فان الشيطان قد أمحى وشطب آثار المراسم القدسية وأحل محلها طقوسه الخاصة. وكان على عضو الفرقة أن يشهد إقامة الطقوس الرسمية والقداس الأسود، وأن يشارك فى إرتكاب جرائم التدنيس وقربان الدم من خلال إراقة الدماء البشرية وضروب الفسوق والفجور والإباحية وغيرها.[١]

وبذلك كان الشيطان يهرع لمد يد المساعدة للسحرة لينالوا مقصودهم ألا وهو هدم التعاليم المعنوية المسيحية وتدمير الأسس المعلنة.

ويذهب بعض الباحثين بمن فيهم **ديشامبس**[٢] إلى أن هذه الدعوة، كان مرجعها التعليمات السرية للكابالا.

وتطرقنا في الجزء السابق من مجموعة «التاريخ الثقافي لقبيلة اللعنة» إلى دور «الأوليغارشية اليهودية» في إذكاء وتأجيج تعاليم الكابالا وفصلنا في الموضوع.

وكان هذا التيار قد عقد العزم على تهديم أسس التوحيد وإقتلاع جذور الأخلاق الالهية ودفع أبناء آدم للإنزلاق في براثن الفسوق والفجور.

وفي هذا القرن المذهل والمصيري الذي تثبت فيه التاريخ الغربي الحديث بطريقة ما، كانت عقائد الكابالا قد ألقت بظلالها على فكر وفعل العديد من العلماء الأوروبيين. ويقول **شهبازي** في هذا الخصوص:

لقد كانت معتقدات القبالة المحفوفة بالأسرار فى النصف الثانى من القرن السادس عشر، تحظى بالجذابية فى الوسط المسيحى لدرجة أن بعض الشخصيات الدينية المهمة بما فيها الكردينال «أغيدو فيتروبو"[٣]

---

١. **عنان، محمّد عبدالله**، «تاريخ الجمعيات السرية والحركات الهدامة».

2. Deschamps, Les Societes Secretes er Societe.

3. Egidio da Viterbo.

و«فرانسيسكو جيورديوى» الفينيسى[1] قد بادروا فى أعمالهم إلى تكرار مضامين ومفاهيم القبالة على نطاق واسع. وفى هذه الفترة، تحول كتاب «زوهر» إلى عمل شهير وراجت عملية الإسناد والرجوع إليه. وبالتالى بلغ الأمر مرحلة أن «غيوم باستل»[2] (١٥٨١-١٥١٠م.) الفرنسى وهو إحدى الشخصيات النافذة فى عصر النهضة، أقدم على ترجمة وإصدار كتاب «زوهر» باللغة اللاتينية وأصدر معه شرحه المسهب عليه. فى حين أن الترجمة العبرية لـ زوهر لم تكن تصدر بعد.[3و4]

1. Francesco Giorgio.
2. Guillaume Postel.
3. Ibid, p.645.

٤. **شهبازي، عبدالله**، «حكومة أثرياء اليهود والفرس»، ص ٣٠٥.

مدرسة إسحق لوريا

وفي العصر الذي نتحدث عنه، وجد أتباع الهيكل، فسحة لتجديد الحياة الثقافية فـــي هيئة وحُلة جديدة وطبعا في ظل تعاليم القبالة (الكابالا) ذاتها. كما أن أتباع الهيكل الجدد، أتيحت لهم الفرصة لنشر وترويج تعاليمهم الإلحادية والكفرية في ضوء تراجع واضمحلال التيار الكنسي الكاثوليكي.

ويمكـــن إعتبار **اســـحق بن ســـليمان لوريا** أحد أبرز مؤسســـي مدرســـة القبالة (الكابالا).

ويقول **عبدالله شهبازى** بشأنه:

وقد ظهر «ربى اسحق لوريا»[1] (١٥٣٤-١٥٧٢م.) المنظر الجديد للقبالة فى هذه الحقبة، وأصبحت ايطاليا المعقل الرئيســى لهذه المدرسة وألتف أنصارها حول لوريا.

وكان اسحق بن ســليمان لوريا من عائلة يهودية شهيرة، عاش فرع منها فــى العديد من البلــدان الأوروبية والإســلامية. وكان أخيه «مردخاى» مقاولا ضريبيا ثريا فى فرنسا. وذهب اسحق فى حداثته إلى مصر وعاش لفترة فى جزيرة قريبة من القاهرة كانت تعود لعمه وأب زوجته. وفى هذه الحقبة تحول لوريا إلى أحد منظرى القبالة وأحد القادة الرئيســيين لهذه

1. Issac ben Solomon Luria.

الطائفة.[۱و۲]

ويرى **محمّد عبدالله عنان**، أن **اسحق لوريا** هو علّامة اليهود ويقول:

وقد أسس علامتهم – اليهود – إسحق لوريا المدرسة القبالية الجديدة في ايطاليا في منتصف القرن السادس عشر، ووضع تعاليمه في برنامج عملي للتواصل مع عالم الغيب وكتابة الطلاسم وسحر الأرقام والحروف، ويعد اليهود بالجملة أساتذة السحر وأقطابه في العصور الوسطى، إذ نسب «فولتير» في قصته «فن الريح» الطقوس الدينية التي أتينا على ذكرها مسبقا، إليهم ووصفها في قصيدة شعرية بليغة.

ويقول «فولتير»:

وكان اليهود محل رجوع عادة في الشؤون المتعلقة بالسحر، ويلجأون إليهم وهذا الوهم قديمي ويعود إلى مرجعه أسرار القبالة إذ يظن اليهود أنهم وحدهم أصحاب هذه الأسرار.

وكانت كاثرين دمديسي ومارشال دونكر والعديد من الأناس الاخرين، يوظفون اليهود بسبب هذا الإمتياز.

وكانت تهمة السحر الأسود تنسب منذ أقدم الأزمنة إلى اليهود، وحدث كثيرا أنهم أتهموا بتسميم مياه الآبار وارتكاب القتل لتنفيذ الطقوس واستخدام الأوانى المقدسة للكنيسة بغرض أعمال النجاسة.

ومهما تكن هذه الروايات مبالغ فيها وأملت عليهم حياتهم الوطنية وأوهام العصور الوسطى، فلا شك أن اليهود وبسبب الإستغراق في السحر، جعلوا من أنفسهم موضع شك وشبهة وتهمة، ففضلا عما قيل، فان التوسل إلى الشيطان هو فكر يهودي في الأصل، بل نابع من آداب اليهود ومعتقداتهم الوطنية، مثلما أنه ورد في «التلمود»:

---

1. Ibid, Vol.II, PP.572-578.

۲. **شهبازي، عبدالله**، «حكومة أثرياء اليهود والفرس»، صص ۳۰۵-۳۰۶.

"كلما استطاعت العين رؤية الشيطان الذى اجتاح جميع الكائنات، تصبح الحياة ممتنعة ومستحيلة، لان الشياطين عددهم أكثر منا ويحيطون بنا من كل صوب، ولكل فرد وكل ألف شيطان على شماله وألفا شيطان على يمينه. وإضافة إلى ذلك، ذكر التلمود الطرق التى يستطيع الانسان بواسطتها مشاهدة الشياطين وكذلك أنواع الخرافات والأوهام الاخرى».[١]

وبقي حس الثأر من النظام البابوي الكنسي الكاثوليكي وحلم تأسيس النظام السياسي والاجتماعي وفقا لتعاليم القبالة متجذرا لدى أتباع الهيكل، إلى أن توافرت الظروف لظهوره وبرز في إطار تنظيمات خاصة. ومذاك، شهدنا ظهور تيار أنصار الهيكل على هيئة الحركات والمحافل السرية.

١. عنان، محمّد عبدالله، «تاريخ الجمعيات السرية والحركات الهدامة»، صص ٨٦-٨٧.

جمعية الصليب الوردي[1]

ويرى مؤرخو الجمعيات السـرية جميعا أن تاريخ ونشأة جمعية الصليب الوردي، غيـر معروفين، وهذا الغموض، يعد إحدى الخصائص العامة للجمعيات السـرية وثمة غموض وتعقيدات كبيرة بشأن تاريخها ونشأتها.

ويقول **ميرابو** الخطيب الفرنسي الشهير الذي كان ماسونيا ذائع الصيب وعضو جمعية «وهج بافاريا» وأنجز دراسات في تاريخ الجمعيات السرية:

إن جمعيـة الصليب الـوردى (Die. RoseKreuzer) هى من بقايا جمعية حراس الهيكل والتى كانت تنشـط فى الخفـاء لردح من الزمن، ومن ثم عاودت النشاط تحت عنوان جديد بعد سنوات من التخفى والتستر.[2]

ويقول **كانتلو** في «تاريخ الجمعيات السرية»:

إن الفرسـان الذين غادروا جمعيـة «حراس الهيكل» السـرية بعد حلها وتفتتها، وعاشـوا فى الخفاء لفترة من الزمن، أسسوا فى النهاية جمعيات تدعـى «الكوكب اللامـع» و «الصليـب الوردى» فى بوهم وسـيلزى وعـاودا العمل من جديد. لذلك يمكن إعتبار جمعية «الصليب الوردى» الجديـدة، إمتدادا لجمعية «حـراس الهيكل». الجمعيـة التى لم تلامس

1. Rosicrucianism.

٢. **رائين، اسماعيل**، «الماسونية في ايران»، مؤسّسة رائين للدراسات، ج ٢، ١٣٤٧هـ .ق.، ص ٢٦٩.

السحر والأعمال الشيطانية ومعارضة الديانة المسيحية، بل على العكس مارست في ظل حرفة البناء، بسط وتطوير العلوم لاسيما وأنها كانت تبدى أهمية للطب والفيزياء والكيمياء والزهد والورع ...[١]

ويقول مؤلف كتاب «طريقة الصليب الزهري»:

إن هذه الجمعية هي محفل سري وفلسفي أسس في ألمانيا العصور الوسطى على يد «كريستين روزنكروز». وكانت عقيدة هذه الجمعية مبنية على العلوم الخفية القديمة وتعتبر أن هدفها يتمثل في التناغم والإتساق مع الطبيعة والعالم الروحاني.[٢]

١. **رائين، اسماعيل**، «الماسونية في ايران»، ص ٢٦٩.
٢. المصدر السابق.

السحر والأعمال الشيطانية ومعارضة الديانة المسيحية

وذهب البعض إلى القول أن هذه المجموعة، أرسيت للمرة الاولى فى ألمانيا فى مطلع القرن السادس عشر. وكانت تبحث فى الظاهر فى العلوم المختلفة والكيمياء، لكنها تأسست فى الأصل والحقيقة للتوغل بين المسيحيين ومكافحتهم، وهى طبعا تشبه المجموعات اليهودية الاخرى.

وقال البعض: إن مجموعة «الصليب الوردى» هى تابعة لمجموعة «فرسان الهيكل» التى غيرت إسمها لكى يتسنى لها مواصلة نشاطها. ويقول ميرابو الذى كان باحثا فى تاريخ الحركات والمجموعات السرية وعضو مجموعة «وهج بافاريا» وماسونيا أيضا، إن مجموعة الصليب الوردى هى ذاتها مجموعة فرسان الهيكل القديمة التى واصلت منذ ذلك الزمن وحتى الان حياتها فى السر وظهرت الان بمسمى جديد.[1]

وقال المؤرخون أن عادات وتقاليد ورموز وأسماء مجموعة الصليب الوردى مأخوذة تماما من مجموعة فرسان الهيكل، وهذه المجموعة ونظرا إلى برء المخلوقات فى سبعة أيام، قسمت إلى سبع درجات ومقامات، وهذا مؤشر على أن هذه المجموعة هى مجموعة سرية تبحث

---

١. المصدر السابق، ص ٢٦٩؛ نقلا عن: **عنان، محمّد عبدالله**، «تاريخ الجمعيات السرية والحركات الهدامة».

فى أسرار الطبيعة.[١]

ويقول **محمّد عبدالله عنان** في هذا الخصوص:

وكانــت هذه الجمعية قائمة فى الظاهــر على قاعدتين، الأولى هى تعاليم «تيوفراســتوس فن هوهنهايم» الذى كان يعرف باســم «بارسيلسوس». لقد كان إبن طبيب ألمانى وولد بحوالى عام ١٤٩٣ للميلاد وقام بالسير الآفاقى والأنفسى فى الشرق لسنوات طويلة ووقف على التعاليم السرية ومــن ثم دوّن تلك التعاليم وكتبها شــعرا منظومــا لعلاج الأمراض. ولا شك أن بارسيلسوس، أخذ تلك المعلومات من تعليمات القبالة السرية. وواضح أنه لم يكن من تلامذة القبالة ولم يكن إنسانا متآمرا ومحتالا بل رجلا عالما ويقظا ومفكرا ومستقلا.

والقاعدة الثانية هى «تعاليــم القبالة ذاتها». وكان اليهود فى تلك الفترة من أمهر الســيميائيين، وكانت مدرســة القبالة فى تلك الحقبة فى ذروة توهجها وتألقها.[٢]

إن هــذه المجموعــة وكما أســلفنا، تربطها أوجه شــبه وتقــارب كبيرين مع «الماسونية اليهودية» وكانت تستخدم أثناء قبول الأعضاء الجدد وتنفيذ طقوسها، رموزا بما فيها المثلث والشــموع ورموز النور والظلام. وكان الأعضاء يصنفون فيها ضمــن درجات، تبدأ من درجة المبتدئ وتنتهي بدرجة الســيد أو الإمبراطور التي كانت أرفع درجة، وكان يعرف أســرارها فقط أولئك الذين يصلون إلى الدرجات العليا. وكان هؤلاء يحاربون الدين بشــكل عام[٣] ويعــدون إحدى أذرع وتفرعات السلطة الماسونية.

---

١. **عبدالحكيم، منصور**، «العالم رقعة شطرنج»، ص ٢٠٦.

٢. **عنان، محمّد عبدالله**، «تاريخ الجمعيات السرية والحركات الهدامة»، ص ٨٨

٣. راجع: «**الماسونية، حقائق وأكاذيب**»، وجاء في هذا الكتاب أن الدرجة الثامنة عشرة في الماسونية تسمى الصليب الوردي!

جمعية الصليب الوردي، فرسان الهيكل يلتقطون الأنفاس

إن ما كان يعتبره السحرة والقباليون «الله» ويسبحون بحمده ويقدسونه، لم يكن سوى ابليس. وبناء على ذلك، فان تقاليد وعادات جميع الطوائف السرية وأتباع القبالة والسحرة، كانت زاخرة بالكفر والشرك والنجاسة والدناءة.

ويقول غوازو[4] فى كتاب بعنوان «Compendium Malefiearum» (ميلان ١٦٠٨م.) حول طريقة الإنضمام إلى الطقوس السحرية:

"البداية إنكار الديانة المسيحية وترك البيعة مع الله، وحسب رواية «سن هيبوليتوس» يجب عليهم أن يقولوا:

إنى أنكر خالق السماء والأرض. إنى أنكر التعميد...

ومن ثم يضع الشيطان علامة على وجوههم ببراثنه، ويختار الحاجبين عادة لهذا الغرض. وبذلك تزول علامة المعمودية. وبعد هذا الميثاق، يقوم الشيطان بتعميدهم ثانية. وتتم هذه المعمودية بالماء النجس أحيانا ومن ثم يطلق عليهم أسماء جديدة... ومن ثم يؤدون داخل دائرة ترسم على الأرض، يمين الوفاء والبيعة مع الشيطان من جديد. ويعتبر غوازو هذه الدائرة، رمزا للأرض. ويبغى الشيطان من هذه الطقوس إقناعهم أنه هو الله، فضلا عن تسجيل أسمائهم فى الدفتر الأسود الذى يدعى «كتاب

4. Guazzo.

الموت»، ويعدون هم أن يقوموا بخنق طفل شـهريا أو كل أسبوعين مرة إبتغاء رضاه ... ويتعين على أتباع الشيطان أن يقدموا هدايا لغيلانهم لكى لا يتعرضوا للضرب على أيديهم.»[١]

ويوضح **غوازو** أن أتباع الشـيطان والسـحرة يهتمون في مراحل ما، بممارسة الأعمال المسـيئة والمهينـة والكفرية لينالوا إعتبارا ورفعة لهم لدى الشـيطان من خلال ممارسة الأعمال الشريرة.

وقد اعتمد السـحرة مـن مختلف الإثنيات والأعراق والفـرق والطوائف التي كانت تشتغل بالعلوم الباطنية والخفية، أسلوبا خاصا في كل زمان ومكان وموقع. بينما أتاحت «القبالة» هذه الفسحة للجمعيات السرية لتمارس الأعمال السحرية والشعوذة عن طريق السيمياء.

وكما أشـرنا في الأقسام السـابقة، فان العلوم الغريبة تشـتمل على الكيمياء والهيمياء والسيمياء والليمياء، فربما جماعة اشتغلت بالكيمياء واخرى بالسيمياء.

وكانت **السـيمياء** عبارة عن علم الطلاسم التي تضفي قوة خاصة على السحرة للتصرف بالأمور الطبيعية بما فيها سـحر العيون. إن هذا العلم والفن يشكل أبرز مثال على السـحر. والمثال البارز عليه في التاريخ، هو سـحر السحرة في عصر النبي **موسى** عليه السلام عند **فرعون**.

ويرى البعـض أن جمعية «الصليب الوردي» هي جمعية «فرسـان الهيكل» ذاتها والتي استأنفت عملها ونشاطها في الخفاء تحت مسمى جديد. ويقول **عبد الله عنان** حول تأسيس الجمعيات السرية ما بعد فرسان الهيكل:

وبنـاء على ما مضـى، فان دعوة جمعيـة الصليب الـوردى، ووفقا لهذه الوثائـق كانت خليطا من العادات السـرية القديمة التـى نقلت عن كبار فلاسـفة اليونان ومن أقطاب الكابالا اليهود، لكن الرواية التى أتينا على ذكرها، ليسـت مسـنودة باسـاس تاريخى، بل يرى البعـض أنها محض

١. **جلسرخي، إيرج**، «تاريخ السحر»، المصدر السابق، ج ٢، صص ٣٨٨-٣٩٢.

اسطورة ويقولون:

إن جمعية الصليب الوردى لم تكن قائمة البتة، وأن ما ورد فى الرسائل المذكورة، هو أوهام ابتدعها شخص يدعى «فالنتين اندريا» لكى تكون حلما يحقق بشانه، فيما يذهب البعض بمن فيهم ميرابو الذى درس تاريخ الجمعيات السرية عندما كان يقيم فى المانيا وكان هو من البنائين الأحرار وعضو فرقة «وهج بافاريا» إلى أن جمعية «الصليب الوردى» لم تكن سوى جمعية «فرسان الهيكل» القديمة، وهى تعيش الان فى الخفاء وباسم جديد. وأورد «كانتلو» فى كتابه حول الفرق والجمعيات السرية قائلا:

إن الفرسان الذين هجروا الجمعية (جمعية الهيكل) فى فرنسا، بقوا متخفين وأسسوا جمعية «الكوكب اللامع» و «الصليب الوردى» فى القرن الخامس عشر فى بوهم وسيلزى، وكان كل من كبار دعاة هذه الجمعية ملزما أن يحمل صليبا أحمر معه طوال حياته، وأن يؤدى صلاة سنت برنارد يوميا.

ويقول إيكر فى كتابه حول البنائين الأحرار:

إن طقوس جمعية «الصليب الوردى» ورموزها وأسماءها، استعيرت كلها من «فرسان الهيكل» وكانت الجمعية قد صنفت إلى المراتب السبع وفقا لعدد الأيام السبعة لخلق العالم، ويشكل [هذا] دليلا على أن هدف وغاية الجمعية كانت تتمثل فى كشف الأسرار والبحث فى أصل الخلق وأسرار الطبيعة، إلا أن الاخرين ينكرون العلاقة بين فرسان الهيكل وجمعية الصليب الوردى، لان فرسان الهيكل لم يكونوا خيميائيين ولم يملكوا مزاعم وآراء علمية، بل كانوا جمعية سرية ودينية ومتمردة على النصرانية. إن الأخوة والصليب الوردى وقبل كل شئ، هم جماعة علمية وتقدمية ولم تكن هذه الجمعية حسب الظاهر تشبه جمعية فرسان الهيكل

أو البنائيــن الأحرار من حيث صلابة مبــادئ النظم وترتيب الإرتقاء إلى المراتــب الأعلى، والأغلب أن أشــخاصا كانوا أرفــع وأفضل لهم ميول تجاه العلوم الخفية فى الموضوعات الطبيعية، لكن لماذا كانوا يتمســكون بالكتمان، فالســبب يعود إلى أن البحوث العلمية فى تلك العصور كانت تعد رديفا للســحر والشــعوذة، وكانوا ينظرون إلى العلماء والمخترعين بنظرة شك وريب.

لكــن ورغم كل ذلك، كان علم أخوة «الصليب الوردى» موضع شــك وشــبهة، ولم يثبت أنهم وفقوا فى شئ من الإختراعات العلمية أو نجحوا فى معالجة مشــاكل السيمياء وتغيير المعادن السفلى إلى معادن عليا أى تحويل النحاس إلى ذهب والرصاص إلى فضة.

أما الدافع والسبب الروحانى للصليب الوردى تمثل فى العداء للمسيحية وإنكار صفات المسيح عليه السلام. ويقول مؤلف قديمى:

وكانت هذه الجمعية تضم فئة من اليهود والقباليين العبريين، كان كل شئ حسب مذهبهم يتخفى فى ظلال جلال الحقيقة أو فى ظل الخفاء المقدس.

ويقول آخر:

«وكان الشــيطان زعيما لها (الجمعية) وتقــوم مبادئها على إنكار الذات الالهيــة والطعن فــى مبــدأ التثليــث وإزدراء العذراء (مريــم) وجميع القديســين. وقد وجهوا تهما اخرى لهذه الجمعيــة، بما فيها: التحالف مع الشيطان وقتل الأطفال وتركيب السموم والرقص مع الشيطان و... .»

وعلــى أى حــال، نلاحظ مما مضــى أن جمعية الصليــب الوردى كانت فــرع من فروع العصيان والتمرد علــى النصرانية وثمرة من ثمار الحركة الهدامة والتخريبية العامة التى قامت بهدف التدمير التام للمبادئ الدينية والأخلاقية فى العصور الوسطى.[١]

١. **عنان، محمّد عبدالله**، «تاريخ الجمعيّات السرية والحركات الهدامة»، صص ٩١-٩٢.

الفصل الثاني

الماسونية

القسم الأوّل

أسس الماسونية

أول مؤسس للماسونية

ويرى الكاتب والباحث المصري **منصور عبد الحكيم** (مواليد ١٩٥٥م.) الذي وضع لحد الان أكثر من مائة كتاب في الموضوعات المختلفة لاسيما حول المجاميع السرية والماسونية في كتاب «سلسلة حكومة العالم الخفية» أن الماسونية هي صنيعة اليهود وخدمة لمصالحهم بإتجاه تدمير المعتقدات الدينية للمسيحيين. ويُرجع مشروع تأسيس «الجمعية اليهودية الخفية» إلى عام ١٩٤٣م. ويبحث باسهاب في كيفية نشأة وتنامي هذه الجمعية في عصر **هيرودس اكريبا** ملك اليهود وفي عصر ولادة وبعثة النبي **عيسى**عليه السلام حتى العصر الجديد. ويقول:

لقد أثير مشروع تأسيس جمعية «الأرملة» اليهودية بعام ٤٣ بعد ميلاد المسيحعليه السلام **وباقتراح من هيرام ابيود مستشار الملك هيرودس أكريبا.**

وقال:

«ولأنني رأيت أن عدد معتنقي المسيح الدجال – ويقصد عيسى بن مريمعليه السلام **– وأنصاره في تزايد ويسعون من خلال تعاليمهم لتضليل الشعب اليهودي، طرحت في محضر الملك هيردوس أكريبا مقدمة واقترحت عليه أن يتم تأسيس جمعية سرية لنتمكن من خلالها مواجهة ومحاربة هؤلاء الضالين».**[1]

---

١. **عبدالحكيم، منصور**، ترجمة «العالم رقعة شطرنج»، طهران، هلال، الطبعة الاولى، ١٣٩٦هـ .ش.، ص ٢٥.

ويــرى **منصور عبــد الحكيم**، أن الخوف من الزوال انتاب بني اســرائيل وملك اليهود ومستشــاره الأعظم بعد بعثة النبي **عيســى بن مريم**عليه السلام، وانبثق منه مشروع تأسيس هذه الجمعية المعادية للمسيحية بهدف مواجهة المسيحيين والقضاء على معتنقي الديانة الحديثة.

ولقي اقتراح المستشار **هيرام ابيود** قبولا وأدى إلى أن يستدعي الملك مستشاره الثاني **مؤاب لافي** وصفوة أفراد البلاط لوضع الحجر الأساس لـ«جمعية الأرملة».

وخلال الجلسة الأولى لهذه الجمعية والتي عقدت بمشاركة تسعة من أعضاء هيئة مؤسسيها، خاطب **هيرودس** الأعضاء بالأخوة وقال:

«الأخوة الأعزاء!

إن عامــة الناس وخواصهم علــى علم بحوادث ظهور المســيح الدجال. لقــد تغير الناس من الناحيةالدينية وقد اســتحدث ثورة دينية وسياســية فى هذا الزمان بين الناس لاســيما بين الشــعب اليهودى. ومنذ أن أبصر هذا الدجال النور، فاننا نشــهد هذه الأحداث السيئة. لقد بدأ ببث وترويج تعالمه المضلة.

إن الإيمــان بهذا الرومــى الذى يزعم أنه روح الله، يتزايد وينتشــر بين النــاس، وقد آمن به عدد غفير من الناس وأهــدر دين الناس وجوهرهم الروحــى. فقد أضل الكثير منهم ويزعم الألوهية ودخل فى صراع وحرب معنا، ونقول نحن أنه قاطع طريق ليس إلا.

لقد شــاهدنا لدى هذا الرجل ســلطة وقدرات هائلة. وتــرك لتلك الفئة مــن الناس ميراثا وأســماهم بـ«التلامذة»، ولا يخفــى على أحد أنه أعد مجموعة وأطلق على معتقداتها وقناعاتها «الدين». إن هذا الدين الزائف، يعمل تقريبا على القضاء على ديننا ويؤدى لا قدر الله إلى زعزعة دعائمه وأركانه وتدميره نهائيا. لقد ابتدع لنفســه إســم اليسوع الناصرى، ملك اليهود. إنه قاطع طريق ودجال فحسب يدعى أنه ولد من أم عذراء بسبب

السلطة والروح الإلهية ويقول أن أمه بقيت عذراء حتى بعد ولادته. وذهب فى خطوة تنم عن الدجل والخداع إلى أبعد من هذا وزعم أنه الله وإبن الله ورسول الله[١] ويقوم باعمال إلهية. وادعى النبوة وقام باعمال مذهلة وزعم أنه هو المسيح الموعود الذى أخبر عنه أنبيائنا وتنبأوا بمجيئه. إنه إنسان عادى ليس إلا ولا توجد فيه أى روح الهية، بل إنه متشرد وتائه ومنحرف متطرف، وبعيد عن جوهر معتقداتنا وقناعاتنا اليهودية المتجذرة والصلبة.

ويجب أن لا نغفل عنه حتى بقدر طرفة عين، ومن المستحيل أن نؤمن بالوهيته أو نعتبره المسيح الموعود.

إننا نعرف أنه لم يحن بعد موعد مجئ المسيح الموعود، ونعرف أنه لا علامة على ظهوره. وإن ضللنا وتخلينا عن قومنا اليهود ليضلوا مثلما ضل الذين اتبعوه، نكون قد ارتكبنا ذنبا وجريمة لا يغتفران. وصدرت بشأنه أقسى العقوبات ووضعت هذه العقوبة موضع التطبيق ووجهت إليه كل إساءة وإهانة، مثلما يعاقب أكبر المذنبين والمجرمين بهكذا عقوبة، لكنه تحمل كل هذا بصبره الخارق وأذهل العالم بصبره الغريب. لكننا صلبناه فى النهاية ومات ودفناه وكلفنا حراسا يحرسوا قبره. وبعد ذلك، إدعى البعض أنه طلع من القبر. لا نعرف كيف أنه طلع من القبر، فى حين أن حراسنا كانوا هناك ولم يشاهدوه.

إنهم لم يشاهدوه ولم يشك أحد بأمانتهم، لان هؤلاء الحراس هم منا ومن أعدائه.[٢] لقد غاب فى قبره بطريقة لم نعرفها، بينما كنا قد بنينا قبره

---

١. ولم يزعم النبي **عيسى** عليه السلام أبدا أنه الله أو إبن الله، بل كان يقول إنه عبد الله ورسوله إلى «بني اسرائيل»، والكلام الذي قيل من بعده في هذا المجال، لا علاقة له به البتة.

٢. وهذا هو زعم المسيحيين الذين يقولون أن المسيح عليه السلام قد صلب، ومن ثم دفن، وبعدها طلع من قبره وصعد إلى السماء، لكن الحقيقة وكما يصفها القرآن الكريم هي أنه لم يصلب ولم يقتل، بل أنهم وجدوا أحدا يشبهه وظنوا أنه المسيح. إن من قتل، لم يكن المسيح، بل شخص اخر. «**وما قَتَلُوهُ وَما صَلَبُوهُ وَلكِنْ شُبِّهَ لَهُم**» سورة النساء، الآية ١٥٧.

وأغلقناه بإحكام.

ومن ثم زعم أتباعه أن المسيح حى وجاء إليهم، مثلما أنه كان يأتى إليهم قبل موته، أى بجسده وروحه. وبعد ذلك، زعموا أن المسيح صعد إلى السماء وسيأتى يوم القيامة ليكافئ الأحياء والموتى أو يعاقبهم.

أيها الأعزة! إن خروجه من القبر، ألحق صدمة ماحقة ومدمرة بمعارضيه وتحول هذا الموضوع إلى وسيلة قوية آزرت أتباعه لنشر تعاليمه وإثبات ألوهيته.

ومن ثم قال الملك:

أيها الأخوة! إن تلك الصدمة، أضعفت آباءنا وأرهقتهم وبددت قواهم وقوانا. لقد ناصبنا أتباعه العداء وخضنا حربا معهم، وهم مايزالون يحاربوننا فى ساحتين وميدانين:

١. ساحة الحرب الدينية؛

٢. ساحة الحرب غير الدينية.

وفيما يخص الحرب الدينية، فانهم يقومون بمحاربة ديننا ويسعون قد استطاعتهم للقضاء عليه. وفيما يخص الحرب غير الدينية، فإنهم يريدون الملك ويخرجون الملك من أيدينا.

إننا لا نعترف باى دين إطلاقا سوى الدين اليهودى الذى ورثناه من آبائنا. ويجب علينا أن نحمى فقط هذا الدين لنحييه إلى الأبد. لم نكن نتوقع تلك الصدمة ولم نتنبأ بها. لقد تصدى آباؤنا بسلطتهم الخفية التى لم نتصورها، لهم ومانزال نحن نتصدى لهم... .[١]

وفي تلك الجلسة الأولى، اختار الأعضاء المؤسسون إسم «السلطة الخفية» لمحفلهم الفتي وأقسموا لتوحيد سائر اليهود ضد المسيحية الفتية. وفي هذه الجلسات، صدر الأمر بقتل أتباع **المسيح** عليه السلام. وقد أقسم جميع الأعضاء

١. **عبدالحكيم، منصور**، «العالم رقعة شطرنج»، صص ٣٤-٣٧.

بالتوراة، وأبرموا عهدا وتحركوا لتأسيس سائر المحافل في أقاصي المناطق وتحديد المسيحيين والتخطيط لقتل المبشرين المسيحيين.

ويقول **منصور عبد الحكيم** بشأن الكشف عن هذه العلاقة غير الميمونة والبوح بأسرار الماسونية اليهودية:

وقد سجل أعضاء هذه المجموعة جميع الأحداث وتوارثت الأجيال هذه الكتابات، إلى أن وصل إحداها إلى أحدهم الذى قام بترجمتها وإصدارها عام ١٨٩٧ للميلاد...

إنه كان الدكتور برودانتى دى‌موريس[1] رئيس البرازيل فى الفترة ١٨٩٧-١٨٩٨ الميلادى ويعود إليه الفضل فى البوح عن هذا السر. لقد كان الشخص الذى أوعز بالإطلاع على الأسرار الخاصة وكشف سرهم فى تلك الحقبة.[2]

ويقال أن السيد **برودانتي دى‌موريس** كان قد حصل على نسخة من كتاب «السلطة الخفية» من أحد أحفاد الأعضاء التسعة المؤسسين للتنظيم السري، وأعطاه للأستاذ **عوض الخوري** لترجمته. ويقول:

لقد كان (برودانتى دى موريس) الشخص الذى عرفنى على السيد لوران بن جورج بن صموئيل بن جوناس بن صموئيل لوران، صاحب مخطوطة هذا الكتاب.

وكان لوران حفيد أحد المؤسسين التسعة للمجموعة والتنظيم السريين ... لقد فوجئت ذات يوم بخطوة السيد لوران. لقد وافق على أن أقوم بنقل المخطوط من العبرية إلى العربية ومن ثم نقله إلى اللغة التركية...[3]

ويضيف **منصور عبدالحكيم:**

وقد صدرت الترجمة العربية لهذا الكتاب بعد نحو ٣٢ عاما وفى عام

1. Prudente de Morais.

٢. **عبدالحكيم، منصور**، «العالم رقعة شطرنج»، ص ٥٢.

٣. المصدر السابق، ص ٥٣.

١٩٢٩م. فـي «لبنان»، وذلك عندما عاد عوض الخورى إلى «بيروت» وأحضر معـه هذا الكنز الثمين. وعلى أى حـال، فانه لم يتمكن بعد ٣٢ عامـا من عودتـه من «البرازيـل»، من إصداره. وأطلـق الخورى على ترجمة الكتاب إسم «تبديد الظلام».

ويقول **لوران** في مقدمة الترجمة العربية للكتاب بوصفه حفيد أحد المؤسسـين التسعة لـ«جمعية السلطة الخفية للماسونية»:

إنـى لوران إبـن جورج إبن صموئيـل إبن جوناس إبـن صموئيل لوان المتحـدر من أصول روسـية، آخر أحفاد أحد مؤرخى الماسـونية، أقول على مسؤوليتى الشخصية والإنسانية:

لقـد ورثت عن طريـق أبى، ومن أجـدادى مخطوط عنوانه «السـلطة الخفية» تأليف أحد أجدادنا باللغة العبرية، وتشـاهد كتابات فى هوامشه، تظهر أن أحد أجدادنا ترجم هذا الكتاب إلى اللغة الروسية فيما نقله واحد آخر من أجدادنا إلى الإنجليزية...[١]

ويأتي الكتاب على ذكر **هيردوس** ملك اليهود و**هيرام ابيود** و**مؤاب لافي** بوصفهم مؤسسي «جمعية السلطة الخفية».

وقد اسـتفاد أعضاء هذه الجمعية من الشـبه في إسـم حرام ابيود مستشار هيـرودس والمهندس **هيرام ابيف السـوري**، المعمار الذي كان في خدمة **سـليمان النبي** عليه السلام وأخفوا بالتالي ماهيتهم ليظن الاخرون أن تأسـيس الجمعية السرية يعود إلى عصر النبي سليمان عليه السلام.

١. **عبدالحكيم، منصور**، «العالم رقعة شطرنج»، صص ٥٧-٥٨.

واجبات وألقاب الجمعية السرية والأدوات والرموز

ويستند **منصور عبد الحكيم** إلى الكتاب المترجم على يد **عوض الخوري** ليشرح أحداث جمعية السلطة وواجبات الأعضاء التسعة المؤسسين ويقول إن **هيرودس اكريبا** يريد من الأعضاء التوقيع على الإتفاقية اللازمة والعمل بواجباتهم. ويميط الملك في إحدى الجلسات وبحضور الأعضاء، اللثام عن بعض الخدع في إنتخاب الألقاب والأدوات والرموز ويعلن:

وقلت لكم من قبل إن كل من ينضم إلينا يجب أن يعرف ويؤمن بان هذه الجمعية قديمة للغاية، لإنه إن كان يعرف أن هذه الجمعية قد تأسست اليوم أو فى الاسبوع الماضى، فانه الأمر لن يكون لمصلحتنا ومنفعتنا، وقد يضر جمعيتنا ضررا لا يعوض، ولذلك، أرى من الضرورى أن نتحدث أكثر عن وجود الأوراق والكتابات القديمة، ونحيط الناس علما بهذه الطريقة.

يجب أن نجعل كل الشعب اليهودى سواء إنضموا إلى هذه الجمعية أم لا، أن يظنوا ونقنعهم أن هذه الجمعية قديمة للغاية وتضرب بجذورها فى العصور القديمة. ويجب أن نفعل ذلك بطرق وأساليب لا تتيح لأحد إمكانية رفضه أو أن يشكك فيه. إن الموضوعات التى ترد فى أوراقنا ومخطوطتنا (المزورة) هذه يجب أن تكون منطقية وعقلانية بالكامل. إننا

نضع فى معابدنا رموزا وعلائم قديمة للغاية تشبه الرموز والعلائم التى كان يستخدمها سليمان الحكيم، ونسمى أولها «بوعز» وثانيها «جاكيم» وننصب هذه الرموز والعلائم فى المعابد على غرار سليمان الحكيم.

ونضع أحدها على اليمين والاخر على اليسار. ومن ثم نشيع أن سليمان أخذ هذه الرموز والعلامات من أجداده وأجداده من أجدادهم وهلم جرا بحيث لا يتضح زمنها الاول.

وفى ضوء هذا الغموض والتعقيد، فان تاريخ تأسيس جمعيتنا سيبقى مجهولا، ومن ثم نقول أن شقيقنا هيرام ابيود هو هيرام ابيف المهندس والمعمار السورى الكبير ذاته الذى كلفه سليمان، لتصميم خريطة الهيكل وهندسته وبنائه.

ولا نكتفى بهذا القدر، بل نمضى قدما فى هذه التحريفات والأكاذيب ونسجلها ضمن القوانين العامة للجمعية ونشدد ونعزز هذه الحيل والمكائد، ونستخدم كذلك تلك الأدوات الهندسية والرئيسية التى استخدمها حرام المهندس والمعمار السورى فى بناء هيكل سليمان، ومن هذه الأدوات والوسائل، هى زاوية المهندس ومالج البناء والشاقول وحبل البناء، ونصنع كل هذه على غرار أدوات هيرام ابيف، من الخشب. ويجب أن نبنى صدر الهيكل نحو الشرق.

وسأخبركم لاحقا بسبب ذلك طبعا:

ويبدو لى أن من الأفضل أن نحوز على رموز فلكية بما فيها الشمس والقمر والكواكب الاخرى، لانها ضرورية لإضفاء القدسية على هذه الجمعية.

ومن ثم نستخدم الرموز والعلامات الاخرى التى ترمز إلى المسيح الدجال والكاذب، ونختار أشكالها وأنواعها وهذا بمنزلة تذكار بالنسبة لنا، لتتذكرنا الأجيال المقبلة وأبناؤنا وأحفادنا الذين يرثون تاريخنا

ونتائج أعمالنا وإدارة جمعيتنا.
وهـذه النقطـة التى خطـرت على بالى وأردت أن أستشـيركم بشـأنها والواجبات الاخرى التى صادقنا عليها فى هذا الأسبوع المبارك.
ما رأيكم بذلك؟
ووافق الجميع على رأى الملك وسجلوه فى وثائقهم.
وبعد ذلك توجه الملك إليهم قائلا:
وقد جهزنا الان بعض الرموز التى قررنا فى الجلسة السابقة الإفادة منها، وهى عمودان، أحدهما «بوعز» و الاخر «جاكيم» وهذه هى بعض أدوات البنائين وكلها مصنوعة من الخشـب ليظن الاخرون أن جمعيتنا تأسست فى عصر سليمان وما قبله، لان تلك الأدوات التى استخدمت فى تشييد «هيكل سـليمان» كانت كلها مصنوعة من الخشـب. لذلك، يجب الان إقامـة العمودين فى الجانبين الأيمن والأيسـر ونباركهما وأن نضع هذه الأدوات والرموز المسيحية المنوعة التى ترمز بشكل مثير للسخرية إلى بعض أقوال المسيح أو بعض الحوادث والتطورات التى كان يثيرها ذلك الدجال فى مواعظـه وتعاليمه وهى عبارة عن الديك والسـيف والنور والظلام و...، بين رموزنا.
وإحـدى تلـك الأدوات والرموز كانت المطرقة التى تم بواسـطتها فى يوم صلب ذلك الدجال، دق المسامير على يديه وقدميه، وهذه المطرقة تستخدم للإسـتهزاء به، وهى أول عمل نقوم به فى أى جلسة نقيمها فى معابدنا.
وأول مـا نقوم به فى جلسـاتنا وإجتماعاتنا هـو أن نطرق ثلاث مرات متتالية بهذه المطرقة ونتذكـر بذلك ذكرى خالدة لا يمحيها الزمان عن ذهننـا أبدا وهـذه الذكرى هى أننـا صلبناه ودقنا المسـمايز على يديه وقدميه بهذه المطرقة وقتلناه.

وهذه النجوم الثلاث التى ترونها هى رمز المسامير التى دققناه على يديه وقدميه، وقد أتينا هنا بثلاث نجوم فقط بدلا من تلك المسامير.

وأحد رموزنا الاخرى، هى رفع ثلاث خطوات للإزدراء بالكفر الذى كان يطلقه والذى كان يقول: «إن الله هو أبى وقد زعم أنه إبن الله».[١]

وكما ذكرنا، فاننا وضعنا درجات ورتبا لجمعيتنا. وستكون لدينا فى جمعيتنا ثلاثة وثلاثون درجة، وهذا الرمز يرمز إلى عمر ذلك الدجال الذى عاش ثلاثة وثلاثين عاما.

ونطلق إسما على كل درجة ورتبة، وسنتأمل لاحقا بشأن رموز غير هذه، وكل هذه الاشياء التى ذكرتها، وضعناها أنا والأخ مؤاب والأخ هيرام.

لكن القصد والهدف من وضع هذه الرموز، يجب أن يعرفهما المؤسسون فحسب والأخوة الذين سينضمون إلينا لاحقا. ويكفى أن ترون وتعرفون أن هذه الأدوات هى على غرار الأدوات التى استخدمت خلال بناء هيكل سليمان أو فى الأزمنة التى سبقته كثيرا وهذا هو الشئ الذى نبتغيه نحن. وكانت هذه رموز خطرت على بالنا نحن الثلاثة. وإن خطر على بال أى من الأخوة رمز جديد فليخبرنا به فى الوقت الملائم لندرسه وإن تبين أنه مناسب فسنضيفه إلى الرموز السابقة، لاننا نستطيع من خلال هذه الحيل والأساليب وحدها إخفاء تاريخ تأسيس جمعيتنا...[٢]

وبذلك واستنادا إلى الوثائق المقدمة بعد الكشف عن المخطوطة المذكورة، فان تاريخ جمعية «السلطة الخفية» اليهودية والتي عرفت لاحقا بـ «جمعية الأرملة» كان يتقدم على محفل «فرسان الهيكل» وربما يمكن القول أن الفرسان وتأسيا منهم بأوامر هذه الجمعية اليهودية تابعوا أعمالهم وفقا لأسسها، وإن إخفاء هذا الماضي وإرجاع زمن تأسيس هذه المجاميع إلى عصر النبي **سليمان**عليه السلام هو

١. ولم يزعم النبي **عيسى بن مريم**عليه السلام أنه إبن الله أو الله إطلاقا، بل أن هذا الكلام أشاعه أنصاره من بعده.
٢. **عبدالحكيم، منصور**، «العالم رقعة شطرنج»، صص ٦٥-٦٧.

حيلة للتستر على المقاصد والمآرب الرئيسية للماسونية والمعادية للدين والإنسانية ليس إلا.

وتوضيحـــا لتحديث «جمعية الســـلطة الخفية» في العصـــر الحديث، يقول **منصور عبد الحكيم:**

تأسيس الماسونية الجديدة فى «لندن» عام ١٧١٧م.:[١]

وفى عام ١٧١٦ للميلاد، توجه ثلاثة من جيل أولئک التسعة المؤسسين لجمعية الســلطة الخفية إلى لندن. وجلبوا معهم نســخة من وثائق مبادئ الجمعيــة والوثائق المســجلة للإجتماعات: وهؤلاء الثلاثــة كانوا: لافى وإبنــه ابراهيم وأحــد المقربين منهمــا ويدعى «إبراهيــم ابيود». وكان هــؤلاء الثلاثة يريدون إحيــاء وتجديد جمعية الســلطة الخفية وتنظيمها تأسيسا على ظروف العصر والســاعة وإستقطاب أعضاء جدد. واختاروا شــخصين إنجليزيين وهما «دجون يزاكولية» و «جورج» وأظهروا لهما تلــک المخطوطة والكتابات التى كانت لديهــم وقالوا لهما إننا نحرص علــى إحياء هذه الجمعية التى طواها النســيان. وكانوا يميلون إلى تغيير إســم الجمعية لتتناغم وتتسق مع العصر الحديث. ووافق الجميع فى هذا الإجتماع على إحياء الجمعية وتغيير إسمها.

وبعد مضى عدة أيام، أقيمت جلسة حضرها جميعهم. واختاروا فيها إسما جديدا للجمعية ألا وهو «الماسونية» أى «البناؤون الأحرار».

وقالوا: «إن هذا الإسم حظى بالقبول لانه هو الإسم الذى اختاره المهندسون الإيطاليون لأنفسهم فى القرن الثالث عشر: «Free Masons».

وهذا الإسم يتمشى مع العلامات والإشارات والرموز القديمة التى كانت تســتخدم فى جمعية «الســلطة الخفية» منذ تأسيسها فى عصر هيرودس

---

١. راجع: «الماسونية»، للمؤلف (**منصور عبدالحكيم**). ويضم هذا الكتاب مزيدا من الدراسات النافعة حول ذلك التنظيم. الناشر: دار الكتاب العربي.

وحرام ابيود. وفضلا عــن ذلک، هناک الان مجموعات البناؤون الأحرار والمهندسون الذين يملكون محافل وجمعيات ويعقدون إجتماعاتهم فيها، لكن هذه المجموعات والجمعيات، هی جمعيات مهنية وحرفية.[١]

١. **عبدالحكيم، منصور**، «العالم رقعة شطرنج»، ص ١٣٦.

تنظيم البناؤون الأحرار (الماسونية)

ونصل في إدامة رصد مسار التطور التاريخي والثقافي لقبيلة اللعنة وتسليط الضوء على كيفية نشأة وتكوين الجمعيات السرية، إلى البنائين الأحرار.

وعلى مدى السنوات الأخيرة، بثت أقاويل حول تنظيم الماسونية السري وامتزجت أحيانا بالأساطير لدرجة أنه يصعب إكتشاف حقيقة الأمر. ولم يكن قادة هذا المحفل[1] غير راغبين في إخفاء وجههم الحقيقي وموقعهم الرئيسي تحت طبقات من الأساطير عن النظرة الثاقبة للباحثين.

والمؤسف أنه في «ايران» ومن خلال التقديم الناقص والعامي لهذا التيار الغامض في هيئة عدد من الرموز المعروفة وإثارة الضوضاء والضجة، أزيلت إي إمكانية للتساؤل الجاد عن ماهية أحد أكثر الجمعيات السرية الناشطة والحاضرة في التعاملات والمناسبات **السياسية** و**الثقافية** و**الاقتصادية** غموضا في عالم اليوم.

ولإلقاء الضوء على هذه الجمعية، فان إهتمام أي باحث يجب أن ينصب بالضرورة على الحالات التالية:

١. مسقط رأس ومنشأ تنظيم الماسونية؛

---

١. اللوج (بالفرنسية Lodge)، مقصورة في مسرح أو دار للسينما تخصص لبعض المتفرجين. كما تسمى المحفل وهو مكان التجمع وأبسط الوحدات التنظيمية في النظام العالمي للماسونية. (**مشيري، مهشيد**، «معجم المفردات الأوروبية في الفارسية»، طهران، البرز، ١٣٧٢هـ .ش.).

٢. مسار تطور وتكوين هذا التنظيم والتغيرات التي طرأت عليه؛

٣. المبادئ والأسس الفكرية والنظرية السائدة في هذا التنظيم السري؛

٤. أداء هذا التنظيم على مدى سنوات طويلة من العمل في الميادين المختلفة والأثر السياسي والثقافي والاقتصادي؛

٥. الوجهة النهائية والغاية القصوى من تشيكل تنظيم الماسونية.

إن مفردة الماسونية قد أخذت على الأرجح من مصطلح Freestone Mason بمعنى البناء الحر باللغة الإنجليزية أو Franc Mason ويعني البناء الفرنسي باللغة الفرنسية. والشخص الذي ينتمي إلى تنظيم الماسونية، يسمى ماسوني، والموقع الذي يمثل الوحدة التنظيمية للماسونيين، يدعى اللوج.

ولان هذا التنظيم كان يعمل في الخفاء وكان أعضاؤه وبناء على التقليد الماسوني ملزمين بالتستر وإخفاء إنتمائهم للفرقة ومعتقدات أعضاء اللوج، فان الحديث حول نشأة ومصدر تكوين هذه الفرقة وأداء أعضائها يكتنفه دائما الغموض والسرية. ومع ذلك، فان المجاميع الماسونية كانت دائما موضع شبهة وتوجه إليها أصابع الإتهام.

وتقول «موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية» ذيل مفردة الماسونية:

إن مفردة الماسونية مأخوذة من مفردة Mason الإنجليزية والتى تكتب ماسون بالعربية. وتعنى هذه المفردة البناء وأضيفت إليها كلمة Free التى تعنى الحر وتشكل مصطلح البناء الحر. ويختلف الباحثون فى تعريف أصل كلمة الحر. ويرى البعض أن هذه المفردة مأخوذة من Free stone وتعنى الحجر الرخو، لكن بعض التفسيرات ترى أن مصطلح Free mason يعنى البناء الماهر فى مقابل Rugh or Raw Mason ويعنى البناء المبتدئ والغر. وثمة رأى ثالث يقول أن Free mason يعنى عضو نقابة البنائين...[١]

١. **المسيرى، عبدالوهّاب**، «موسوعة اليهود واليهودية والهيونية»، ترجمة مؤسّسة دراسات وبحوث تاريخ الشرق

مسقط رأس ومنشأ تنظيم الماسونية

وثمة اليــوم زهاء أربعة ألاف عنوان كتاب وألوف المقالات حول الماســونية في العالم، ما أضافت للأسف المزيد من الغموض والتعقيد السائدين حول هذه الفرقة بسبب إفراط أو تفريط مؤلفيها.

ويبين **محمّد عبد الله عنان**، حصيلة الآراء المعلنة حول هذا التنظيم هكذا:

إن هــذه الآراء والنظريات تختزل بهذه الطريقة وهى أن أصل البناء الحر [الماسونية] متعلق بأحد المبادئ الإثنى عشر التالية:

١. البطارقة؛

٢. أسرار عبدة الأوثان؛

٣. بنّاء هيكل سليمان؛

٤. الصليبيون؛

٥. فرسان الهيكل؛

٦. جمعية أهالى الصناعة الرومان؛

٧. عمال البناء فى العصور الوسطى؛

٨. أخوة الصليب الوردى؛

٩. أوليفر كرومول؛

الأوسط، إصدارات أمانة المؤتمر الدولي لدعم الإنتفاضة، الطبعة الأولى، ١٣٨٣هـ .ش.، ج ٥، ص ٥٠٢.

١٠. الأمير شارل استوارت والتى أنشأها لأغراض سياسية؛

١١. كريستوفر رن خلال بناء كنيسة سنت بول؛

١٢. للدكتور دزاجلييه وأصدقائه عام ١٧١٧م.[١]

وعلى الرغم من تنوع المبادئ الإثني عشر التي تطرق إليها الأستاذ عنان، فان جزء كبيرا من هذه المبادئ تمثل في الحقيقة منعطفا في حياة هذا التنظيم السري. وكأن هذه العناوين الإثني عشر هي بمنزلة محطات في الطريق الطويل للماسونية. وحسب «موسوعة فلسفة الرمز وعلم النفس»:[٢]

لقد كانت الماسونية حركة سرية فى القرن العاشر الميلادى. وفى بريطانيا، كانت الماسونية خليطا من النسخة البريطانية للغنوسيک وصولا إلى حركة روسيكروسين[٣] **[الصليب الوردى] الألمانية. وبالرغم من أن هذه الحركة تضرب بجذورها فى تعاليم نقابة المعمارين والبنائين فى العصور الوسطى، لكن الهيئة الحديثة للماسونية تمتد جذورها فى الحالة المطورة والغامضة للغنوسيک فى العصر المعروف بعصر ما بعد الإصلاحات [البروتستانتية]... وثمة وثائق تظهر أن محافل ماسونية كانت موجودة فى اسكتلندا فى أواخر القرن السادس عشر للميلاد.**[٤]

ونلاحظ أن جزء من المبادئ الإثني عشر يندرج في هذا الموضوع.

وهذا لا يعنى أن أصل البناء الحر يعود حتما إلى أحد المراجع آنفة الذكر، لان البناء الحر الجديد يستند إلى مبدئين مختلفين: أحدهما صناعة البناء الخاصة بذاتها والاخر النظرية الفلسفية حول أسرار الموت والحياة.

ويتفق الكاتب مع هذه النظرية. إن الإستخدام الرمزي لأدوات البناء وفنون

---

١. **عنان، محمّد عبدالله**، «تاريخ الجمعيات السرية والحركات الهدامة»، ترجمة علي هاشمي حائري، مكتبة بهجت، الطبعة الثالثة، ١٣٥٨هـ .ش.، ص ١٠٦.

2. Encyclopedia of Occultism and Parapaychology.

3. Rosicrocian.

4. Stevenson, David (November 1988), «The origins of Freemasonry ScotLand Contury 1590-1710», Cambridge University press.

العمارة من جهة، والتوجه الفلسفي الخاص للماسونية تجاه العالم والإنسان من جهة أخرى، يميط اللثام عن التمازج بين التعليمين. وليس من الصعب إكتشاف نقطة بدء هذا التلاقي والإمتزاج.

ويعبر **الكونت دِ آل‌ويلا**[1] الذي يعد من البنائين الأحرار الشهيرين، عن هذا الشئ في كلامه ويقول:

إن الفكر الفلسفي للبناء الحر، هو ثمرة تمازج فئة من بنائي العصور الوسطى مع الفرقة السرية من تلامذة الفلسفة. فقد قدمت الفئة الأولى الشكل والصورة للفئة الثانية بينما قدمت الفئة الثانية الذهن والفكر.[٢]

وبذلك فان رموز وعلامات البناء المستخدمة في الماسونية، هي أشكال مستعارة تخفي بباطنها إنطباعا فلسفيا خاصا.

إن معظم الباحثين الذين درسوا الهيئة الباطنية والأداء الخارجي لتنظيم الماسونية، يشيرون تارة إلى إضطلاع هذا التنظيم بدور في المناسبات السياسية والإجتماعية، لكنهم غفلوا أن الماسونية وقبل كل هذا، هي وليدة إنطباع خاص وعام عن العالم والإنسان، وأن الإنطباع ذاته يشكل بنيتها النظرية، لذلك فان التساؤل الأصلي عن الماسونية ومبادئها ومآربها، هو نفسه التساؤل عن بنيتها النظرية والفلسفية العامة. ومن دون هذا التساؤل، فان الماسونية تبقي متخفية بين مئات الظنون والإحتمالات ولا تسقط القناع عن وجهها.

1. Eugene Goblet d'Alviella.

٢. **عنان، عبدالله**، «تاريخ الجمعيات السرية والحركات الهدامة»، صص ١٠٤-١٠٥.

المبدأ الأول، الشكل الظاهر

وفيمـــا يخص المبـــدأ الأول، أي ما يتصل بصناعة البنـــاء ووجها من أوجه تنظيم البنائين الأحرار، يجب القول:

وتصل جذور الماسونية إلى المجموعات والنقابات المهنية لعهد الإقطاع فى العصور الوســطى، مجموعات شــبه دينية ومنظمة بالكامل، ويملك كل منها، بروتوكولات وعلائم ورموز خاصة بها، يكمن فيها قسم سرى، يحافظ على سر تلك المهنة ... وكانت نقابات البنائين من أقوى النقابات المهنية، لان العصور الوسطى كانت تمثل العصر الذهبى لتشييد الكنائس والكتدرائيات والأديرة والمقابر. وكان اللوج، مصنوعا من الطين أو مادة أخرى للبناء، كان بالإمكان إزالته أو هدمه بسهولة فى ختام العمل. وفى هكــذا أمكنة، كان البناؤون يتبادلون خبراتهم ويعرضون لشــكاواهم من مشاكل العمل. وكانت نقابات البنائين فى القرن السادس عشر حتى عصر النهضة فى الغرب حيث فترة الإصلاح الدينى، مزدهرة.[1]

وتعد الرمزية من المواصفات الرئيســية للتنظيمات الســرية وعامة الأشخاص المعنويين والطبيعيين الميالين إلى التستر والتخفي وبالتالي الماسونية.

---

١. **المسيري، عبدالوهّاب**، «موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية»، ص ٥٠٤.

وتعد المسلة[1] ويد الشـيطان أو اليد ذات القرون وزاوية البناء والفرجار وحتى أعـداد مثل ٦٦٦ و ١٣ وعين العالم و...، ضمن رمـوز هذه التنظيمات، وكما سـنذكر تاليا، فـان ما يرفد هذه الرموز من حيث المفاهيـم والفكر، هو الأفكار الملحدة للمصريين القدامى والسحرة وسائر المدارسة المشركة.

ويمكن مشـاهدة هذه الرموز في جميع الأعمال الفنية وأنماط الرسم لاسيما الأعمال المعمارية للمعمارين الماسونيين.

وكانت الرمزية طيلة تاريخ الحياة البشـرية، على صلة وثيقة بالمفاهيم الفلسفية والإنطباعـات الكليـة عن العالم والإنسـان، وكأن هذه الرمـوز كانت تنقل كما هائلا من المفاهيم إلى المشـاهد في أقصر فترة زمنية ومن دون الإفادة من خزين المفـردات، مثلما أن المصريين القدامى كانـوا يعتبرون بعض الزهور، رمزا للموت والفناء ويعتبر البابليون، الأفعى رمزا للخلود، والشمس رمزا للكرم والجود.

وتعد «الرمزية» اليوم مدرسة أدبية ونهضة في الشعر الفرنسي.

ويعيد **محمّد عبد الله عنان**، التايخ إلى الوراء ويقول:

إن معشر البنائين كانوا موجودين منذ القرون السالفة والقديمة وفى أقدم الأمـم بمن فيهم مصر واليونان، و ظهروا فى أوروبا منذ بداية النصراينة وانتشروا خلال العصور الوسطى بين جميع الشعوب الغربية. وقام الرهبان بنقل طقوسهم وتقاليدهم من مصر القديمة إلى أوروبا فيما وضع الرومان، نموذجا جديدا عن تلك الطقوس والعادات وأسسوا جمعية تدعى العرفاء الشـهيرين للبنائين، وبذلك يرجع بعـض الباحثين، أصل البناء الحر إلى هذه الجمعية الرومانية ويقولون إن أول جمعيات البنائين التى عرفت فى بريطانيا، جاءت بسبب اشتغال الرومان الذين احتلوا الجزر البريطانية.[2]

1. Obelisk

٢. **عنان، محمّد عبدالله**، «تاريخ الجمعيات السرية والحركات الهدامة»، ص ٥٠٤.

المبدأ الثاني، الإنطباع الفلسفي

أما فيما يخص المبدأ الثاني، أي ما يتعلق بالإنطباع والفلسفة والفكر الرئيسي للماسونية، فقد وضعت العديد من الكتب والمؤلفات، وحصلت في ظل الإستناد إلى القرائن والشواهد، الكثير من التكهنات. ويرجع الماسونيون أحيانا، ماضي وتاريخ تشكيل هذه التنظيمات، إلى خلق **آدم** و**حواء**عليهما السلام وذلك من أجل تضخيمها. وقد بيّن **محمّد عبد الله عنان** حصيلة إستنتاجاته حول نشأة تعليمات الماسونية ويقول:

إن أصل التعليمات الفلسفية قديمة للغاية ويمكن أن تكون حول القبالة اليهودية ويمكن أن تكون حول بطارقة العصور الأولى والتى تشكلت من جمعيات الحكماء فى مصر وكلدة وايران واليونان، وكان لها إجتماعات، خاصة أن المستر تشرشوارد يرجح أن العنصر الفلسفى للجمعية المذكورة هو مصرى بحت ويقول فى كتابه:

«وكان البطارقة[1] والسحرة فى الهند وكلدة وايران وآشور، يؤدون الطقوس الدينية ذاتها، وكان كل من الكهنة الذين يلتحقون بجمعيتهم، يتبعون هذه الطقوس. وكان هؤلاء يقسمون من الأعماق أن يتستروا على التعليمات ويخفونها عن باقى شعوب العالم، وأن جميع تلك التعليمات

1. Patrich

تعود إلى مصدر واحد ألا وهو مصر».

كما يشير هذا الكاتب إلى عبارة وردت فى كلمة للدكتور ويليام دود ألقاها فى حفل إفتتاح معبد من معابد البنائين الأحرار عام ١٧٩٤ للميلاد إعتبر فيها إن أصل البناء الحر يعود إلى قراء الطالع والعرافين والكهنة فى سهول كلدة وأمراء مصر والكهنة المتصوفين [الكابالا] وحكماء اليونان وفلاسفة الروم. ومن ثم يقول أنصار هذا الرأى أن هذه التعليمات والطقوس إنتقلت إلى الغرب على يد البنائين الأحرار ونقلتها جمعية أهالى الصناعة الرومان إلى بريطانيا.

ومع كل ذلك، فان مبادئ البنائين الأحرار وتعليماتهم، لا تنسحب على سجايا الشعوب القديمة، حتى وإن أقيمت طقوس فى محافل تلك الجمعية، وأن بعض الإشارات الموجزة ترمز إلى خفايا مصر والفينيقيين والتعليمات السرية لفيثاغورس وإقليدس وافلاطون فى مجال مراتب هذه المهنة وتعليماتها وتقاليدها، لان التعبيرات والكلمات المألوفة والمتداولة والدارجة بينهم ليست مصرية ويونانية أو كلدانية أو فارسية، بل يهودية. لذلك، فانه إن كان شئ من التعليمات السرية القديمة قد انتقل إلى الغرب على يد القساوسة والرومان العلماء والعرفاء باسرار اليونانيين والمصريين القدامى، فانه لا شك أن القبالة اليهودية، تمثل طريقة وسبيلا اخر لنقلها.[١]

وتحدثنا قبل هذا عن نقل الثقافة المعبدية من مصر ومن كهنة المعابد القديمة إلى بني اسرائيل. بحيث أن السامري وسحرة بني اسرائيل، نقلوا بعد رحيلهم من مصر بصحبة النبي **موسى**عليه السلام تلك التعاليم وتداولوها بينهم جيلا بعد جيل ولقرون متمادية.

ووصلت الكنوز الخفية لـ«هيكل سليمان» التي كانت تضم فيما تضم وثائق

١. **عنان، محمّد عبدالله**، «تاريخ الجمعيات السرية والحركات الهدامة»، صص ١٠٦-١٠٧.

ومستندات ونسخ من التعاليم القبلانية والخالدة، إلى فرسان الهيكل إبان الحروب الصليبية، وانتقلت عن طريقهم إلى أوروبا.

وقيل حول الفرسان:

وارتدت هذه الطائفة الغريبة من الصليبيين عن المسيحية متأثرة بالأسرار التى عثرت عليها فى بيت المقدس، وشرعت بتأدية الطقوس السحرية. وقلنا أن الكثير من الباحثين يذهبون إلى الإعتقاد بان هذا السر متعلق بالقبالة، فعلى سبيل المثال، يعرض الكاتب الفرنسى اليفيس لوى فى كتابه بعنوان «تاريخ السحر» وثائق مسهبة تؤكد أن طائفة فرسان الهيكل كانت تؤدى طقوسا غامضة تحيطها الأسرار والتى كانت قد تدربت عليها بصورة سرية ضمن تعاليم الكابالا.[1]

وقد بين الروائى الإيطالى الشهير امبرتو اكو[2] هذه الحقائق فى هيئة قصة فى أحد كتبه بعنوان «Foucault's Pendulum». ويقول فى هذا الكتاب على لسان أبطال القصة أن فرقة فرسان الهيكل خضعت لتأثير القبالة وكان القباليون يحملون سرا يعود موطئ قدمه إلى فراعنة مصر القديمة. وحسب اكو، فان بعض اليهود الشهيرين، تعلموا أسرارا خاصة من المصريين القدامى ومن ثم أدخلوها فى الكتب الخمسة الأولى للعهد العتيق (الأسفار الخمسة للتوراة). لكن هذا السر الذى انتقل بصورة خفية، كان يمكن فهمه من قبل القباليين فحسب. (ويتطرق كتاب زوهر الذى وضع لاحقا فى اسبانيا وتحول إلى الكتاب الأساس للقبالة إلى أسرار هذه الأسفار الخمسة). ومن ثم يقول اكو أن القباليين إنتبهوا إلى سر مصر القديمة هذا فى القياس الهندسى لهيكل سليمان وتعلمته طائفة فرسان

1. Eliphas Levi, Histoire de Megie, p. 273; Nesta H.Webester Secret Socities And Subversive Movements Bo,

نقلا عن **يحيى، هارون**، «الماسونية العالمية»، المترجم: الدكتور **سيّد داوود ميرترابي**، طهران، الألمعي، الطبعة الاولى، ۱۳۸۵هـ .ش.، صص ۵۰-۵۱.

2. Umberto Eco.

الهيكل من حاخامات قباليى أورشليم:

وقد لفت السر – الذى مازال محددا تماما فى الهيكل – فقط إهتمام مجموعة صغيرة من الحاخامات الذين بقوا فى فلسطين ... وتعلمه فرسان الهيكل منهم.[١]

وعندما قبل فرسان الهيكل هذه المعتقدات المصرية – القبالية، أصبحوا بشكل طبيعى فى تعارض مع الكنيسة المسيحية النافذة فى أوروبا. وكان هؤلاء يتشاركون فى هذا الصراع مع قوة مهمة أخرى أى اليهود. وبعد أن ألقى القبض على فرسان الهيكل بايعاز من ملك فرنسا والبابا عام ١٣٠٧ للميلاد، تحولت الطائفة إلى تنظيم سرى، لكن نفوذها استمر بشكل أكثر تطرفا وحزما.

وقد فر عدد ملحوظ من الفرسان ولجأوا إلى ملك اسكتلندا (الملك الأوروبى الوحيد الذى لم يعترف فى تلك الفترة بسلطة البابا). وفى اسكتلندا، توغلوا فى نقابة البنائين (صناع الجدران) واستولوا عليها فى نهاية المطاف.

وقد تقبلت هذه المهن طقوس فرسان الهيكل، وتم بذلك بث بذور الماسونية فى اسكتلندا. وحتى اليوم يعد النهج الرئيسى للماسونية، الديانة القديمة والمقبولة لدى الاسكتلنديين.[٢]

وكما أسلفنا، فان الماسونيين يعيدون تاريخ تأسيس هذا التنظيم إلى عصر النبي **سليمان**عليه السلام وذلك في خطوة للتضخيم وإصطناع التاريخ.

ويقول **محمّد عنان:**

وتصر جماعة من الماسونيين على أن نظام الجمعية الماسونية اقتبس من عهد النبى سليمان وإبان تشييد الهيكل، ويشيرون إلى صناعى يدعى

---

١. **يحيى، هارون**، «الماسونية العالمية»، ٥٠-٥١

٢. المصدر السابق، صص ٥١-٥٢.

هيرام الذى كان فى خدمة سليمان ليساهم فى بناء الهيكل، وينسبون الماسونية إلى هيرام ابيف. وكان هيران إبن أرملة من قبيلة النفتالى والذى كان يخدم فى منصب رئيس البنائين وحارس نظام عمل البنائين، وقتل على يد مجموعة كانت تسعى لكشف أسرار المعمارية ومبنى الهيكل.[١]

لكن هذا القول هو أشبه بالأسطورة منه إلى الحقيقة. وبعد أن يأتي محمّد عبد الله عنان على ذكر هذه القضية، يرى أن الكلام المعقول يكمن في العودة إلى ما حصل مع فرسان الهيكل ويقول:

والمعقول أن نعود إلى فرسان الهيكل، على اعتبار أنهم نقلوا العناصر اليهودية إلى البنائين الأحرار [الماسونيين]. وقد أخذ هؤلاء الفرسان وكما لاحظنا، إسمهم من هيكل سليمان. لذلك فان المرجح أنهم اطلعوا خلال مكوثهم فى «بيت المقدس» على الأساطير اليهودية المتعلقة بمبنى الهيكل.

وقد أقر «جورج ساند» الروائى الفرنسى الشهير الذى كان ضليعا فى تاريخ الجمعيات السرية، بهذا الموضوع، هناك فى إحدى رواياته حينما يشير إلى فرسان الهيكل ويقول:

وكانوا ينحبون ويبكون فى عجزهم على «هيرام» شخصيا، وكان هيرامهم كلمة تجرى على الألسن وتشير إلى الدولة التى خسروها.

وكان الفرسان [وبعد مقتل رئيسهم] ينحبون أيضا على أستاذهم الأعظم جاك دو مولاى. وكان معشر الفرسان يقصون على أصدقائهم، أسطورة هيكل سليمان.[٢]

وفيما يخص سبب إنتساب فرسان الهيكل وما بعدهم الماسونيين إلى هيرام

---

١. **عنان، محمّد عبدالله**، «تاريخ الجمعيات السرية والحركات الهدامة»، ص ١٠٧ (بتلخيص).
٢. المصدر السابق، ص ١٠٩.

(أستاذ البناء في عصر النبي **سليمان**(عليه السلام))، يقر الأستاذ **محمّد عبد الله عنان** أن هذه النسبة جاءت بسبب تقية الفرسان بعد مقتل رئيسهم **جاك دو مولاي** ويرى أن بكاءهم في حداد هيرام يشكل ذريعة لإخفاء علاقتهم ونسبتهم إلى الفرسان وجاك دو مولاي.

ويمكن إقامة دليل اخر على سبب نسب الماسونيين أنفسهم إلى هيرام أبيف: وتبدأ أسطورة هيرام بالآيات التالية في «التوراة":

وأتى الملك سليمان، بمبعوث هيرام من صور. وكان إبن أرملة من سبط النفتالى [أحد أسباط بنى اسرائيل]، وكان أبوه من أهالى صور ونحاسا. وكان بارعا وماهرا فى صناعة النحاس. لذلك جاء عند الملك سليمان، وأنجز جميع أعماله وصب عمودين من النحاس الأصفر، بلغ طول كل عمود ثمانية عشر ذراعا، فيما أحاط حبل طوله إثنى عشر ذراعا، العمود الثانى. [أول الملوك، الباب ٧، الآية ١٣].

وبما أن محافل الماسونية على تواصل مذهل مع التعاليم التوراتية، وتتابع مآرب أشرار اليهود في إعادة تأهيل الهيكل وتأسيس الدولة اليهودية في «أورشليم"، لذلك فانهم يعيدون نسبهم إلى الهيكل وبانيه أي هيرام.

وتم فى مجلة «الشرق الكبير» الماسونية توصيف هذا الأستاذ هيرام الذى كان برواية التوراة معمار هيكل سليمان، بالأسلوب التالى:

ويتم تقديم الأستاذ هيرام بانى الهيكل المقدس لليهود بوصفه أب الماسونيين. ويتجلى بذلك سبب اخر عن وجود صلة قريبة جدا بين النزعة اليهودية والنهج الماسونى. وحسب الآيات آنفة الذكر، فان الأستاذ هيرام قدم على أنه إبن أرملة.[١]

١. فريق الدراسات العلمية التركى، «أسس الماسونية»، ترجمة **جعفر سعيدي**، ص ١٢٧.

أبناء الأرملة

وعلى أي حال، فان الماسونية هي من الناحتين النظرية والعلمية، على صلة وثيقة مع اليهودية والقضية اليهودية، ويصبح من المستحيل معرفة التنظيم الماسوني من دون التعرف على هذه النسبة الفلسفية والعلمية. كما أن إيلاء الأهمية الخاصة بالأراضي المقدسة، يمثل بدوره سندا اخر لهذا الموضوع:

إن الماسونية هى على تواصل وثيق مع الأراضى المقدسة ليس بسبب الوشائج الأسطورية فحسب بل بسبب وجود الهيكل المقدس للنبى سليمان عليه السلام فى أرض الميعاد.[1]

إن قضية تقديس الماسونيين لـ«أرض الميعاد» كان دائما محط إهتمام وحوار الباحثين. وجئ بسببين لهذا الغرض:

١. شروع التاريخ الماسونى (الخرافة الماسونية فى الأراضى المذكورة)

٢. [الزعم بـ] وجود هيكل سليمان فى هذه الاراضى وبنائه على يد هيرام الذى رقى إلى درجة الأبوة فى منظور الماسونيين الكبار.[2]

وتأسيسا على هاتين الرؤيتين، فان ثمة رؤية ثالثة سنتطرق إليها في الأقسام اللاحقة.

---

١. فريق الدراسات العلمية التركي، «أسس الماسونية»، ترجمة جعفر سعيدي، ص ١٢٨؛ نقلا عن مجلة «معمارستان»، عام ١٩٨٢م.، العدد ٤٥٠، ص ٧.

٢. فريق الدراسات العلمية التركي، «أسس الماسونية»، ص ١٢٨.

وفي أعقاب البحوث والدراسات التي أنجزت حول نشأة ومسقط رأس فكرة جمعية البنائين الأحرار (الماسونيين) فانه تم طرح فرضية أخرى سنصل في ضوء دراستها إلى إستنتاج نهائي. ويرى الأستاذ **عبدالوهاب المسيري:**

لقد تخالطت وتمازجت فلسفة البنائين مع الفلسفة الهرمسية[١] السائدة فى بريطانيا فى عصر النهضة. وتنسب الفلسفة الهرمسية، وهى فلسفة غنوسية[٢] بخصائص الأفلاطونية الجديدة إلى «هرمس تريسمغيستوس». وكان شخصية أسطورية وجوهرية فى الفلسفة الغنوسية، ونبيا من أنبياء ما قبل المسيحية. وكان رسولا من الآلهة إلى البشر ويحمل المعرفة الباطنية (غنوص).

إن فلسفة البنائين كانت تربطها أوجه اشتراك عديدة مع حركة الصليب الوردى[٣]. وجرى الحديث عن هذه المجموعة للمرة الأولى فى القرن

---

١. الهرمسية HERMETISM:

إن **هرمس** في العصور الوسطى هو **طاط** المصريين و**أخنوع** اليهود و**هوشنك** الايرانيين القدامى و**إدريس** المسلمين، وأن أتباعه في أي موطن ومن أي مذهب كانوا، يعتبرونه نبيا سماويا ومبشرا للأسرار الإلهية والعلوم الملكوتية، لكن وقبل تمازج الحضارة اليونانية والمصرية في الإسكندرية وإيجاد المدرسة الهرمسية الخاصة، كانت شخصية هرمس وطاط منفصلة عن إحداها الاخرى. بمعنى أن هرمس كان أحد الآلهة اليونانية القديمة وطاط أحد الآلهة المصرية والذي كان المصريون يعرفونه منذ الزمن الغابر، ويعتبرونه أحد أفضل القوى السماوية.

والهرمسية هي فلسفة دينية قائمة على التعاليم الهرمسية. ويرى البعض أن هذا الإنطباع الهرمسي يضرب بجذوره وأساسه في جميع ديانات العهد القديم. وحظيت كتب هذا المذهب في عصر النهضة بالاهتمام ونقلت إلى اللغات الاخرى.

وقد نبذت الكنيسة التعاليم الفلسفية الهرمسية التي اجتذبت بطريقة أخرى من قبل الإنسانويين.

إن **جيفاني بيكو دلا ميراندولا** الذي كان يسعى لربط الكابالا اليهودية بالعرفان المسيحي، درّس الهرمسية للأوروبيين في عصر النهضة. (ويكيبيديا الحرة، مفردة هرمسية)

٢. الغنوصية GNOSTIKOS

إن غنوص هي مفردة يونانية وتعني العلم والمعرفة، والغنوصية هي عنوان يستخدم لبعض المدارس الدينية وديانة تعتبر أن نجاة الانسان رهن بنيل ضرب من المعرفة السرية التي هي بحوزة الأخيار.

ونشط الغنوصيون بنحو قرنين قبل الميلاد حتى القرن الثاني الميلادي في منطقة الشامات لاسيما الإسكندرية في مصر، وأثرت تعاليمهم على اللاهوت اليهودي والمسيحي بقوة.

وأبرز الخصائص النظرية للمدارس الغنوصية هي إعتقادها بنوع من الثنوية التي كانت تغطي أرجاء الكون بدء من الألوهية وصولا إلى وجود الانسان وأركان العالم. إن الإعتقاد بالهين إثنين والتقابل بين الروح والجسد، يؤسس لتعاليم الغنوصية من حيث معرفة اهإن وعلم الانسان وعلم الوجود.

3. Rosierusian.

السابع عشر. وادعت هذه الفرقة الغنوصية أنها تملك الحكمة الخفية التى كانت بحوزة الأقدمين. إن إختلاط رموز وأسرار البنائين مع الفلسفة الهرمسية والصليب الوردى أدى بشكل عام إلى أن تزول القيمة الوظيفية لحرفة البنائين، فيما اكتسبت أدواتها (سواء الفرجار والذراع والبوصلة وزاوية البنائين والصدرية والمنقلة) قيمتها الرمزية، فعلى سبيل المثال، أصبحت مسواة البنائين، رمزا للعدالة والشاقول رمزا للصمود والصدق فى الحياة وأعمال الإنسان. وبذلك تشكلت الماهية المؤلفة من عدة طبقات والمركبة للرموز الماسونية والتى تضم فى طياتها رموز الديانات المصرية القديمة [التعاليم السحرية] وكذلك المفردات العبرية المأخوذة من القبالة، الفكرة التى ترسخت فى الكثير من الأفكار الماسونية.[١]

ويذهب المؤلف إلى أنه يمكن في الحقيقة إعتبار الماسونية دمجا للتعاليم المختلفة التي وصلت في السير التكويني إلى الموقع المعاصر.

وقبل هذا تحدثنا عن جمعية «الصليب الوردي» بوصفها تنظيما سريا انبثق في القرن السابع عشر.

إن هذا التنظيم الذي نشأ في ألمانيا، كان قائما على الفلسفة الهرمسية، وطريقته مبنية على ثلاثة أسس هي الفلسفة والكابالا والسحر، وشارته هي الوردة (رمز الروح) والصليب (رمز الجسد).

ويستنتج **عبدالله عنان** بان:

والان ننتقل إلى العقيدة التى تقول بان نظام البناء الحر قد اشتق من نظام الصليب الوردى، ويقال بان الفيلسوف البريطانى الشهير فرانسيس بيكون (القرن السابع عشر) كان بناء حرا، ومع ذلك كان فى فئة أخوة الصليب الوردى أيضا وأن بعض كتاباته تدلل على أنه كان يملك معلومات و اسعة للغاية حول التقاليد السرية القديمة جدا، وبل يقول أنه كان مؤسس

١. **المسيري، عبدالوهّاب**، «موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية»، ج ٥، ص ٥٠٥.

الصليب الوردى والبناء الحر، كلاهما، وطبعا فان بيكون لم يكن مبدع ومؤسس تلك التقاليد السرية التى أرسيت على أساسهما الجمعيتان المذكورتان، بل قام بنقل تلك التقاليد. ويقول الأستاذ الألمانى مبيله:

إن نظام البناء الحر هو نظام الصليب الوردى بعينه، ولم يطرأ تغير عليه، إلا الذين قاموا بنقله إلى بريطانيا، أدخلوا أشياء جديدة فيه.

ويقول تشامبر الذى صدرت موسوعته للمرة الأولى عام ١٧٢٨ للميلاد:

ويقول بعض أعداء البنائين الأحرار أن جمعية البناء الحر الكبيرة لم تكن سوى فرع لجمعية الصليب الوردى بل هى جمعية الصليب الوردى ذاتها والتى ظهرت فى حلة جديدة، وتضم بالتأكيد البنائين الأحرار الذين يتصفون بجميع بصفات وخصائص الصليب الوردى.

لكن الدكتور ماكى مؤلف «قاموس البناء الحر» يعارض هذا الرأى ويرفضه بقوة ويقول أن لا علاقة البتة بين الصليب الوردى والبناء الحر. وهناك طريق اخر، وربما الطريق الذى انتقلت عبره الأساطير اليهودية إلى البناء الحر والأحبار وعلماء اليهود فى القرن السابع عشر. ويقول المؤلف اليهودى برنار لازار:

وكان اليهود يتواجدون حول مهد البناء الحر.

وأن طابقنا هذه الرواية مع الزمن الذى سبق تشكيل المحفل الأكبر عام ١٧١٧ للميلاد، سنجد أنها مدعومة بالحقائق. فعلى سبيل المثال، يقولون أن الدرع الذى يستخدم الان فى المحفل الأكبر، وضع تصميمه يهودى ما، ورسمه على هيئة الرموز والأساطير اليهودية. درع البناء الحر الكابالائى البحت وكذلك مهر (فص الخاتم) البناء الذى يختمون به الشهادات، هما رمز كابالائى وعبارة عن رجل وامرأة يعانقان أحدهما الاخر.

ملخص الآراء

والخلاصة أن مبادئ البناء الحر لا تعود إلى مصدر موحد وربما اشتقت فى البداية من جميع المصادر التى أتينا على ذكرها. إن نظاماتها المادية قد تكون مشتقة من جمعية الرومان وجماعات البنائين فى العصور الوسطى ومبادئها الفلسفية (المعنوية) من تعاليم البطارقة وعبدة الأوثان، لكن المصدر الذى لا يشك فيه هو الكابالا اليهودية؛ وسواء انتقلت أسرارها على يد جمعيةالرومان أو الفرسان أو الصليب الوردى أو يهود القرن السابع عشر إلى البناء الحر، نقطع الشك باليقين بأن النظم والتعاليم اليهودية، أعتمدت كأساس لبناء المحفل الأكبر عام ١٧١٧ للميلاد ووضعت الطقوس والرموز على هذا الأساس حتى وإن أقحموا بعض التعاليم المصرية القديمة ونظريات فيثاغورس فيها.[١]

وعلى الرغم من الظاهر العرفاني فان أداء تنظيم الماسونية هو دنيوي وعلماني أصلا. إن التعارض الذاتي بين تعاليم الديانات التوحيدية وتعاليم الماسونية، يظهر الفاصل والفارق بينهما. وحسبما يقول الدكتور **المسيري**:

إن تمازج فكر البنائين مع الفلسفة الهرمسية والصليب الوردى، يعد مؤشرا على التوجهات الماسونية. إن هذه الفلسفات وبرغم ظاهرها

---

١. **المسيري، عبدالوهاب**، «موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية».

العرفانى تمثل جزء من الثورة العلمانية الشـاملة التى حصلت فى الغرب فى القرن السـادس عشـر وكان هدفها محو خالق الكون أو إعطاء دور هامشـى له ووضع الإنسـان فى مركز الكون بدلا من الخالق، الانسـان الـذى يجب أن يسـيطر على الطبيعة بالكامل من خلال كشـف القوانين الهندسـية والآلية للطبيعة. لذلك فان هذا هو نوع من الغنوصية الجديدة التى تريد السـيطرة على الكون، لكن ليس عن طريق المعرفة النهائية بل بمدد النظم والهيـاكل العلمية. وعلى أى حال، فان المعرفة النهائية تتخذ فى معظم الحالات شكلا عدديا وهى أشبه بالمعادلات الجبرية.

وفى العصور الوسـطى كان الرأى العام، يتخذ من الدكتور فاوسـتوس[١] رمزا للغنوصية. الشخص الذى باع روحه للشيطان من أجل كسب المعرفة المطلقـة. إنه يعد بطل الفكر العملى وزعيم الفاوسـتية التى تمثل التوجه العلمى والثورى. ولعل كون علائم ورموز أدوات البناء محورا، مؤشـرا على الهيكل الهندسى والآلى الكامن فى الماسونية ومؤشرا على رغبتها بالسيادة على ذات الانسان والكون عن طريق الأساليب الرياضية. (وربما تكون مقارنتها بفلسفة سـبينوزا والتوجه نحو اللغة الهندسية والرياضية الدقيقة، مقارنة مفعمة بالمفاهيم).

ويمكن بذلك معرفة الماسونية من خلال وضعها فى هذا النسيج الفكرى

---

١. **فاوسـتوس** هو الشخصية الرئيسية لمسرحية وضعها الكاتب المسرحي البريطاني للقرن السادس عشر **كريستوفر مارلو**.

وتحكي المسـرحية حيـاة عالم يدعى الدكتور فاوسـتوس الذي هو غير راضٍ عن حياته رغم تحقيقه مكاسـب ونجاحـات ومراتب عليا في الحكمـة والمنطق واللاهوت وتفوقه على الاخرين، لذلك ومن أجل إشـباع ملذاته الدنيوية يلجأ إلى السحر ويدير ظهره على معتقدات آبائه وأجداده. بعبارة أخرى فانه يبرم عقدا مع الشيطان ويسلم بموجبه إليه روحه ليحصل على حياة دامت أربعة وعشـرين عاما من دون هاجس ومصحوبة بالقدرات والملذات الهائلة، لكنه في النهاية، يستسلم للموت بتعاسة وشقاء.

وبعد كريسـتوفر مارلو، ألفت مسرحيات عديدة بنفس المضمون والفحوى. وأهمها مسرحية «فاوست» للألماني غوته. ويجب إعتبار فاوسـتوس أو فاوست مظهرا لإنسان العصر الحديث الذي ركب ماكينة السلطة بعد العصور الوسطى وعن طريق تعاليم الغنوصية والكابالا.

فحسب، وكما يعرف باحثو التاريخ الأوروبى، فان التنوير والإيمان بالقانون الطبيعى ظهرا بعد ظهور فكر عصر النهضة وفكر عصر العقل، وتبلورت الدنيوية (الشاملة) أى إزالة القدسية عن العالم والانسان والطبيعة والإعتقاد بسريان القانون الطبيعى فى جميع المجالات الطبيعية والانسانية وإنكار أى أمر غيبى. لانه فيما عدا ذلك، فانه ليس من الممكن السيطرة على الكون (الانسان والطبيعة) واستثماره وتحويله إلى مادة تطبيقية واستهلاكية. وينعكس هذا الفكر فى طريحة الانسان الطبيعى (العقلانى) أو العالمى، الإنسان (بالمفهوم العام) الذى لا يختلف عن باقى الأناس، وصفاته المهمة والأساسية عامة، ولا أهمية لصفاته الفريدة والخاصة به. الإنسان العقلانى الذى إن استخدم عقله بما يكفى، سيصل إلى الحقائق ذاتها التى توصل إليها الاخرون. (بغض النظر عن الزمان والمكان). لذلك، فان هكذا انسان بمقدوره الوصول إلى فكر الخالق من خلال عقله ومن دون الحاجة إلى الوحى الإلهى أو المعجزة أى من دون الحاجة إلى الدين السماوى، أى أن الانسان الطبيعى والعقلانى العالمى قادر بواسطة عقله على الوصول إلى الإيمان بالدين الطبيعى والعقلانى والعالمى.[١]

١. **المسيري، عبدالوهّاب**، «موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية».

الدين الطبيعي

ولتبيان موضوع ومفهوم «الدين الطبيعي» أو «اللاهوت الطبيعي"[1] الذي حل عقب رواج فكر الإنسانويين وبعدهم التنويريين الأوروبيين، محل «الشريعة الوحيانية» أو الإلهيات القائمة على الوحي[2] وأصبح بعد توسع الثقافة الغربية، محل قبول من لدن متلقي العلوم الجديدة، فلا بد الإشارة إلى بعض النقاط.

وبدأ الحديث عن «الدين الطبيعي» في العصر الحديث مع **ديفيد هيوم** (١٧١١-١٧٧٦م.) ويحتوي كتاب «محاورات في الدين الطبيعي» على آراء مهمة لهذا الفيلسوف الاسكتلندي في باب الدين. و**كلام كونت** (١٧٢٤-١٨٠٤م.) الشهير يظهر نصيب هيوم في الفكر الفلسفي [الجديد] حين يقول:

لقد أيقظنى هيوم من السبات الدوغمائى.[3]

ويعتبرون هيوم من رواد «المنهج التجريبي» واتهم وهو على قيد الحياة بالإلحاد وأيد هو هذه التهمة وأعلن:

يجب أن أقول بانى أقبل كفرى.[4]

إن فلاسفة العصر الحديث وفي ضوء إنكارهم لجميع تعاليم الدين الوحياني

1. Natural Theology.
2. Reveel Theology.

٣. **هيوم، ديفيد**، «التاريخ الطبيعي للدين»، ترجمة **حميد عنايت**، طهران، خوارزمي، ١٣٨٧.

٤. **استراتون، بل**، «الفلسفة بلغة الآدمي»، ترجمة **شهرام خمرئى**، طبعة العلّامة الحلّي، فصل: تاريخ الفلسفة، التعرف على هيوم، ١٣٩٠.

والميتافيزيقيا، وبسبب عجزهم عن درك وفهم التعاليم الوحيانية والتجارب الدينية، إعتبروا كل ذلك خطأ وحصيلة سوء فهم الإنسان، وأعرضوا عن جميع مبادئ الإنطباعات الوحيانية للأديان السماوية، ليعتبروا المعايير والمقاييس التجريبية، أساسا لقياس جميع التعاليم.

ولهذا السبب فان تعاليم الرسل الالهيين تعتبر لدى الفلاسفة التجريبيين، خرافة وحلما لا أكثر. وفي الحقيقة، فان انسان العصر الحديث ومن خلال إضفاء الأصالة على العقل المنقطع عن الوحي (المذهب العقلي)[1] وجعل الحواس والتجربة (المذهب التجريبي)[2] أساسا ومحورا، حاول إتخاذ التجربة الحسية الظاهرية، معيارا ومقياسا لفكره وعمله.

وقد أرسى أنصار المذهب التجريبي أساسا جديدا ينبثق منه «الدين الطبيعي» وذلك من خلال إعلان أن المعرفة الشهودية بما في ذلك التعاليم الوحيانية (الروح وعالم الآخرة و...) لا اعتبار لها ولا تخدم التجربة الحسية للعالم الفيزيقي أصلا.

ومع الإعلان عن «التدين الطبيعي»[3] وجدت بدعة في خضم الضجيج الناجم عن عصر النهضة، بعبارة أخرى، فان هيوم وسائر أنصار المذهب التجريبي، إعتبروا جل مساعي المؤمنين لتلقي الحقائق المستورة حضوريا عن طريق القلب والمكاشفات الباطنية والإبتهال والدعاء و... بانها باطلة وبذلوا قصارى جهدهم لإقناع العقل (المنقطع عن الوحي) عن طريق الإستدلال التجريبي. وكأن هؤلاء وفي ضوء التشكيك بجميع المبادئ والأسس المعرفية للأقدمين، وضعوا أنفسهم خلف طاولة، لينهمكوا بإعادة تعريف كل شئ تأسيسا على الإنطباعات الحسية التجريبية.

وكان واضحا أن عملية إعادة التأهيل التجريبي للتعاليم الدينية، تفرغ الدين من حقيقته، ويصبح الدين في خدمة وتصرف الانسان بدلا من أن يكون الانسان في

1. Rathionalism.
2. Empiricism.
٣. **المسيري، عبدالوهّاب**، «موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية»، صص ٥٠٥-٥٠٦.

خدمة الدين، ليتسنى للانسان أن يفعل مع الدين كل ما يشاء. وربما يمكن إعتبار هذه الممارسة «علمنة الدين» والنزعة الدنيوية البحتة.

ويمكن القول أن الدين الطبيعي أو الربوبى وكما يُزعم، مؤشر على معدل متدن من العلمنة أو العلمانية الجنينية ويلبى طموحات أولئك الأناس الذين فقدوا إيمانهم بالدين التقليدى، لكنهم مازالوا لا يتقبلون عالما يشطب منه الخالق كليا، أى الأناس الذين فرغوا العالم من الدين والقدسية واليقين المعرفى والأخلاقى، لكنهم مازالوا يحتفظون بفكر خالق ما بصورة باهتة، لكى لا يصبح العالم خواء بغتة.

إن الفكر الربوبى لا يطلب من أتباعه تغيير دينهم، بل يريد منهم إعادة تأهيل دينهم لا على أساس الوحى، بل تأسيسا على العقل المجرد من أى غيب. وفى الحقيقة، فان الربوبية (الدين الطبيعى) هى فلسفة علمانية، لكنها متلازمة مع الخطاب الدينى أو الظواهر الدينية لتدافع بذلك عن العقل المادى البحت وعن الرؤى المادة التجريبية. لذلك فان العقل البشرى يمثل إحدى أدوات النزعة الدنيوية.[١]

وفي خاتمة المطاف فان «الماسونية» ولدت من رحم هذا الإطار الفكري والفلسفي والديني.

ومع إحلال الدين الطبيعي محل «الدين الإلهي» ثبتت ولاية وحق إستحواذ الإنسان الغربي بلا رادع ووازع على العالم. ومذاك، عرّف الانسان الغربي المنبثق عن إنطباعات الدين الطبيعي والعقل التجريبي، العالم والانسان بانهما بمنزلة «أشياء يمكن التصرف بها» ويفتقدان لأي نسبة مع العوالم الماورائية. وعندها وصلت الإنطباعات الوحيانية، بالضرورة إلى إنكار الشرائع السماوية وأوامر ونواهي الأديان، ولذلك، فرغت جميع الأحكام والشرائع من مصداقيتها الحقيقية وخرجت من ساحة العمل الفردي والجماعي للانسان. ومن هنا، جلس الانسان

١. **المسيري، عبدالوهّاب**، «موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية»، صص ٥٠٥-٥٠٦.

الغربي، على كرسي الحق واحتفظ لنفسه الحق في إصدار القواعد والقوانين لتنظيم التعاملات والمناسبات.

وبهذه المقدمة الطويلة أقول أن الماســونية أرسيت وأقيمت من حيث المعتقد والفكر على دعائم الدين الطبيعي والمذهب العقلي والمذهب التجريبي.

القسم الثاني

الماسونية، التطور والنشأة

مؤسسو الجمعيات السرية

لقد تمتعت الكنيسة المسيحية الكاثوليكية على مدى عدة قرون متتالية وسيادة الدين، بسلطة لم تتزعزع وتنهار دفعة واحدة. وكانت حركة الإصلاح الديني (البروتستانتية) وتحت شعار نبذ رجال الدين والكنيسة من الديانة المسيحية، بصدد جعل الديانة تواكب تطورات العصر وأوضاعه وتفسيرها ومطابقتها عن طريق الدنيوية لمصالح ورغبات البورجوازية.[1]

ومع إضفاء الأصالة على بشر المذهب الانساني[2] في مقابل أصالة الله والإيمان بالله[3] في العصور الوسطى، فان كل شئ من حيث المبادئ والأصول أخذ يتحرك بإتجاه البشرنة، وأحل الانسان حكمه في جميع الأمور محل الأحكام الدينية والإلهية، وأخذ يطلق صرخة أنا الحق الفرعونية.

ومن هنا، تحولت المسيحية والكنيسة إلى قيد ووثاق للطبقة البرجوازية الناشئة التي كانت ترفد حركة الإصلاح الديني بقوة، يقيدان حركتها وإنطلاقتها، فضلا عن

---

١. البرجوازية BOURGEOISIE تعرف بانها الطبقة التي تعيش في المدن والمرفهة والثرية، وهو مصطلح يستخدم في علم الإجتماع والتاريخ لتحديد الشريحة الإجتماعية الميسورة والرأسمالية، وطبقة التجار ممن اكتسبوا منذ أواخر العصور الوسطى الثروة وأتجهوا نحو المدن وأصبحوا أصحاب السلطة والإعتبار سريعا.
إن البرجوازية هي إبن العصر الغربي الحديث، ونشأت بعد تقويض الدعائم الإجتماعية للكنيسة واكتشاف القارة الامريكية. الطبقة التي انتشرت في المدن عن طريق إكتناز الثروة الطائلة ومن دون أي ماض وإمتياز موروثي لطبقة النبلاء، وأسهمت بشكل ما في نشوء وبناء الثقافة والأدب الاوروبي الحديث في حقبة ما بعد العصور الوسطى.

2. Humanism.

3. Theism.

أن تضخيم ثغرات وهفوات الكنيسة، أحدث شقا في جسم الكنيسة الكاثوليكية وزعزع سيادتها. وكل هذا، ليس مهد لظهور الأفكار غير الدينية فحسب، بل جعل الغرب المسيحي جاهزا لإبداء معاداته للدين.

إن **عصر النهضة** الذي يعد عصر إعادة تأهيل الحياة الثقافية والأدبية، ساهم في ولادة **عصر الشرك** من خلال إحياء وإرساء الحياة الفكرية والفلسفية والأدبية اليونانية والرومانية. ومذاك، ليس إعتمد الغرب نظرة دنيوية بحتة (مبنية على الرؤية اليونانية الرومانية) تجاه الكون والانسان فحسب بل تشبه في العيش بهم أيضا وخلع زي أهل الديانة المسيحية عن نفسه.

وفي السنوات الأوائل من القرن الثامن عشر وبعد مضي قرنين على ولادة التيارات الإعتراضية والإعتزالية وتقوية النهضات الإنسانوية في نطاق الأفكار الإنسانوية وإنحناء الإنسان الغربي إجلالا للدنيوية، توفرت جميع المقدمات لبناء **ثقافة وحضارة العصر الحديث.**

وحتى هذا الحين، كانت الجمعيات السرية التي تنمي بباطنها نطفة الأفكار غير الدينية والإلحادية، تتحضر بوصفها **معمار الثقافة والحضارة غير الدينية،** لوضع أهدافها المرحلية وطبعا الخفية، موضع التطبيق.

المؤسسون الرئيسيون للمجاميع السرية

وعلى الرغم من أن الفرسان ذهبوا بإيعاز من الكنيسة والبابا إلى البلاد الإسلامية للمشاركة في الجهاد الصليبي المقدس ، لكن لم يكن خافيا أن «شهرة ثروة الشرق» و «النهم» للحصول عليها، شكل أكبر دافع لتحركهم باسم الجهاد الصليبي. وعندما نال هؤلاء الثروة والسلطة، أقحموا في طريق العودة مجمل الثروة التي اكتسبوها لتحقيق المآرب والاطماع العدوانية.

إن المجاميع الأولية للفرسان التي تشكلت في الشرق لاسيما في «أورشليم» تحولت في أوروبا إلى طوائف تعمل بصورة سرية وممنهجة لـ«بسط السلطة والثروة». إن هؤلاء النبلاء الجدد وتواصلا مع سائر الأسر النبيلة، سرعان ما تحولوا إلى مجاميع تعرف اليوم بمسميات مثل «المجاميع السرية» و «الصفوة» و «المحارم» وهي العوامل الرئيسية التي تدير وتوجه الغرب. وحسبما يقول **عبد الله شهبازي:**

> **إن التقاليد والتراث الصليبى يضطلعان بمكانة وأهمية بالغتين فى نشأة وظهور أوروبا الجديدة، وهذا العامل الذى سكت عنه فى كتابة التاريخ الرسمى للغرب.**[1]

---

١. .**شهبازي، عبدالله**، «حكومة أثرياء اليهود والفرس»، مؤسّسة الدراسات والبحوث السياسية، الطبعة الأولى، ١٣٧٩هـ .ش.، ج ٤، ص ١٧٢.

إن الحديث عن أحد أكبر «المجاميع» وأكثرها نفوذا والذي كان ومازال حاضرا بجلاء في عامة المجاميع أي «الماسونية» لن يكون ممكنا من دون دراسة التيارين المهمين «الطوائف القبالية السرية» و «فرسان الهيكل»، التياران الرئيسيان اللذان أرسيا بالتواصل مع الأوليغارشية اليهودية والمنظمات اليهودية السرية، الأساس الأولي لـ«الماسونية» وأضفيا بوصفهما «روح» هذا التيار، الحياة والديمومة عليه. ولابد من القول أن الماسونيين وعلى مدى السنوات السالفة وبعد تأسيس المحفل الكبير في «بريطانيا» عام ١٧٧٧ للميلاد، حاولوا للتغطية والتستر على النشأة اليهودية وتأثر الماسونية باليهودية.

إن الماسونية تربطها وشائج عريقة ببريطانيا وطبقة النبلاء. إن هذه التيارات المترابطة معا، كانت ومازالت تؤازر وترفد أحدها الاخر. إن مشروع الحكومة العالمية وسياسة السيطرة على العالم، لتوجيهه على طريق العالم أحادي الحكم، يندرجان ضمن هذه الخطة ويقعان ضمن أضلاع هذا المثلث.

وكانت بريطانيا تملك كل الأسباب والعوامل اللازمة لتؤهلها لإشغال الموقع والبؤرة المركزية للماسونية، بحيث أن الماسونية بوصفها محفلا خفيا ينطوي على مجمل مواهب طبقة النبلاء البريطانية، مثلت الوسيلة الملائمة لتحقيق أهداف وغايات «المجاميع الخفية التابعة لليهودية» عن طريق وقناة الحكومة البريطانية وجعلها تهيمن على العالم باسره. ولا يمكن دراسة وتحليل تطورات وأحداث العالم المعاصر من دون إلقاء الضوء على الأريستوقراطية الأوروبية[1] لاسيما «بريطانيا» وترابطها مع التنظيمات الخفية التي تضرب كلها بجذورها في المندسين اليهود.

إن حادث «الحروب الصليبية» المهم وتعاطي الغرب مع الشرق في الميادين السياسية والثقافية والإقتصادية، كان له دور كبير في تعزيز الأريستوقراطية الأوروبية والتأثر بما حدث وحل خلال الحروب التي دامت مائتي عام وتكوين أوروبا الجديدة. وهذا لم يبق خافيا عن أعين الباحثين المميزين.

وطيلة هذه الحروب التي دامت مائتي عام والمقدسة في الظاهر، راكم جمع

1. Aristocracg.

غفير من الأوروبيين لاسيما الفرسان المشاكسين والتائهين الذين كانوا تحت إمرة الكنيسة وتوجهوا نحو البلاد الإسلامية المقدسة، ثروة طائلة وتعرفوا فضلا عن ذلك على الكثير من التعاليم والمصادر الموجودة في الشرق الاسلامي لاسيما في «أورشليم» و «فلسطين». وأعطى هذا المكسب للفرسان زخما وموقعا اريستوقراطيا قويا لينحوا من خلاله منحى خاصا. إن هذا التوجه الذي كان حصيلة الحصول على المصادر والنصوص الشرقية القديمة («مصر» وفلسطين و...) كان له أثر في التطورات اللاحقة للغرب، الأمر الذي أسهم في ترابط وتواصل الأريستوقراطية والنبلاء مع المجاميع الخفية ووضع أوروبا وخاصة «بريطانيا» في مسار جديد.

وقد إتحدت وتمركزت الماسونية البريطانية تحت عنوان «المحفل الكبير». وإنضم إلى عضوية هذه المحافل عدد من أصحاب المهن والصناعات فضلا عن القادة وكبار المسؤولين البريطانيين الذين كان بعضهم من الأمراء المنتمين للأسرة الملكية البريطانية. وبعد ذلك، توسعت الشبكة الماسونية البريطانية بسرعة فائقة بحيث أن «المحفل الكبير» الذي تشكل عام ۱۷۱۷ للميلاد من أربعة محافل أو جمعيات، أصبح يتحكم بثلاثة وستين جمعية عام ۱۷۲۵ ومائة وستة وعشرين جمعية عام ۱۷۳۳ في «بريطانيا».

ويرى الباحثون أن نحو ستة عشر أميرا بريطانيا إنضموا إلى الماسونية في الفترة من ۱۷۳۷ حتى ۱۹۰۷ للميلاد، فيما كانت تضم قائمة الأساتذة الكبار للماسونية حتى منتصف القرن العشرين أسماء ثمانية أمراء بريطانيين ممن تسنموا العرش الملكي لاحقا في بريطانيا و«السويد» و«الدنمارك». وبذلك فان **جورج الرابع وادوارد السابع وادوارد الثامن وجورج السادس** في بريطانيا و**اسكار الثاني وغوستاف الخامس** في السويد و**فردريك الثامن وكريستين العاشر** في الدنمارك وحتى زوج ملكة بريطانيا الحالية كانوا من الماسونيين.[۱]

---

۱. **حائري، عبدالهادي**، «تاريخ الحركات الماسونية في الدول الاسلامية»، ۱۳٦۸هـ .ش.، الروضة الرضوية المقدسة،

إن دراسة أوضاع وتطورات الجهاز الدبلوماسي وحتى التجاري والعسكري البريطاني وتواجدهم في الدول المختلفة، تظهر أنهم شكلوا محافل ماسونية في كل بلد حطوا الرحال فيه لكي يكون لهم دائما حلفاء من أهالي ذلك البلد. ويقول الدكتور **عبد الهادي حائري:**

لقد كان إدوارد السابع على صلة بالماسونية ويتعلق بها بصفة خاصة. وكان منذ عام ١٨٧٥ للميلاد بوصفه «أمير ويلز» حتى عام ١٩٠١ للميلاد حيث إعتلى العرش البريطانى تحت مسمى إدوارد السابع، «الأستاذ الأكبر» للماسونية فى بريطانيا. واستطاع من خلال الماسونية التواصل مع المحافل والمراجع النافذة الكثيرة.[١]

وفيما يخص التمدد الجغرافي ل «بريطانيا الكبرى» في عهد إدوارد السابع، قيل عنها «الإمبراطورية التي لا تغيب عنها الشمس».[٢]

ويقول **إسماعيل رائين** حول علاقة الماسونية بالبلاط الملكي والأمراء البريطانيين:

... وعلى إثر التبعية والتعلق الشديدين، كان الأعضاء المرموقين فى العائلة المالكة البريطانية ومازالوا أعضاء فى الماسونية. وينضم أولياء العهود بعد بلوغهم سن الواحدة والعشرين عادة إلى تنظيم الماسونية... وعلى الرغم من أن قبول ملك وأمراء بريطانيا فى المحافل الماسونية العالمية يسهم فى عظمة الماسونيين والمحافل الماسونية العالمية، لكن البعض المتخوف دائما من السياسة البريطانية إبان الاستعمار، يرى أن إنتماء الماسونيين لمراكز السلطة البريطانية، يشكل دليلا دامغا على النشاط السياسى للماسونية البريطانية لصالح الحكومة وساستها

ص ٢٧.

١. **حائري، عبدالهادي**، «تاريخ الحركات الماسونية في الدول الاسلامية»، ١٣٦٨هـ .ش.، الروضة الرضوية المقدسة، ص ٢٤.

٢. المصدر السابق، ص ٣٤.

المستعمرين.[۱]

وإضافة إلى ذلك فان مجمل كبار مسؤولي المحافل الماسونية البريطانية، كانوا من النبلاء البريطانيين.

إن المحافل الماسونية البريطانية وفضلا عن قبول عضوية الملوك والأمراء كانت ومازالت تمنح رتبة «السيد الأكبر» للدوقات في «بريطانيا».

وشكل التنظيم الماسوني البريطاني بذلك كادرا إجتماعيا قويا، إتخذ من داخل طبقة النبلاء وأفراد البلاط معقلا لنشاطاته.

وتظهر الإحصاءات التالية كيف أن محفل بريطانيا الكبير كان في الفترة من ۱۷۲۰ إلى ۱۷۵۲ للميلاد في قبضة التجمع البريطاني الأعلى والدوقات:

۱. الدوق «مونتاغ»؛
۲. الدوق «وارتون»؛
۳. الكونت «دالغاليت»؛
۴. الدوق «ريتشموند»؛
۵. اللورد بسلي؛
۶. الكونت اينكيكن؛
۷. اللورد كالرين؛
۸. الفيكونت «لينغستون»؛
۹. توماس دوق «نور فولك»؛
۱۰. الكونت اراندل؛
۱۱. الكونت شاري؛
۱۲. الكونت لورفولك؛
۱۳. اللورد بايرون.[۲]

---

۱. **رائين، اسماعيل**، «الماسونية في ايران»، ۱۳۴۷، ج ۱، صص ۷۹-۸۱.
۲. المصدر السابق، ج ۱، صص ۸۳-۸۴.

وقد ألفت العديد من الكتب حول العالم بشأن تاريخ الماسونية. وذكر إسماعيل رائين إن هذا العدد يصل إلى خمسة آلاف كتاب[١] لكن المؤكد هو أن «المحفل البريطاني الكبير» تأسس للمرة الأولى عام ١٧١٧ للميلاد. وبعد ذلك، فان الدول التي أصبحت تملك محفلا ماسونيا بعد بريطانيا على التوالي هي: «أيرلندا» (١٧٢٠م.) و«اسكتلندا» (١٧٢١م.) و«فرنسا» (١٧٢١م.).

ويقول **عبد الله شهبازي:**

إن أول محفل ماسونى عالمى والذى تؤكد المستندات والوثائق التاريخية وجوده، هو تجمع أقيم فى لندن فى ٢٤ يونيو ١٧١٧ الميلادى وأشهر نفسه كتنظيم يدعى «غراند لوج بريطانيا» (محفل بريطانيا الكبير) واختار شخصا يدعى انطونى ساير[٢] كاستاذ أعظم له... ومن بين الأناس الذين نشطوا خلال فترة الخمس سنوات اللاحقة أى الفترة ١٧١٨-١٧٢٣ للميلاد فى هذا التنظيم، فاننا نعرف أسماء ١٦ شخصا فحسب. ومن بين هؤلاء الأشخاص الستة عشر، كان منهم أربعة من كبار النبلاء وهم الدوق «مونتاغ» و الدوق «وارتون» والإيرل «دالكيت» واللورد «استانهوب». وهناك قسان وستة تجار من بين هؤلاء الستة عشر أيضا.[٣]

إن تسليط الضوء على الكتب المؤلفة حول تاريخ وماضي الماسونية يظهر أن مؤلفي هذه الأعمال أشاروا إلى ثلاثة موضوعات حول نشأة الماسونية:

١. يرى فريق من الباحثين أن الماسونية هي **إستمرار لغيلدات ومحافل البنائين الأحرار المهنيين للعصور الوسطى في أوروبا؛**

٢. ويرى الفريق الثاني أن تراث التنظيمات السرية والمتواطئة المنتمية للواقع الكابالائي السري والغامض يشكل أساس الماسونية؛

٣. فيما يذهب الفريق الثالث إلى أن ديمومة حضور ووجود طوائف فرسان

---

١. **رائين، اسماعيل**، «الماسونية في ايران»، ج ١، ص ٩٠.

2. Anthony Sayer.

٣. **شهبازي، عبدالله**، «حكومة أثرياء اليهود والفرس»، ج ٢، ص ٢١.

الهيكل المتبقية من عصر الحروب الصليبية وموروثها، يمثل أساس ونشأة هذا التيار.

والمؤكد هو أن التستر والإختباء وتأسيس التنظيمات السرية، يحكي عن محاولات جادة لإخفاء شيء كان مذموما لدى الرأي العام وأن إطلاعهم عليه ومعرفتهم به سيكون له تبعات قاسية ونتائج لا تحمد عقباها، وإلا فما الحاجة إلى التستر على الخدمات الإنسانية الخيرية وحتى التجارة النزيهة وبالتالي العمل السياسي المألوف والمتداول؟!

إن هذا الإستتار إما أن يعود إلى «القناعات والمعتقدات» أو الأعمال والقرارات . إنهم يعرفون في الحقيقة أن قناعاتهم ومعتقداتهم وما يعقبها من ممارسات وقرارات لا تستسيغها عامة الجماهير التي ستكون لها ردة فعل جادة بعد الإطلاع عليها. وطوال التاريخ، كان التوغل واختراق أشغال الناس واللجوء إلى السحر والعمل للإستحواذ والإستيلاء على المزيد من الثروة وبالتالي تأسيس الحكومة العالمية الأحادية، كله من الخصائص الذاتية ل"بني اسرائيل» وتجلى وتجسد في هذه الجماعات فحسب.

ويجب معرفة كيف أن اليهود في أرجاء أوروبا، أقاموا علاقات ووشائج مع الأسر الملكية.

دور يهود البلاط في إرساء الماسونية

لقد مهد «بنو اسرائيل» من خلال الإختراق التدريجي للهيكلية والنظام الإجتماعي في أوروبـــا والإرتباط بالعوائـــل النبيلة وبالتالـــي الإرتباط بالســـلطات الحكومية وأصحاب المناصب، الطريق أمامهم للهيمنة على أوروبا. وكان مقصودهم، تحويل الســـلطات الحكومية والإمبراطورية إلى أداة طيعة بيدهم في أقاصي العالم بهدف القمع والإضطهاد وبالتالي وضع إستراتيجياتهم وتكتيكاتهم للوصول إلى الحكومة العالمية الأحادية موضع التطبيق.

وعلـــى امتداد تاريـــخ أوروبا، حفرت ثلاث خصائص وهـــي **كونهم في الأقلية وكونهـــم مكروهيـــن والتآمر** على ناصية بني اســـرائيل وكانوا موضع نقاش وجدل بين الشعوب الأوروبية.

ويقول مؤرخو جامعة «أورشليم» العبرية:

إن النجـــاح المالـــى للكثير من اليهود فى القرن التاســـع عشـــر وكما فى السابق، يعود بشكل رئيسى إلى إرتباطاتهم بالسلطات الحكومية.[1]

وأثناء الدراسة التاريخية للأوليغارشية اليهودية، نجد أن الإرتباط بالأسر الحاكمة والنخبة السياسية الحاكمة، يحظى بموقع خاص، وكان هذا يمثل

---

١. **شهبازي، عبدالله**، «حكومة أثرياء اليهود والفرس»، ج ٢، نقلا عن:
Ben Sasson, ibid, p.797.

أهم دليل على الثروة المتراكمة لليهود.

ويقول **ورنر سومبارت**، مؤلف كتاب «الحياة الإقتصادية العصرية»:

... وعندما نتحدث عن رجال الدولة والحكام العصريين هؤلاء، لا يمكننا أن نتجاهل اليهود ويجب أخذهم بنظر الإعتبار. بالتحديد عندما نتحدث مثلا عن «فاوست» لكننا نغفل «مفيستوفيليس». وقد وضع اليهود والحكام على مدى الأزمنة التى أطلق عليها المؤرخون العصر الحديث، يدا بيد ومضوا قدما بخطى جبارة. وبتقديرى، فان هذه الوحدة والتكاتف، يمثلان رمز ظهور وتألق الرأسمالية وبتبعها الحكومة العصرية.[١]

وفي جميع العصور والقرون، كانت الأوليغارشية اليهودية بمنزلة السرطان المريع الجاثم على جسد الحكام ورجال الدولة، وتابعت عن طريقهم مآربها الرئيسية ومكائدها.

وقد بيّن **عبد الله شهبازي** مصاديق «إرتباط اليهود بالحكام» في الحقب المختلفة ويقول:

إن قصة مردخاى واستر فى بلاط خشايارشاه ليست حادثة تاريخية بحتة، بل هى رمز أسطورى تمازج بعمق مع روح وثقافة الأوليغارشية اليهودية. وفى كل عصر، يمكن العثور على مردخاى واستر وخشايارشاه. وعندما نقرأ قصة البارون جيمز روتشيلد وأوجنى مونتيخو ونابليون الثالث، وكأننا نجد أن روح مردخاى واستر وخشايارشاه قد إحتيت فى جسد هذه الشخصيات الثلاث المعاصرة.

إن صلة يهودا ناسى بأسرة سوروس فى الإمبراطورية الرومانية وصلة راو اشى بشابور الثانى الساسانى وصلة هارون ونتيرا بالمعتضد والمقتدر العباسى وصلة إبن خليس بالخلفاء الفاطميين وصلة شموئيل

---

١. **سومبارت، ورنر**، «اليهود والحياة الإقتصادية العصرية»، ترجمة رحيم قاسميان، دار ساقى للنشر، ١٣٨٤هـ .ش.، ص ٥٦.

نقيد بباديس بن حبوس وصلة يوسف فريزويل بالفونسو السادس وصلة اسحاق ابرابانل بايزابل وفرديناند وصلة سعد الدولة بارغون شاه المغول وصلة يوسف ناسى بالسلطان سليم العثمانى وصلة يهود ايطاليا باسرة مديتشى وما إلى ذلک من أمثلة، تمثل كلها خطا متواصلا وبلا انفصام يكون مجمل تاريخ الأوليغارشية اليهودية حتى يومنا هذا. إن هذا الترابط بلغ أوجه فى القرنين التاسع عشر والعشرين وخلق تركيبة من الحكام واليهود نطلق عليها «أوليغارشية الحكم المعاصرة».

ويعتبر المؤرخون أن عصر حكم أسرة هابسبورغ فى أوروبا الوسطى هو عصر التوسع والإنتشار اليهودى فى بلاطات ملوک أوروبا...[1]

• وكان ملوک هابسبورغ[2] أوائل حكام أوروبا الوسطى ممن جندوا اليهود بوصفهم المقاولين العسكريين لخدمتهم وتم فى عهدهم تحويل بلاد «بوهم»[3] و «موراويا»[4] و«هنغرى»[5] (المجر) إلى معاقل مهمة لليهود. وقد توسعت أسرة هابسبورغ أو حكومة أثرياء اليهود لدرجة راجت بين شعوب أوروبا شائعة كونهم يتحدرون من أصول يهودية؛

• أسرة بيير ليوني التى يرجع نسبها إلى يهودى يدعى باروخ.

وقد حققت أسرة بيير ليونى نفوذا وسلطة فى إيطاليا بسبب ثروتها الطائلة ووصل أحد أعضائها ويدعى بيترو بير ليوني[6] إلى رتبة كردينال في الجهاز الكنسي عام ۱۱۱۶ للميلاد.

• فردريك الثالث، من أسرة هابسبورغ، وكان فى الفترة ۱۴۴۰-۱۴۶۸ للميلاد تحت إسم فرانتس الرابع ملكا لألمانيا وفى الفترة ۱۴۵۲-۱۴۹۳

---

۱. شهبازي، عبدالله، «حكومة أثرياء اليهود والفرس»، ج ۲، ص ۱۲۵.

2. Habsburg.
3. Bohemia.
4. Moravia.
5. Hugary.
6. Pietro Pierleoni.

للميلاد إمبراطور «الروم المقدسة». وقد وظف اليهود فى بلاطه بحيث أن معاصريه كانوا يقولون إنه أشبه لـ«اليهودى» منه إلى إمبراطورى الروم المقدسة.

وقد عاصر فردريک الثالث، إيزابل وفرديناند حاكمى كاستيل واراغون. ووصفوا فردريک الثالث بانه مولع ومحب للسحر وقراءة الطالع، واعتبره ويل ديورانت، منجما وخيميائيا. وقد يكمن سر هذه الصلة باليهود فى هذه القضية.

• واستمر نفوذ الأوليغارشية اليهودية فى عهد مكسيميليان الأول،[1] نجل فردريک الثالث وملک ألمانيا (١٤٨٦ ١٥١٩ م) و إمبراطور الروم المقدسة (١٤٩٣ ١٥١٩ م.). وكان يهوديا فى بلاطه يدعى هرشل زيسدر دورفي[2] وكان معروفا أن مكسيميليان يدين له بمبالغ طائلة. وكان هرشل الوكيل المالي للإمبراطور.[3]

• وحسب «موسوعة اليهود» فقد أقدمت الدول المبعثرة والمستقلة والمستبدة فى أوروبا الوسطى منذ القرن السابع عشر على تأسيس بلاطات متمركزة ومترفة، وكان اليهود بطبيعة الحالة قادرين على إسداء الكثير من الخدمات لهكذا حكام.

وكان بمقدور اليهود المنتشرين فى جنوب أوروبا ووسطها وبسبب ترابطهم مع يهودالشرق وبولندا، تلبية إحتياجات الجيوش الصغيرة والخاصة لحكام المنطقة من القمح والماشية والألواح الخشبية، وكذلک توفير المجوهرات وسائر سلع الزينة اللازمة لهؤلاء الحكام.

وتقول «موسوعة اليهود»:

ولم تظهر مؤسسة باسم «يهود البلاط» بغتة، بل تكاملت على مدى

1. Maximilian.I
2. Herschel of Zisrerdorf.
٣. شهبازي، عبدالله، «حكومة أثرياء اليهود والفرس»، ج ٢، صص ١٢٤-١٤٠.

العقدين السادس عشر والسابع عشر تدريجيا. وحسب المصدر آنف الذكر، فان جذور هذا المؤسسة تبلورت لاسيما إبان حروب الثلاثين عاما (١٦١٨ ١٦٤٨ م.) وأصبح «السماسرة» و «المقاولون» اليهود بمن فيهم صموئيل هرشرايدر،[1] وناتان اسبانير[2] وآلبرتوس دنيس (آلوارو دينيز)[3] فى خدمة حكام «برس» و «بويكبورغ» و «الدنمارک».[4]

وجلي تماما أن الكنيسة المسيحية الكاثوليكية وبعدها بروتستان القرنين السادس عشر والسابع عشر، لم يقوا بمأمن عن إرتباط وأثر الأوليغارشية اليهودية.

وكما أسلفنا، فان تحول الكنيسةالكاثوليكية إلى إقطاعية من العيار الثقيل، جعل تلك الكنيسة وأربابها جاهزين لنفوذ واختراق اليهود، بحيث أنه يمكن ذكر أسماء كردينالات وأساقفة وبابوات كانت لهم جذور عائلية وفكرية عند اليهود.

وكان لـ«يهود البلاط» أداءات مختلفة في بلاط الأوروبيين خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر.

ولا ننسى أن هيمنة المسيحية على الشؤون السياسية الأوروبية في العصور الوسطى وتشوق أرباب الكنيسة المصحوب بالشهوة واللذة لتنصير غير المسيحيين أدى إلى أن تغير جماعات كثيرة من اليهود، ديانتها في الظاهر، لكنها بقيت يهودية في الباطن وحافظت في السر على تقاليدها وعاداتها وطقوسها، لتترصد الفرصة لإختراق الكنيسة والمسيحيين والحكومات المسيحية. ويقول **ورنر سومبارت:**

... وعندما نصل إلى تحديد مدى إختراق اليهود للحياة الاقتصادية العصرية، سنجد مرارا وتكرارا أشخاصا مسيحيين فى الظاهر، لكنهم يؤمنون بالديانة اليهودية فى الباطن. وعمدوا هم أو آباؤهم، وهذا كل شئ. إن فرضية أن العديد من اليهود تحولوا طيلةالتاريخ عن اليهودية،

1. Samuel Herscheidr.
2. Natan Spanier.
3. Álvaro Dinis (Albertus Dionis).
٤. **شهبازي، عبدالله**، «حكومة أثرياء اليهود والفرس»، ص ١٥٤.

ليس بالأمر غير المقبول حتى نريد أن ننكره. إن ماضى ذلك يعود إلى السنوات الأولى من العصور الوسطى. وهناك أمثلة على ذلك فى إيطاليا فى القرنين السابع والثامن. وفى تلك الحقبة شهدنا ذلك أيضا فى «اسبانيا» وفى منطقة سلطنة «مروفينيان»،[١] ومذاك شهدنا تواجد اليهود فى جميع المجتمعات والشعوب المسيحية...

وفى الفترة الكائنة بين ١٨٦٨ و ١٨٧٩ للميلاد، إعتنق يهودى واحد من بين كل ألف ومائتى يهودى، المسيحية. وفى الفترة الواقعة بين ١٨٨٠ و ١٨٨٩ للميلاد إرتفعت هذه النسبة إلى شخص واحد من بين كل أربعمائة وعشرين إلى أربعمائة وثلاثين شخصا. وفى الفترة من ١٨٩٠ حتى ١٩٠٣ الميلادى قفزت النسبة ذاتها إلى شخص واحد من بين كل مائتى وستين حتى مائتى وسبعين شخصا...[٢]

ولا شأن لى بالنساء اليهوديات اللواتى تزوجن من رجال مسيحيين وأصبحن من الناحية العائلية غير يهوديات على الأقل لكن ورغم ذلك إحتفظن بخصائصهن اليهودية. إن الأناس الذين أتحدث عنهم، هم اليهود الذين بقوا يهودا فى السر والباطن رغم إقلاعهم عن اليهودية فى الظاهر والعلن، وهؤلاء إضطلعوا بدور كبير فى التاريخ ونشاهدهم فى القرون المختلفة. وكان هؤلاء يمثلون الجزء الأكبر من اليهود فى بعض الحقب التاريخية، لكنهم تصرفوا بطريقة لا تنم عن كونهم يهود ولعبوا هذا الدور بمهارة لدرجة أنهم كانوا يعرفون لدى معاصريهم بانهم مسيحيون أو مسلمون، على سبيل المثال، أتت بعض الكتب على ذكر يهود جنوب فرنسا فى القرنين الخامس عشر والسادس عشر والذين كانوا قد هاجروا فى الأصل من اسبانيا والبرتغال. وكان هؤلاء يؤدون جميع التقاليد

1. Merovingian.

٢. **سومبارت، ورنر**، «اليهود والحياة الإقتصادية العصرية»، صص ٩-١٠.

والطقوس الظاهرية للكاثوليك. وكان يتم تسجيل ولاداتهم وزواجهم ووفياتهم فى وثائق الكنيسة وتجرى لهم جميع الطقوس المتعلقة بالمعمودية وعقد القران وآداب التطهير فى الكنيسة. ولجأ البعض منهم حتى إلى التعليم الدينى وأصبحوا قساوسة. لذلك ليس عبثا ألا يتم تسجيل أسماء هؤلاء الأشخاص كيهود فى جميع السجلات ووثائق المعاملات والصفقات التجارية والمسؤوليات الصناعية وما شابه ذلك... وقد أخفى هؤلاء أصولهم العرقية بمهارة بحيث أن متخصصى تاريخ اليهود مازالوا فى حيرة وشك لحد الان عما إذا كانت عائلة محددة ما يهودية أم غير يهودية.[١]

وتطرق **ورنر سومبارت** في ضوء تخصصه وبحوثه الخاصة إلى معرفة مدى أثر اليهود على الإقتصاد الحديث وولادة الرأسمالية والأسس الإستعمارية وبالتالي التجارة الدولية. ويقول حول تجارة اليهود وأثرها على النظام الاقتصادي للمستعمرات:

لقد كانت الصفقات التجارية لليهود على مدى القرنين السابع عشر والثامن عشر، مصدرا يتغذى ويتقوى به النظام الاقتصادى للمستعمرات.[٢]

والملفت أنه على الرغم من مطلب أرباب الكنيسة، فان الحكام المسيحيين كانوا يدعمون اليهود ويحمونهم.

وقد تقدم اليهود والحكام إبان العصر الذى أطلق عليه المؤرخون إسم العصر الحديث، يدا بيد وكتفا بكتف وبخطى طويلة... وفى معظم الدول، تصرف الحاكم كداعم لليهود المظلومين ودافع عنهم فى مقابل التعذيب الذى تمارسه الدول الاخرى، لماذا؟ لان مصالحهم وتعاضدهم كان يقتضى ذلك. وكان اليهود رمزا للرأسمالية الحديثة وكان الحكام

١. المصدر السابق، صص ١٠-١١.
٢. المصدر السابق، ص ٤٨.

يريدون أن تواكبهم سلطتهم ونفوذهم ليتسنى لهم ترسيخ موقعهم أو تعزيزه. ومن جهة أخرى، فان اليهود هم من كانوا يدعمون جيش كل دولة من وجهتى نظر، ويجب معرفة أن الجيش كان يشكل مسندا ومتكأ رئيسيا تستند إليه الدول والحكومات حديثة التأسيس. ووجهتا النظر هاتان كانتا عبارة عن: إن اليهود كانوا يزودون الجيش بالسلاح والذخيرة والمؤونة أيام الحرب من جهة، ويلبون الحاجات المالية ليس للجيش وحده بل للجهاز الحكومى أيضا من جهة أخرى. وكان اليهود فى كل القرون السادسة عشرة والسابعة عشرة والثامنة عشرة، يوفرون المواد التى يحتاجها الجيش وكذلك بوصفهم أثرياء يرجع إليهم الأمراء لتوفير المصالح المالية والدعم المالى، وكانوا أصحاب نفوذ كبير.[١]

ويقول **عبدالله شهبازي** حول الوظائف المختلفة لـ«يهودالبلاط» في القرنين السابع عشر والثامن عشر في أوروبا:

وأهم وظائف يهود البلاط كانت عبارة عن:

١. الصيرفة: وكان «يهود البلاط» مصدر توفير السيولة التى يحتاجها أفراد البلاط فى أوروبا؛

٢. المقاولة الضريبية: لقد تبنى يهود البلاط فى معظم الحالات الأداء الذى تقوم به فى الوقت الحاضر المؤسسات الحكومية مثل وزارة المالية. وكانت جباية الضرائب لاسيما ضرائب الزراعة من أفراد البلاطات الصغيرة والكبيرة فى أوروبا الوسطى، مهمة تتولاها الأوليغارشية اليهودية؛

٣. الوظيفة العسكرية: وحسب مؤرخى جامعة أورشليم العبرية، فان الوظيفة الرئيسية لـ«يهود البلاط» كانت تتمثل فى توفير المؤونة للجيوش وتلبية إحتياجاتها...؛

٤. سك النقود المعدنية: لقد كانت معظم النقود المعدنية للبلاطات

---

١. **سومبارت، ورنر**، «اليهود والحياة الاقتصادية العصرية»، ص ٥٦.

الألمانية خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر، من الفضة. ومع إنتعاش النشاط الاقتصادى فى هذا العصر، أصبح هذا المعدن نادرا، وتحول توفير الفضة اللازمة لسك النقود المعدنية إلى إحدى المهام المهمة للأوليغارشية اليهودية؛

٥. تلبية الإحتياجات الحرفية والمتعلقة بالزينة والترف...؛

٦. النشاطات الدبلوماسية والإستخباراتية ...

وتذكر «موسوعة اليهود» إن «المارانوس وبسبب ارتباطاتهم الدولية الواسعة، سرعان ما استخدموا من قبل الحكومات المحلية كدبلوماسيين. ويجب الإنتباه إلى أن وظيفة «الدبلوماسية» و «الإستخبارات» لا تختلف بشكل يذكر. وإن كان اليهود/المارانوس يعملون كدبلوماسيين، كان هناك اليهود/المارانوس ممن يمارسون العمل الإستخباراتى أيضا».[١]

ولا يمكن إنكار أن الربا الذي كان يتعاطاه اليهود، كانت تتناقله الألسن طيلة تاريخ أوروبا واسيا. وكان الربا ومازال أداة سلطة اليهود على مقدرات عامة الشعوب. وتوضح هذه الآية من «التوارة» الحالية، مجمل نهج بني اسرائيل على مرّ العصور والقرون:

لا تعطى المال بالربا لأخيك وأخيك فى الدين من الفضة والذهب والملبس و..؛ واعطه طبعا للغريب (غير اليهود)، لكن أقرض أخاك بدون ربا».[٢]

والربا الذي كان يأتي به اليهود في العصور الوسطى، كان فريدا من نوعه، ونقرأ في كتاب «تاريخ اليهود في بريطانيا»:

وقد رأى سيسيل روث[٣] **يهودا كانوا يتعاطون فوائد تتراوح ما بين ٢٢**

---

١. **شهبازي، عبدالله**، «حكومة أثرياء اليهود والفرس»، صص ١٥٥-١٥٧.

٢. الكتاب المقدّس، العهد العتيق، سفر التثنية، الباب ٢٣، العددان ١٩ و ٢٠.

3. Cecil Roth.

إلى ٣٤ بالمائة.[١]

وفي شـــمال «فرنســـا» وفي عام ١٢٠٦ الميلادي، بلغت الفائدة التي كان يجنيها اليهود نسبة ٤٣ بالمائة، وكانت قبل هذا ٦٥ بالمائة، إذ حاولت حكومة تلك الديار، خفضها إلى ٤٣ بالمائة.[٢]

ويروي كتاب «يهودي في بولندا» (التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للمهاجرين اليهود في «بولندا» من ١١٠٠ إلى ١٨٠٠) تأليف **برنارو واينريب**[٣] فوائد غريبة في هذا البلد بســـبب الربا الذي كان يتعاطوه اليهود في القرنين الرابع عشر والخامس عشر.[٤]

ويســـتند **ديفيد ديوك**[٥] الممثل الســـابق في الكونغـــرس الامريكي إلى مصادر معتمـــدة ليميـــط اللثام عن حقائق حـــول الصهيونية العالميـــة. ويقول في كتاب «يقظتي؛ معطيات لم تذكر عن توغل اليهود في أمريكا»:

إن أهم وثيقة سياســـية فى القرون الوســـطى فى بريطانيا لا بل فى تاريخ الحضـــارة الثقافية هـــى «مغناكارتـــا»[٦] والتى تتحدث عن كثـــرة اليهود وتصرح بان اليهود المرابين وضعوا اليد على المراكز الخيرية التى ترعى النساء الأرامل والأطفال اليتامى واستولوا عليها.[٧]

وينقل ديفيد ديوك عن **لويس رابينو ويتز**[٨] بشـــان الحياة الاجتماعية لليهود في القرون الثاني عشر حتى الرابع عشر ويقول:

ويقر المرابون اليهود أنفسهم كيف أنهم ملكوا بظلمهم (الربا) من الزراعة والمهنـــة والصناعات غير اليهودية. ويؤيد المؤرخـــون اليهود أن اليهود

1. Roth,c. (1978). A History of the jewry in England,3rd ed oxford: The elarendon Press.
2. Chazan,R. (1913) Medicual Jewry in Northern France Aaplilical and Socia History. Balrimore: The Johne Hoplins unibersity press.
3. Bernard Dov Weinryb..
4. Weinryb, B.d (1972). The Jewish of poland.
5. David Duke.
6. Magna Carta.

٧. **ديوک، ديفيد**، «يقظتي»، تسنيم انديشه، ١٣٨٤هـ .ش.، ص ١٨٦.

8. Louis Rabinowitz.

كونـوا ثروة طائلة عـن طريق الربا. ويقول رابينو وتيـز أن الفوائد التى جناهـا اليهود عن طريق الربا عـام ١٢٢١ للميـلاد، زادت بمفردها عن مجمل العائدات السنوية للحكومة الفرنسية.[١]

وإن لم تكن ثمة قرائن ومستندات تاريخية عن حجم ونطاق الهيمنة الاقتصادية لليهود على أوروبا، لكان من الصعوبة بمكان تصور مدى تأثر نبلاء أوروبا ومدى علاقتهم باليهود.

وقد دان ملك «فرنسا» لويس التاسع بقوة التلمود واليهود بسبب السرقة الاقتصادية (الربـا) وإرباكهم الوضع فى المجتمع والسـوق وأعلن عام ١٢٥٤ للميـلاد أن اليهـود من الان فصاعدا، لا يحـق لهم إقراض المال وأخـذ الفائدة من الناس... ويقول أخيل لوجير توضيحا للأثر البالغ الذى تركه ربا اليهود على شعوب أوروبا:

«لقد أغلقت كنائس وأديرة كثيرة فى العصور الوسطى فى أوروبا بسبب المديونية الكبيرة التى تسبب بها اليهود على خلفية تعاطيهم الربا.»[٢]

إن إقـرار بعـض المؤرخين اليهود في العالم، يكشـف النقاب عن الكثير من الاسـرار التي تمهد لدراسـة وتحليـل الكثير من الظـروف التاريخية والأحداث الإجتماعية الكبرى، الأحداث التي تركت أثرها البالغ بعد قرون وشـكلت منعطفا يمكن تتبعه.

ويعـد **ياكوب ر. ماركوس**،[٣] واحدا من أشـهر المؤرخين اليهود في العالم. وقد نشرت «موسوعة بريتانيكا» مقالا له ذيل مادة «اليهود» يقول فيه:

ويملك اليهود أموالا عائمة فى الدول ويضطرون أحيانا من أجل حماية مصالحهم لدعم ورفد خزانة حكومة تلك الدولة.[٤]

---

١. **ديوك، ديفيد**، «يقظتي»، ص ١٨٧.

٢. المصدر السابق.

3. Jacob R. Marcus.

٤. **ديوك، ديفيد**، «يقظتي»، ص ١٨٨.

ويستشـــهد **ارتور كورنبرغ** بكتاب **تيودور هرتزل** مؤســـس الصهيونية السياســـية الحديثة ويقول:

لقد تدرب اليهود على أن يلتصقوا كدودة العلق بجسم الإنسان ويمتصوا دمـــه، وأن يقتحموا المجتمعات ويزيدوا من قدرتهـــم المالية. إنهم عبيد الثروة ولا يمكن لهم أن يفهموا أن الانسان قادر على أن يملك شيئا من أجـــل الحياة غير المال والثـــروة. لقد توصلت إلى نتيجة مؤداها أن أعداء اليهود يجب أن يكفلوا جميع حقوق اليهود.[١]

ولم يقتصر نفوذ اليهود في بلاط ملوك أوروبا على تجارة المجوهرات وبضائع الزينة والترف التي تحظى بقبول نســـاء البلاط والقروض كثيرة الفوائد للحكومات وســـائر الحالات. إن الإتجار بالعبيد والرق والتي تحظى بموقع خاص في التاريخ الحديث، مثل أحد مجالات عمل ونفوذ اليهود في تاريخ أمريكا.

وبعد المذابـــح الفظيعة التي أرتكبت ضد الهنود الحمر المحليين في امريكا، كان الرقيق أهم القوى الإنسانية الرخيصة البديلة. ويتطرق ياكوب ماركوس المؤرخ اليهودي الشهير في مقال له في «موسوعة بريتانيكا» إلى ضلوع اليهود في تجارة الرقيق في العصور الوسطى ويقول:

وكانت التجارة فى أوروبا الغربية بصفة عامة وتجارة الرقيق بصفة خاصة تدار على يد اليهود فى العصور الوسطى.[٢]

ويقول **مارس رافائيل** في كتـــاب «التاريخ الموثق لليهود واليهودية في الولايات المتحدة الامريكية»:

كان التجار اليهود يمارســـون لردح من الزمن، تجـــارة الرقيق وكان لهم ضلـــع فى هذه التجـــارة فى جميع المســـتعمرات الامريكيـــة، مثلها مثل

---

١. **ديوک، ديفيد**، «يقظتي»، ص ١٩٠؛ نقلا عن:
Lonbery.R (1993) Theodore Herzl: Fron Assimilation Tozionism p.161-162.

٢. **ديوک، ديفيد**، «يقظتي»، ص ٢١٠.

المستعمرات الفرنسية والبريطانية والألمانية.[1]

إن تداول البضائع بيد التجار اليهود في القرن الثامن عشر، أمر مثير للإهتمام.

إن اليهود فى القرن الثامن عشر كانوا ينقلون ضمن تجارة مثلثة، العبيد من افريقيا إلى الجزر الغربية للهند ويبادلونهم بالبهارات وعصير السكر، ويبادلونهم فى بريطانيا بالنبيذ الذى كانوا يبيعونه فى افريقيا تحت مسمى نبيذ روما. وكان إسحاق داكوستا من «شارلستون» فى خمسينيات القرن الثامن عشر وديفيد فرانكس من «فيلادلفيا» فى ستينيات القرن الثامن عشر وآرون لابيرز من «نيويورک» فى أواخر ستينيات القرن العشرين، يسيطرون على تجارة الرقيق فى القارة الامريكية.[2]

ويجب إعتبار هذه التجارة القذرة أحد أسباب كراهية اليهود. إن الحديث عن «الرقّ» يبادر إلى الأذهان على الفور وجوه الرجال والنساء السود الافريقيين الذين يعملون في الحقول الزراعية أو كخدم في بيوت النبلاء، وإضافة إلى ذلك، فان الإماء والجواري البيض اللواتي كن يعملن في خدمة الشهوات والفسوق، كن خادمات يستفد منهن اليهود في «التجارة الجنسية».

ويكشف المؤرخ اليهودي **إدوارد بريستو** في كتابه «البغاء والتمييز» النقاب عن الشبكة العالمية للبغاء بزعامة اليهود.[3] ورغم ممارسة اليهود الربا واستخدام عشرات الألوف من الفتيات المسيحيات في الرقّ، فانه ليس من الصعب فهم سبب معارضة مجموعة من شعوب أوروبا الشرقية لهم.

وفي ضوء كل هذه القرائن والشواهد، فانه لا يمكن تجاهل الترابط القائم بين النخبة الحاكمة الثرية والمحافل الخفية والحكومات الأوروبية لاسيما بريطانيا وبين الحكومة العالمية التي يصبو إليها «بنو اسرائيل»، والتطرق من دون ذلك إلى تحديد دور ووظيفة أوروبا وسياستها الخارجية على مدى السنين السالفة.

---

١. المصدر السابق، ص ٢١٢.
٢. المصدر السابق.
٣. المصدر السابق، صص ٢١٧-٢١٨.

إن القائمين على المحافل السرية والخفية، وقبل أن يكونوا يهودا يتبعون ديانة النبي **موسى** عليه السلام، كانوا أشـــرارا في هيئة يهودي يفكرون بتحقيق أطماعهم ونيل مآربهم وفي مقدمها التجارة والربح والفائدة والســـلطة وفي النهاية «تأســـيس عالم أحادى الحكم»!

القسم الثالث

إضفاء الرسمية على الماسونية

إضفاء الرسمية على المحافل الماسونية

ويقول **محمّد عبد الله عنان** حول مواجهة المحافل السرية للكنيسة:

إن جمعية الصليب الوردى وكما لاحظنا كانت قائمة على أسس فكرية خفية، أخذت تعليماتها السرية [القبالة] من الشرق وقامت بوصل أخوة (الجمعية) لنيل المقاصد المشتركة. ولا شك أن هكذا فكر سرى وخفى، يتيح للعصاة والمستائين أكانوا أفرادا أو جماعات لتجميع عدد كبير من الناس للعمل من أجل تحقيق مآربهم وأهدافهم السرية والخفية.

وكان لوثر وأنصاره ينشطون لتمرير أنف البابا وأتباعه بالتراب. وتشكل الكاثوليك لمحاربة البروتستانت، وكان الجمهوريون يتواطؤون ضد أوليفر كروموبل، واصطف الملكيون من مختلف الملل خلف العوائل المالكة ولجأت كل فئة وجماعة إلى هكذا أنظمة وتعليمات سرية للوصول إلى غاياتها الخاصة، فيما لجأ أخوة الجمعية الوردية إلى هذه الحربة لمكافحة البابا وأتباعه، بينما هب الجزويت [اليسوعيون] ضدهم أى لدعم البابا وتأييد طغيان وجور الكاثوليك ويقولون أن كروموبل كان ألد أعداء الكاثوليك ومن أكبر قادة البنائين الأحرار واعتمد أنظمة وتعليمات البنائين الأحرار [الماسونية] للتسلق إلى السلطة ونظام الحكم، ولجأ أعداؤه من الجمهوريين الثوريين إلى الأنظمة ذاتها لتنظيم أنصارهم

والجنـود بهدف مكافحة كروميل. وكانـت محافل البنائين الأحرار فى أواخر القرن السابع عشر، من الملكيين، وآزرت عائلة استوارت وعملت فى سبيل إعادة الملكية لهذه الأسرة.[١]

ويرى عامة المؤرخين أن إضفاء الرسـمية على المحافل الماسونية حصل عام ١٧١٧ للميلاد في بريطانيا. ويقول **هارون يحيى** في هذا الخصوص:

وقبل هذا التاريخ، توسع التنظيم بداية فى بريطانيا ومن ثم فرنسا وسائر البلدان الأوروبية وتحول إلى معقل لتجمع معارضى الدين. وكان الكثير من الماسـونيين الأوروبيين يخاطب أحدهـم الاخر فى محافلهم بالمفكر الحـر ومدلوله هـو أنهم لا يقبلون بالأديان الالهيـة. ويقول مقال بعنوان «العصور البدائية للماسونية» فى مجلة «المعمارية»:

«والموقـع الذى كان يتجمع فيه الماسـونيون ليبحثوا عن الحقيقة خارج الكنائس تحول إلى ملاذ».[٢]

ويؤكد **عبد الله عنان** هذا التاريخ ويقول:

إن تاريخ النظام الحالى الذى أسس عليه البناء الحر، يبدأ من عام ١٧١٧ للميلاد. وتم فى هذه السـنة جمع التعليمـات المبعثرة والوثائق التى كان يسـتند إليها البناء الحر، وأدخلت عليها تعديـلات ودونت وفقا لقواعد ثابتة وحاسـمة، وأبقى على البناء الحر مـن حيث النظام المادى وصورة عنه، لكنه تطور منذ ذلك التاريخ وتحول إلى جمعية سرية قبلت عضوية أبناء الطبقة الوسطى والعليا وتقبلت التعليمات الفلسفية. وقد حصلت هذه الثورة الكبرى فى أواخر عام ١٧١٧ الميلادى. وفى ذلك الحين، إجتمع أربعة من أخوة محافل لندن فى حانوت بحى «كرونت غاردن» ليؤسسوا المحفل الأكبر [غراند لوج] بصورة رسمية.[٣]

---

١. **عنان، محمّد عبدالله**، «تاريخ الجمعيات السرية والحركات الهدامة»، ص ١١٢.
٢. **يحيى، هارون**، «أسس الماسونية»، ص ١٦٠.
٣. **عنان، محمّد عبدالله**، «تاريخ الجمعيات السرية والحركات الهدامة»، صص ١١٢-١١٣.

وواضح تماما أن هذه الجمعية وبعد تخطي مراحل والكثير من النزاعات والتغيرات التي طرأت على مرّ السنين، أتيحت لها في هذه السنة فرصة إعادة تنظيم نفسها وإيجاد تنظيم جديد يمكنها من الوصول إلى أهدافها المرحلية واللاحقة. وقد تشكل هذا التنظيم إبان ترؤس الأستاذ الأعظم **السير كريستوفر رن**[1] **لمحفل البنائين الأحرار، لكن دستور الماسونية وضع عام ١٧٢٣ للميلاد.**

وحول دافع هذا التنظيم الجديد، ورد في كتاب «أسس الماسونية» ما يلي:

لقد خاضت الماسونية وبهدف مؤازرة ودعم الطوائف فى الإستخدام الحر للدين، نضالا ضد سلطة القساوسة ونفوذهم لكى تنال هدفها الوحيد المتمثل فى الإطاحة بسلطة ونفوذ الكنيسة على الناس. ولهذا السبب، أتهمت فى العامين ١٧٣٨ و ١٧٥١ للميلاد بالزندقة والإلحاد من قبل البابا.[2]

إن الإدعاء بمكافحة سلطة الكنيسة، يعني في الحقيقة معاداة ومعارضة الماسونية للديانات التوحيدية وكراهيتها بمقتضى إعراضها عن التدين.

وفى القرن الثامن عشر، تداخل السحر والفلسفة والدين والسياسة وتلاحمت معا لدرجة أن وصف الطبيعة الحقيقية للجمعيات السرية التى إجتاحت أرجاء أوروبا كالسيل العارم، أصبح صعبا وحتى مستحيلا. وقد أطلق الجميع شعار حب الإنسان والإنسانية. وكانوا يتصورون أنه إن جلس الكونت والعامل على طاولة واحدة فى قاعة محفل الماسونيين لتناول الطعام ويرتدى كلاهما صدرية ماسونية بيضاء ويقرآن معا نشيدا ويظهر كلاهما فكرا موحدا، فان المساواة تكون قد حلت، لكن وبعد أن تنتهى الجلسة ويغادر الجميع قاعة المحفل، يعود الكونت إلى رخائه وترفه، والعامل إلى مسكنته وفقره.

1. Sir Christopher Wren.

٢. **يحيى، هارون**، «أسس الماسونية»، ص ١٦١.

إن الأفكار السياسية المتباينة والمصالح غير المنسجمة للشرائح الإجتماعية المختلفة، كان يتم ربطها بعبارات زاخرة بالمشاعر والبر المتظاهر. وكل شئ كان قد أعد ونظم بشكل إستعراضي ورتب لإثارة المشاعر والتعاطف.[١]

إن المحافل السرية ومنذ السنوات الأولى من تشكيلها، وكما بيّنا بشأن الطائفة الإسماعلية وفرسان الهيكل، كانت تملك مراتب، لكن عدد المحافل كان يزداد يوما بعد يوم حسب الظروف والإمكانات.

١. **غلسرخي، إيرج**، «تاريخ السحر»، ج ٢، ص ٧١٥.

مراتب ودرجات الماسونية

وعلـى الرغم من التصور العام، فان المحافل الماسـونية التي وجدت في أقاصي العالم لاسـيما أوروبا وامريكا، ليسـت متسقة ومنسـجمة على أرض الواقع. إن درجـات المبتدئ والاسـتاذ والعالي تختلـف في الطقوس الماسـونية البريطانية والفرنسـية والاسـكتلندية وبالتالي في التنظيم الدولي. رغم أنه يتم في ظل الرؤية الكلية للعالم والانسـان والمبادئ النظرية، التوصل إلى نقاط مشتركة وغاية واحدة في خاتمة المطاف. إن الماهية الشـيطانية لهذه المحافـل، أدت بالضرورة إلى إندلا ع إختلافات في الأداء والمصالح. ومع ذلك، فان الرقي وصعود السلم ونيل المراتب العليا في جميع المحافل، يحظى بنظام وترتيب خاصين، وهو بمنأى عن الإضطراب والإرتباك.

والقضية كانت هكذا وهى أن المراتب السرية التى كان يقبلها البناء الحر حتى زمن المحفل الأكبر [غراند لوج] وأقرها المحفل الأكبر فى دستوره الجديد، كانت ثلاث مراتب ودرجات وهى:

المبتدئ وأهل الصنعة والخبير. وقد تأسست جمعية البناء الحر وفقا لهذه الدرجـات، لكنه تم عام ١٧٤٠ للميلاد وضـع درجة جديدة إضافة إلى الدرجـات المذكورة تدعى الضريح الاميرى، وكانت هذه المرتبة الأولى من المراتب العليا التى تعرف اليوم بطقس اكوسى. إن هذا الإبداع الجديد

بشأن المراتب، اثارا خلافات عنيفة بين جماعات هذه الفرقة وأفضى إلى إنقسام البنائين الأحرار إلى فئتين.

وكانت إحداهما تدعى فئة القدماء والاخرى فئة المتجددين. وكانت طقوس هذه المرتبة الجديدة تقام حتى عام ١٧٥٦ للميلاد باستمرار إلى أن ألغاها المحفل الأكبر بصورة نهائية عام ١٧٩٢ للميلاد لكن جماعة البنائين الأحرار فى بريطانيا أعادتها مجددا عام ١٨١٣ للميلاد. وتعود هذه الدرجة إلى الأصل اليهودى. أى أن مصدرها يهودى وهى عبارة عن تمجيد اسرائيل وتخليد ذكرى الهيكل الثانى. ويقول مؤرخ حول البنائين الأحرار بهذا الخصوص:

«إن درجة الضريح الأميرى كانت بلا شك من موضوعات القبالة والتى وضعت بحوالى عام ١٧٤٠ للميلاد، ويمكن لنا أن نفترض أن التعليمات السرية أضيفت إلى دستور ذلك الدرس منذ ذلك الحين.»[١]

وقد أدرجت العلامات والدرجات الماسونية على المأزر الجلدية المعلقة على الأزياء الرسمية. ومن بين قرابة سبعة ملايين ماسوني في العالم، هناك أقل من واحد بالمائة منهم ممن يبلغون الدرجة الرقمية ثلاثة وثلاثين بعد إجتياز الإختبارات والمراتب الدنيا. ويقول فريق البحوث التركي في هذا الخصوص:

إن أيا من أعضاء الماسونية فى تنظيمه، يملك منزلة ورتبة خاصة به، ولا يسمح له بالوصول إلى المراتب الأعلى من دون إجتياز المراحل والإختبارات الخاصة وإثبات وفائه، وأن كل درجة ومرتبة تملك يمينا خاصا بها، إذ يعلن ماسونى ما، وفائه من خلال أداء اليمين.

ويؤدى الماسونى اليمين للإرتقاء إلى درجة أعلى. وأهم يمين، هو اليمين المتعلق بالمراسم الأولى للدخول إلى الفرقة الماسونية والحصول على درجة التلميذ. ويتضمن نص القسم الكلاسيكى ثلاث مراحل:

---

١. **عنان، محمّد عبدالله**، «تاريخ الجمعيات السرية والحركات الهدامة»، ص ١١٤.

١. التوسل: ويتم التوسل عادة إلى الآلهة أو القوى الشيطانية أو القوى الحقيقية كسند وضمان للقسم.

٢. الوعد: موضوع اليمين. وهنا تجرى الأهداف والتطلعات على الألسن قدر الإمكان.

٣. اللعن: وهنا تقرأ العقوبات التى أخذت بنظر الإعتبار فى حالة عدم الإعتناء بنص اليمين.[١]

إن «المحفل» الماسوني يمثل الوحدة التنظيمية الرئيسية للماسونية، وأن حدود كل محفل ماسوني في كل منطقة من مناطق العالم، واضحة فيما تهيمن المحافل الكبرى بالكامل على جسم ماسونية المنطقة التي تخضع لإمرتها. وقد تأسس أول محفل كبير عام ١٧١٧ للميلاد في بريطانيا تحت عنوان «محفل لندن» و«وستمنستر الأكبر».[٢] وتقوم المحافل الكبرى بالتحكم بالماسونية في بلد أو منطقة جغرافيةواسعة.

وكانت الماسونية في أرجاء العالم تقبل في عضويتها الأعضاء من مختلف الشرائح والمجموعات الإجتماعية لاسيما السياسيين وأصحاب الثروة والمناصب الثقافية السامية (الكتاب والأكاديميين و...)، وثمة ثلاث فئات مهمة تضطلع بدور رئيسي في العلاقات المهمة السياسية والاقتصادية والثقافية لكل دولة: لكن جميع الأعضاء غير قادرين على الوصول إلى المراتب العليا للماسونية وحتى الإطلاع على المقاصد والمناصب العليا وتوجهاتها. ولذلك، كانت ومازالت جماعة من مسلمي الشرق الاسلامي في تركيا وايران ومصر والعراق، من أعضاء المحافل الماسونية وتقوم أحيانا بتقييم أهداف هذه المحافل على أنها ذات نزعة خيرية.

---

١. فريق البحوث العلمية التركى، «أسس الماسونية»، صص ١٦٧-١٦٨؛ نقلا عن «التلميذ ومساعد الأستاذ والأستاذ»، ص ٤٠.

٢. ويكيبيديا، الموسوعة الحرة، نقلا عن:
Morris, s.Brent. complete Idiot›s Guide to Freemasonary. NewYork: Alphap.9.

ويبين مؤلف كتاب «توغل ونفوذ اليهود في المجتمعات الاسـلامية» درجات ومناصب الماسونية، ويقسم هذا المحفل السري إلى ثلاث مجموعات رئيسية:

١. الماسونية الرمزية؛

٢. الماسونية الملكية؛

٣. الماسونية الكونية.

ويعطي إيضاحات مقتضبة حول كل واحدة من هذه المجموعات الرئيسية.

١. الماسونية الرمزية

وينـدرج أتباع الديانات المختلفة ضمن هذه الدرجة والمرتبة، وينجزون أفعالا ونشـاطات وطقوسا خاصة لا يعرفون شـيئا عن غايتها الرئيسية. ويسـمعون دوما عـن الأهـداف العلنية والظاهـرة للماسـونية بما فيها الحرية والأخوة والمسـاواة وغيرها، ويحسب جميعهم أن هذه التنظيمات والمجموعات تتابع أهدافا خيرية وإنسـانية ويتحدث إليهم على الدوام عـن هذه المنافع والإنخراط فى الماسـونية، وثمة مـن ينالون المصالح الآنية والعابرة وهذا يؤدى إلى أن يقيم هؤلاء علاقات أوثق مع الماسونية ويكنون المحبة والتعلق بها وتنظيمها.[١]

وإجمالا، فان الماسونية الرمزية تهدف إلى:

أ) ويتـم عن طريق الذين ينضمون إلى الماسـونية الرمزية، التعرف على الظروف والأوضاع السياسـية والاجتماعية والاقتصادية للبلد الذى يقام فيه المحفـل، ويتم عن طريـق أعضاء هذه المجموعـات الحصول على معطيـات كثيـرة عن ذلک البلد فـى مختلف الميادين، ومـن ثم تحليل ومعالجة هذه المعطيات.

ب) وينجذب أشـخاص كثر إلى هذا التنظيم بسـبب شـعاراته الطنانة،

---

١. جلبي، أحمد، «اليهوديه»، ص ٣٢٦.

وطبعا فان كل شخص غير قادر على الإنخراط فى هذه المجموعات والتنظيم، بل يجب أن يكون ممن يحظون بموقع إجتماعى رفيع أو من أصحاب المناصب العليا فى بلاده أو من الأثرياء. ويتم إنتقاء البعض من بين هؤلاء الأعضاء ليصلون إلى مراتب ودرجات أعلى، ونظرا إلى درجتهم ومرتبتهم فى هذا التنظيم، فانهم يطلعون على بعض الأسرار والمعلومات.[١]

إن المسيحيين والمسلمين الماسونيين وسائر الأعضاء غير اليهود المرتبطين بالمحافل الماسونية، هم رمزيون ولا يصلون إلى المجموعات المهمة اللاحقة للماسونية الكونية. ومع ذلك، فان الماسونيين يضطلعون بدور بالغ في عموم التيارات السياسية الأوروبية المهمة وسائر الدول التي تتواجد فيها المحافل الماسونية القوية، ويتدخلون في الشؤون المعارضة (الخفية).

الدرجات الثلاث والثلاثين للماسونية الاسكتلندية

١. المتمهن؛[٢]
٢. البارع؛[٣]
٣. الخبير؛[٤]
٤. خبير السرّ؛[٥]
٥. الخبير الكامل؛[٦]
٦. سكرتير السرّ؛[٧]

---

١. **صالح، سعدالدّين**، «الماسونيّة فى أثوابها المعاصرة»، ص ٢٧.

2. Apprentice Entered.
3. Craft fellow.
4. Mason Master.
5. Mason Secret.
6. Master Prefect.
7. Secretary ate Intim.

٧. الناظم والقاضي؛[١]
٨. مدير أعمال البناء؛[٢]
٩. المنتخب من تسعة أشخاص؛[٣]
١٠. المنتخب من خمسة عشر شخصا؛[٤]
١١. الرفيع المستوى المنتخب؛[٥]
١٢. الأستاذ الأكبر المعمار؛[٦]
١٣. قوس أنوش الملكي؛[٧]
١٤. فارس الكمال الاسكتلندي؛[٨]
١٥. فارس السيف أو فارس الشرق؛[٩]
١٦. أمير أورشليم؛[١٠]
١٧. فارس الشرق والغرب؛[١١]
١٨. فارس البجع والعقاب الأمير المهيمن للروزكرواي «التوراة"[١٢]؛
١٩. الكاهن الأعظم؛[١٣]
٢٠. كبير الأساتذة المبجل؛[١٤]
٢١. الشيخ الجليل لعصر نوح؛[١٥]
٢٢. أمير لبنان؛[١٦]

---

1. Judge and Provoset.
2. Building The Of Intendant.
3. Nine Of Elect.
4. Fifteen Of Elect.
5. Elect Sublime.
6. Architect Master Grand.
7. Enoch Of Arch Royal.
8. Perfection Of Knight Scottish.
9. East The Of Or Sword The Of Knight.
10. Jerusalem Of Prince.
11. West and East The Of Knight.
12. Knight Of The Pelican and Eagle and Soverign Prince Rose Croix Of Heredom.
13. Pontiff Grand.
14. Master Grand Venerable
15. Noachite Patriarch.
16. Libanus Of Prince.

٢٣. الرئيس؛[1]

٢٤. أمير المعبد؛[2]

٢٥. أمير فارس ابليس المتهور؛[3]

٢٦. أمير الرحمة؛[4]

٢٧. قائد الهيكل؛[5]

٢٨. فارس الشمس؛[6]

٢٩. فارس أندرو المقدّس العقاب الأبيض؛[7]

٣٠. الفارس الكبير منتخب القدس وأمير فارس العقاب الأسود والابيض؛[8]

٣١. المفتش المحقق الأكبر؛[9]

٣٢. أمير السرّ الملكي الرفيع؛[10]

٣٣. المفتش العام الأكبر؛[11]

وفضلا عن الطرق الرمزية في الماسونية، أكانت الطرق ثلاثية الدرجات والبدائية والأدواتية والمائية والطريقة الاسكوتية وطريقة اليورك، فان ثمة طرقا أخرى راجت تخضع العضوية فيها لظروف خاصة.

إن بعض الطرق هي عبارة عن:

- طريقة اسكتلندا الملكية؛
- طريقة قنسطنطين الصليب الأحمر؛[12]
- طريقة الدرجات الماسونية المتّحدة؛

---

1. Tabernacle Of Chief.
2. Of Prince Tabernac
3. Serpent Brazen The Of Knight.
4. Mercy Of Prince.
5. Temple The Of Commander.
6. Sun The Of Knight.
7. Knight Of St. Andrew White Eagle.
8. Grand Elected Knight Kadosh Knight Of The Black and White Eagle.
9. lnquistor Inspector Grad.
10. Secret Royal the Of Prince Sublime.
11. General Inspector Gra.
12. Constantine Red cross Of.

- طريقة الأرز اللبنانية؛
- الطريقة الفلسفية للرسل المقنعين لديار السعادة؛
- الطريقة العربية القديمة لشرفاء ضريح العرفان (أو المحراب)؛
- طريقة دي مولاي أو دو مولة للصبيان الشبان؛[1]
- طريقة بنات أيّوب للفتيات؛
- طريقة اكوسي؛
- طريقة السرداب أو الأساتذة المختارين؛
- طريقة فتيات النيل؛
- طريقة المحراب الأبيض وغيرها.

ومن بين الطرق الماسونية، فان طريقة اسكوتي القديمة حظيت بالقبول وسادت الطريقة الفرنسية في ايران منذ القدم، وتأسست المحافل الماسونية الأوائل في ايران على الطريقتين آنفتي الذكر.

إن طريقة اسكوتي القديمة، هي طريقة ذو ال٣٣ درجة ويتم فيها إدارة الشؤون المتعلقة بكل من الدرجات ٤ إلى ٣٣ تحت إشراف إحدى الورش، وأن أيا من الورش تتبنى الشؤون المتعلقة بدرجات محددة.

1. De Molay.

diagram of two major masonic in the united states

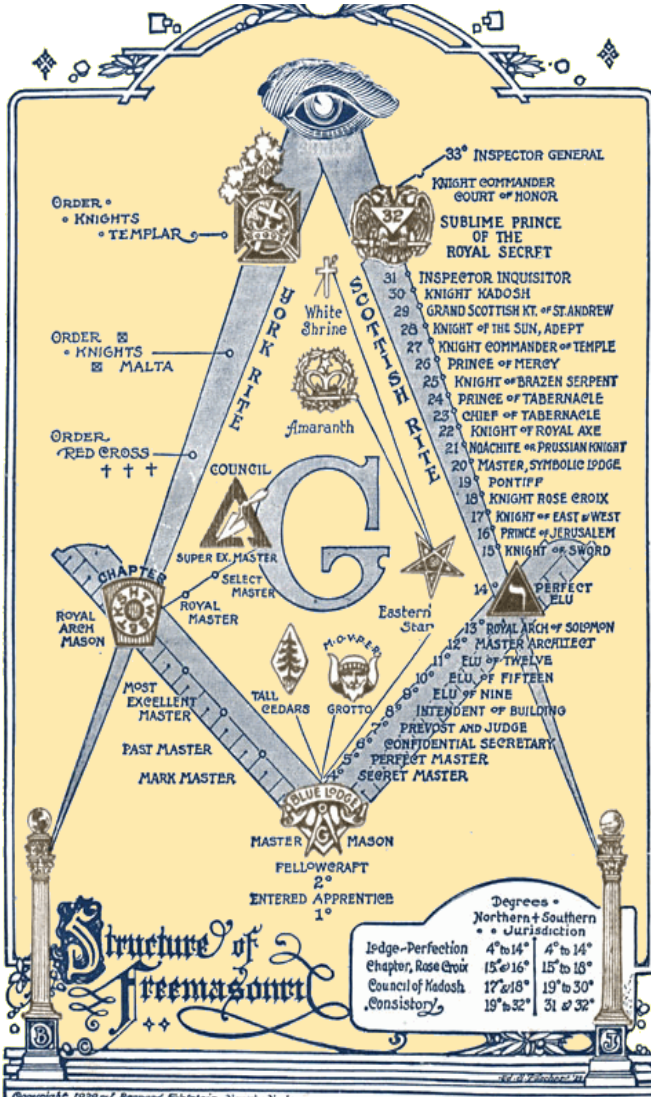

نص خطاب القسم لأعضاء الماسونية الرمزية

وفيما يلي نص خطاب القسم الذي يؤديه أعضاء الماسونية الرمزية:

إنـــى فى حضرة مهندس الكون الأعظم والمحفل الفاضل والكبير والرفيع والمـــأذون للبنائين الأحرار والذى أقيـــم بانتظام ومقدس بالكامل، أتعهد برضا كامل منى وبطلب ورضا قلبى وبناء على هذه الوثيقة وأقســـم بنية خالصة وبجدية أن أخفى دائما أســـرار المجموعة عن الاخرين وألا أبوح بأى جزء أو قســـم منها والمتعلقة بالبنائين الأحرار فى الماسونية والذين أطلعونـــى عليهـــا أو أن يخبرونى بها فى المســـتقبل، إلا للأخ أو الأخوة المخلصين والموثوق بهم وحتى ألا أبوح بهذه الأســـرار لهكذا أشخاص إلا بعـــد إجتياز إختبـــارات عصيبة تبرهن صدق نواياهـــم أو عن طريق معطيـــات ثابتة وصحيحة تؤشـــر على كونهم موضع ثقـــة أو أن يكونوا أعضاء أحد المحافل الماسونية القديمة!

وبهذا القسم، جدير أن أتقيد بالحالات الآنفة من دون أى إنحراف وحيلة ورادع عقلـــى، وإن حنثت فـــى هذا اليمين ولا ألتزم بهـــذه القوانين، فان أدنـــى عقوبة لى هى أن تقطع رقبتى ويقطع لســـانى من أصله وأن أدفن فى رمال ســـاحل البحر أثناء مد البحر وعندما يجتاح الماء الساحل، لكى أتعرض لجزر البحر ومده على مدار الســـاعة، أو أن أنال عقوبة أقســـى،

أى كشخص نقض العهد وحنث باحتيال فى يمينه، أن تطبع وصمة الخزى والعار على جبينى وأن أعرف كانسان فارغ من القيم الأخلاقية والمعنوية لا يستحق هذا المحفل العظيم أو المجموعة والتنظيمات النبيلة ولا أملك الفضيلة التى هى أســمى وأرفع من أى شــرف وأى شئ اخر على وجه الكرة الأرضية.[١]

١. نقلا عن «الماسونيّه عقدة المولد وعار النّهايه»، صص ٧٠-٧١.

٢. الماسونية الملكية

ويتم إنتخاب أعضاء الماسـونية الرمزية من بين مختلف الشرائح الاجتماعية بغض النظـر عن الإنتماءات الدينية، وكل عضو يحمـل كتابه الديني الخاص به خلال مشـاركته في المحافل الرسـمية، لكن في المراتب العليا، يتضاءل عدد الأعضاء المنتمين لسـائر الديانات (بما فيها الاسلام والمسيحية) بينما يتزاد عدد الأعضاء اليهود.

وخصائص الماسـونية الملكية ودرجتها هى أن معظم أعضائها من اليهود يطلق عليهم أيضا الرفاق، ولا يسـمح لغير اليهود بالوصول والدخول إلى هذه الطبقة والمرتبة، إلا إذا كانت تتوفر لديهم هذه الشروط:

أ) الوصول إلى أعلى درجات الماسونية الرمزية أى الدرجة ٣٣؛

ب) تجاهل الدين والوطن وأن تعد الماسونية نموذجه المثالى.[١]

وفى هذه الدرجة والمرتبة تنتشر الأفكار السياسية والعقائدية الاسرائيلية بيـن أفراد هذه الطبقة وتتحول قضية فكر الصهيونية وتنظيمها إلى محور ورفيـق وملازم فى هذه المرحلـة ويخطو خطواته كيهـودى من العيار الثقيـل. إنه يتقدم فى هذه الحالة بخطا طويلة وفقا لمخطط وضع سـلفا، وهدفه تجميع «بنى اسـرائيل» من أقاصى العالم وإعادتهم إلى أورشليم

١. جلبي، احمد، «اليهوديّة»، ص ٢٢٧ و: صالح، سعد الدّين، «الماسونيّة فى أثوابها المعاصرة»، ص ٢٦.

التـــى هى مدينتهـــم المعنوية وبناء الهيكل المقـــدس، ويعمل جاهدا لنيل هذا الهدف بطريقـــة منظمة. ونلاحظ أن هذه المرتبـــة والدرجة يحظيان بخصائص خاصة بهما وهما خاصان بشـــكل مـــا، لان أعضاء هذه الدرجة والمرتبـــة من الماســـونية، مطلعون على أســـرار تخفيها الماســـونية عن أعضائها فى طبقة ومرتبة الماسونية الرمزية.

خطاب قسم الماسونية الملكية

وفيما يلي خطاب القسم للماسونية الملكية:

إنى... فى حضرة الله المتعال والحق وفى محفل «العهد الملكى المقدس» هذا الذى شـاركت فيه بارادتى الحرة وبرضا تام وأقيم بصورة شـرعية وقانونية، أقسـم بهذه الوثيقة وأعاهد بجد أن أتسـتر دائما على أسـرار هـذه المجموعة وألا أبوح باى من الأسـرار والرمـوز المحددة فى هذا المنصب الرفيع الذى يدعى «منصب ملكية أورشليم المقدسة» لأى أحد فى العالـم، إلا إذا كان صادقا ومن زملائى فى الدرجة ويتم تشـخيص هذا من خلال الإمتحانات والإختبارات الصعبة، وإنى أقسـم بجد وثبات وروية وتفكير ألا أسمح لنفسى أبدا بالنطق بالأسم السرى المقدس الذى أفشى لى اليوم للمرة الأولى سوى بحضور وبمساعدة إثنين من زملائى فـى المرتبة ذاتها أو من خلال المشـاركة فى محفل العهد الملكى الذى أقيم بصورة شرعية وقانونية!

إنى أقسـم بجد وثبات وروية وتفكيـر أن أفى بهذه النقاط من دون أى حيلـة ومكر أو إعتبارات وتفكير عقلانى وإن تمردت على هذه القوانين وتجاهلتهـا وبحت بسـر ما، فان جزائى هو المـوت الذى ينفذ من خلال فصل الرقبة عن الجسد![1]

---

١. «الماسونيّه عقدة المولد وعار النّهايه»، صص ٧٣-٧٤.

٣. الماسونية الكونية

وتخصص هذه المرتبة والدرجة لليهود وتعد أرفع مرتبة في الماسونية. وتشرف هذه الشريحة على الشؤون العامة للماسونية وتديرها. ويقوم أفراد هذه الشريحة بحياكة المكائد والمؤامرات وتدبير الإنقلابات والتخطيط للهيمنة على العالم. إن سلطتهم ونفوذهم بدرجة أنهم يقومون حتى بانتخاب أو تأييد رئيس «الولايات المتحدة الامريكية».

إن الماسونية الرمزية والملكية تقيم محافل وجلسات فى كل أصقاع الأرض، بيد أن الماسونية الكونية لها مركز واحد ويقع فى نيويورک.

ويقال أن عدد أعضاء هذا التنظيم هم ثلاثمائة يعرف أحدهم الاخر عن طريق التنظيم والإسم الحركى ويطلق عليهم إسم الحكماء والعلماء، ويدعى رئيسهم الحكيم الأعظم.[١]

ويبدو أن أعضاء الماسونية الكونية هم أولئک الذين وضعوا بروتوكولات حكماء صهيون، لان الخطوط العامة والرئيسية للمناصب والدرجات الماسونية بادية للعيان فى قراراتهم.

وجاء فى «البروتوكول الخامس عشر»:

---

١. «الماسونيّة ذلک العالم المجهول»، ص ١٥٤؛ و«اليهوديّه»، صص ٣٢٦-٣٢٧؛ و«الماسونية، عقدة المولد وعار النّهايه»، صص ١٨-٦٩؛ و «الماسونيّة فى أثوابها المعاصرة»، صص ٢٨-٢٩؛ و **زكى‌الدّين، محمّد،** «الماسونيّة بين الحقيقيّة والشّعارات»، الدّار السّعوديّه للنشر والتّوزيع.

«إلى أن يحين ذلك الوقت الذى نتسلم فيه السلطة والحكم، وحينها سنبذل جهدنا لنشر بذور البنائين الأحرار فى جميع أرجاء العالم وتوسيعه، وسنستقطب أصحاب النفوذ والمناصب والشخصيات المهمة التى تحظى بشعبية.

وستكون هذه الخلايا والمراكز جزء من المصادر الرئيسية التى نستقى منها معلوماتنا، وفضلا عن ذلك، فان تنظيم الماسونية سيكون أفضل موقع لدعايتنا وسنخضع جميع تفرعاته وخلاياه لقيادة وإدارة الأشخاص المعروفين. إن علماءنا سيكونون قادة ومدراء هذه التنظيمات. إن هذه الخلايا ستملك وكلاء خاصين لكى نخفى بهذه الوسيلة مكان إقامة القيادة الرئيسية، وأن القائد والزعيم الرئيسى وحده له الحق فى انتخاب المتحدث والتنظيم وتحديد النهج. إننا ننصب فى هذه الخلايا، أفخاخا للشيوعيين والطبقات الثورية لمجتمعنا. إننا على معرفة تامة بمعظم المشاريع والخطط ونوكل تنفيذ هذه المشاريع والخطط لمنفذيها وأن جميع الأمناء ووكلاء الشرطة الدولية تقريبا سيكونون أعضاء فى هذه المراكز والخلايا.

إن خدمات هذه الشرطة تكتسى أهمية بالغة بالنسبة لنا، لانهم قادرون على أن يشكلوا غطاء ملائما لمشاريعنا وإخفاء حقيقتها وبالتالى كشف واستنباط التفسيرات العقلانية والصحيحة بشأن سبب التذمر والغضب والإستياء السائد بين المجموعات والطوائف المختلفة، إضافة إلى أن بوسعهم معاقبة الذين يستنكفون عن الرضوخ لنا.

إن معظم الذين ينخرطون فى هذا التنظيم، هم من الأشخاص المتحضرين الذين ينشدون تحقيق إنفراج فى حياتهم كيفما اتفق. إنهم لا يطيقون تحمل الصعاب والمشاكل، ونحن قادرون أن نتحرك مع هكذا أشخاص لبلوغ أهدافنا، وقادرون على الإفادة منهم كسلم لنيل الرقى والتقدم.

لقد كنا الشعب الوحيد الذى عرض مشروعات الماسونية، ونحن الشعب

الوحيد الذى يعرف كيف يقود ذلك وبأى إتجاه. إننا نعرف الغاية والهدف النهائى لاى عمل ما، فى حين أن غير اليهود لا يملكون معطيات عن معظم الأشياء المتصلة بالماسونية، وحتى أنهم لا يعلمون النتائج المبكرة لأعمالهم.

وكثيرا ما يتردد غير اليهود على المحافل الماسونية، فانهم يقومون بذلك إما من منطلق الفضول البحث أو على أمل أن ينالوا الشئ الذى يستسيغونه وموجود فى هذه المحافل. والبعض طبعا يحمل أفكارا ورؤى حمقاء، ويريدون إبراز أنفسهم فحسب من خلال الإنضمام إلى مثل هذه المحافل. وإننا نمنحهم رؤى لا طائل منها ومن دون سبب ورادع، ولذلك فان الذين نتركهم ليتصرفوا، يبتهجون أيما ابتهاج للنجاحات التى يحققونها ويغترون بالوصول إلى مآربهم، ونحن نستفيد منهم لخدمة مصالحنا. إنهم عادة أشخاص مغترون بنجاحاتهم الظاهرية ويتغذون من دون أن يعرفوا بأفكارنا ومتيقنون أنهم بمأمن من الإنزلاق فى أى هفوة وخطأ، ويخالون أنهم الوحيدون الذين يملكون رأيا وفكرة، ولا يعتبرون أنفسهم تابعين ويخضعون لإمرة أحد ما، بل يعتبرون الاخرين تابعين لهم».[١]

إن واقع الحال، يظهر مجمل أقوالهم فى هذا البروتوكول، وقد برهنت الحقيقة أن جميع مخططاتهم قد طبقت على أرض الواقع وكأن اليهود كانوا قد باشروا منذ يوم أمس التخطيط للعمل ووضعوا خططا له، بينما يمر نحو قرن واحد على هذه المشروعات والخطط.

والحقيقة تبين بحد ذاتها مدى نفوذ اليهود واختراقهم للشعوب المختلفة ورصد أفكار وسلوكيات الشعوب غير اليهودية، لكى يتمكنوا من خلال ذلك، التخطيط لدفع هذه الشعوب إلى هاوية الفساد والضياع.

إن نص هذا البروتوكول يظهر موقف اليهود من غيرهم وإزدرائهم

١. «الخطر اليهودىّ»، صص ١٨٩-١٩١.

وإذلالهـم لهم. لذلک، فانهم يعتبرون غير اليهود عبيدا وخدما لهم. إنهم وفی الوقت ذاته، يستخدمون غير اليهود للوصول إلى أهدافهم وغاياتهم، ويعتبرونهم حمقى وجهلة.

لذلک فكل من له عقل، يجب أن يفكر، وكل من له عينين، يجب أن يرى بهما وكل من له أذنين، يجب أن يستمع بهما ليدرج حقيقتهم.

إن الكـذب والحيلة ظاهرتان فی كلامهم، وأن مؤسسـی هـذا التنظيم، يكذبون علانية، لكن هل ينتبه أهلينا إلى ذلک؟

وهل يهتمون بالأمـر الالهی الذی يدعوهم للحذر من اليهود، ويلبونه؟ الله المتعال الذی يقول:

«لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَداوَةً لِلَّذينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذينَ أَشْرَكُوا»[1]

ويقول سبحانه وتعالى فی آية أخرى:

«كُلَّما أَوْقَدُوا ناراً لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللهُ وَيَسْـعَوْنَ فِی الْأَرْضِ فَساداً وَ اللهُ لا يُحِبُّ الْمُفْسِدين»[2]

لكن بعض من يشتركون معنا فی الدين مازالوا متفائلين باليهود ويريدون العيش معهم بسـلام وأمان، إنهم يتفوهون بهذا ويطالبون به، وفی الوقت ذاته يحترقون بنار حيلهم وخدعهم، ومع ذلک، فانهم يصرون على رأيهم ويعتبرون الذين يحملـون أفكارا وآراء غير أفكارهم تجاه اليهود، بانهم جهلة لا يفقهون.

ويعتبـرون أن هذا ما هو إلا خزی وعار ومسـكنة ومذلـة لمعارضيهم، لكنهم هم من أذلوا أنفسهم واحتقروها.[3]

---

١. سورة المائدة، الآية ٨٢.

٢. المصدر السابق، الآية ٦٤.

٣. «توغل اليهود في المجتمعات الإسلامية»، صص ١٣٨-١٤٧.

القسم الرابع

الأسس والمبادئ الفكرية والعقائدية للماسونية

الأسس العقائدية للماسونية

علـى الرغم من الأحاديث الكثيـرة والمغلفة والأسـاطير والقصص الرائجة حول الماسـونية والمعروضـة فـي المجلات والكتـب، فانه قلمـا دار الحديث عن موضوعين مهمين للغاية بين الماسـونيين والمحافل الماسـونية العليا، الأول هو الجوهر العقائدي لهذا التيار والثاني، غايته النهائية.

إن «التنظيم العالمي للماسـونية» يخفي هذيـن الموضوعين عن أعضائه في المراتب الدنيا والمنتمين للمحافل الماسـونية «الرمزية"، بل يبذل قصارى جهده لإظهـار أن المحافـل الماسـونية هي جمعيات شـبه دينية وحتـى خيرية لكي تكون بعيـدة عن مرمى أنظار المؤمنين بالديانات السـماوية والوطنيين الأصفياء للمجتمعات المختلفة، لان إنكشـاف حقيقة المعتقدات الإلحادية للماسـونية، يحرمهم من إعتبارهم مؤمنين بالأديان التوحيدية، كما أن إتضاح الغاية النهائية، أي **تأسـيس الحكم الكوني لاشـرار اليهود** المدنسين بالسحر وعبادة الشيطان، يجعلهم موضع تهكم من سكان جميع البلدان لاسيما المسلمين.

وتعد **المادية الإلحادية** أحد أهم الأسس العقائدية للماسونية العالمية.

ويسترسـل **سـلامي ايشـينداغ** في كتابه بعنوان «إسـتلهامات من الماسونية» بالحديث عن الأسس الفلسفية والمادية للماسونية ويقول:

لقد تقبل العلم البرهانى أن كل شـئ لا يحصل من لا شـئ وأى شـئ لا

يفنى. لذلك يمكن القول أنه ليست ثمة حاجة لكى يشعر البشر بالجميل والعرفان والإلتزام تجاه أى سلطة. إن العالم هو مجموعة طاقات لا بداية لها ولا نهاية. ويتولد كل شئ فى هذه المجموعة، وينمو ويترعرع ويموت، لكن المجموعة لن تموت إطلاقا. فالأشياء تتغير وتتحول فحسب. فما من شئ إسمه موت وزوال. بل التغير والتحول هما السائدان دائما.

ولا يمكن شـرح هكذا سؤال كبير وسر كونى بمدد القوانين العلمية. كما أن الإيضاحات غير العلمية ليسـت سـوى توصيفـات خيالية وتعصبات ومعتقدات باطلة. وتأسيسـا على المنطق والعلـم البرهانى، فليس هناك روح بغض النظر عن الجسم المادى.[1]

وتفوح رائحة المادية من هذه العبارات.

ويشـرح **محمّد عبد الله عنان** في كتابه «تاريخ الجمعيات السـرية» الغاية التي تتعقبها الماسونية لتدمير الكاثوليكية وتبديد جميع الإنطباعات التوحيدية للديانات السماوية، ويكشف النقاب عن إلحاد البنائين الأحرار.

إن مفردة الحر، تشـير بحد ذاتها إلى هذا الوضع الإعتقادي للماسـونية أي تحرر هذه المحافل من الدين.

وكانت مجلة «غراند اوريان» قد كتبت عام ١٨٥٥ للميلاد بصراحة:

«نحـن البناؤون الأحـرار يجب أن نعمـل من أجل تدميـر الكاثوليك وإبادتهم كليا.

ولـم تحصر غراند أوريان عداءهـا للكاثوليكية، بل هاجمت جميع الملل والنحـل والأديان وأى ضرب من الإيمان الدينـى والمعنوى... [وأعنت صراحة] إن الأسـاس فى البناء الحر هو حرية المعتقد والتضامن فى عالم الإنسانية [المذهب الإنسانى].

1. Dr. Selami Isindag, Masonluktan Esinsenmeler (Inspirations from freemasonry), Istanbul 1977, p. 190.

ولـم تكتف غراند أوريان بهذا القـدر لإظهار معاداتها للدين، بل طالبت كل واحـد من أعضائها أن يعلن أن المهنـدس الأعظم للكون (الله) ليس سـوى خيال وخرافة، فيما طعنت المحافـل بالدين بحدة وانتقدته ودعت إلى تدميره والإسـتهزاء بالمبادئ والنظريات الدينية، على سبيل المثال، فـان بناء حرا يدعى دلبش ألقى كلمة حماسـية عـام ١٩٠٢ للميلاد فى مأدبة للبنائين الأحرار هاجم فيها الديانة المسيحية بشدة وقال:

«إن النصر الخليلى (المنسـوب إلى خليل الله) قد دام عشرين قرنا، لكنه يمـر اليوم بفترة إحتضـار، واليوم يعلن صوت خفـى أن هذه الخرافة لم تـدم طويلا، الصـوت الذى أعلن يوم موت بان فـى «جبال» (ابيروس) – وموت ذلك الإله الذى وعد المؤمنين بعصر السـلام والعدالة –، لكن الإله الزائف يختفى بدوره ويرحل ويستقر فى غبار القرون السالفة بجانب آلهة الهند ومصـر واليونان والرومان. وكانت هذه ملل وأمم وشـعوب شهدت الكثير من هذه الكائنات المزورة التى تهبط إلى أسفل معابدها. نحن البناؤون الأحرار نقول بفرحة وسـرور أننا لا نهتم بسـقوط أولئك الأنبياء المزيفين. إن الكنيسة الرومانية قامت على الخرافة الخليلية وهى تنقلب بسـرعة منذ أن وجـدت جمعية البنائين الأحـرار. وكم حصل أن اختلف البنـاؤون الأحرار فى وجهات النظر السياسـية، لكن البناء الحر، يركز فى جميـع العصور على مبدأ محاربة أى خرافة دينية وأى تعصب دينى.»

والخلاصـة أن غراند أوريان وبناء على ما يقوله أعداء البنائين الأحرار، هـى هيئة تخريبية هدفها إمحاء المبـادئ الدينية والأخلاقية، لكن بعض الباحثين لا ينسـبون هذا التوجه والدافع الثورى والتخريبى إلى البنائين الأحرار أنفسـهم، بل إلى قوة خفية تعمل من وراء الكواليس، وبناء على ذلك، فان غراند أوريان هى ستار ليس إلا، وراية يلتئم تحتها أعضاؤها

ويعملون من أجل مقاصد لا يعرفون هم ما هي؟ بل أن معظم البنائين في المراتب والدرجات العليا، غير عارفين بغايات القائمين عليها ويجهلون القوة التي تدير عجلتهم وتعمل من خلف الكواليس. ويقول الباحثون: وهناك ثلاثة أنواع ضخمة من البنائين الأحرار، صنفوا في ثلاث مراتب وهي:

البناء الأزرق الذي لا يكشف شيئا من الاسرار الحقيقية للأعضاء وهو منصب لإنتقاء أخوة الإخلاص فحسب والثاني المراتب العليا التي لا تقول لهم شيئا سوى خلاصة من الأسرار الحقيقية، لكنهم ينظنون أنهم واقفون على جميع أسرار الهيئة الخفية، والثالث الهيئة الداخلية وهي في مرتبة الأساتذة الحقيقيين، وهذه الهيئة التي يختفي أعضاؤها خلف الستار الأعلى وبيدهم دائما الدرجات والمراتب، وهذه الهيئة الداخلية أو البناء الحر الخفي، يتسم بطابع دولي إلى حد كبير.[١]

وهذا التصنيف الذي يورده الأستاذ **عنان**، قد ينسحب على الأرجح على تلك الطبقات الثلاث التي ذكرناها سلفا، أي:

الماسونية الرمزية، والماسونية الملكية والماسونية الكونية.

ولا ننسى أن تأسيس الدين الكوني وبعث آخر الأنبياء وافتتاح الملك الالهي العظيم لأبناء النبي **اسماعيل**عليه السلام هو قدر سماوي وحكم رباني، وأن الأنبياء الإلهيين بدء من **إبراهيم**عليه السلام وصولا إلى محمّد بن عبد الله صلى الله عليه وآله قد شددوا على ذلك، لكن بني اسرائيل أحجموا عن القبول به ونحوا منحى اخر. المسار الذي لم يرتضه الله بل أن الشيطان جعله كهدف له.

وربما يمكن القول أنه على الرغم من أن اليهودية أوصدت الابواب على أتباع سائر الملل والنحل ممن يريدون إعتناق الديانة اليهودية، وعلى العكس من المسيحيين والمسلمين لم تقم بالتبشير والدعوة لإستقطاب الأنصار والأتباع من

١. **عنان، محمّد عبدالله**، «تاريخ الجمعيات السرية والحركات الهدامة»، صص ١٢٢-١٢٣.

سائر الأمم، بيد أنها قامت عن طريق المحافل الخفية والماسونية وإرساء المذاهب والإيديولوجيات العلمانية، بخلع لباس التدين من جسم الجميع وجعلهم يصطبغون بصبغتها ويخدمونها ليتحولوا إلى سلالم تستعين بها اليهودية للوصول إلى القمم التي تصبو إليها. وبناء على ذلك أقول، أن جميع سكان الأرض في العصر الحاضر ومن ثم التاريخ الغربي الحديث (لاسيما المهتمون بالعصرنة والحداثة) هم إما ماسونيون أو من أصلاب الماسونيين أو من المتأيسنين، أكان ذلك في النظرية أو التطبيق.

ومع ذلك، فان ثمة علاقة قائمة بين الماسونيين واليهود عن طريق المحافل الخفية والماسونية، لكن بلوغ الماسونيين، المستويات العليا، أي الماسونية الكونية، أمر صعب أو مستحيل، بل أن هذا الأمر متاح للصفوة اليهودية فيها فحسب.

وفيما يخص العلاقة الهيكلية والعملية القائمة بين الماسونيين وأعضاء الطوائف اليهودية، يشير الدكتور المسيري إلى ثلاث نقاط:

وواضح أن الماسونيين هم أعداء الكنيسة والقساوسة [الديانات السماوية ورجال الدين] وهذا يشكل وجه شبه بينهم وبين أعضاء الطوائف اليهودية الذين فقدوا إيمانهم ويشكلون اليوم أغلبية اليهود فى العالم. إن هؤلاء يحسبون أن المجتمعات العلماينة قادرة على ضمان أمنهم وحقوقهم، لذلك فان عددا غفيرا منهم ينخرطون فى المحافل الماسونية...

إن الكثير من الرأسماليين ورجال الاعمال والمهنيين، هم ماسونيون. إن التركيبة الوظيفية والمهنية لليهود فى العالم، هى بالشكل الذى يجعل الأغلبية الساحقة لليهود يعملون فى هذه القطاعات، بينما هناك قلة قليلة من اليهود ممن يعملون فى المهن الاخرى والزراعة. لذلك فقد تزايد عددهم فى المحافل الماسونية.

إن الحركة الماسونية هى حركة عالمية تتجاوز الإنتماءات القومية (مثلما

أن إنسان عصر التنوير هو إنسان عالمى). إن أعضاء الطوائف اليهودية بوصفهم أعضاء المجموعات الوظيفية والوسيطة، لا يبدون حرصا وإنتماء يذكر لأوطانهم.[١]

إن ثمة سببين لإعتبار الماسونيين أرض ميعاد اليهود أرضا مقدسة:

١. شروع التاريخ الماسونى (خرافة الماسونية) فى الأراضى المذكورة؛

٢. وقوع هيكل سليمان فى هذه الارض وإحداثه على يد هيرام الذى صور لدى كبار الماسونيين بأنه بلغ درجة الأبوة.[٢]

لكن ما هو مهم وقابل للتعقب قبل هذين السببين، هو **الظهور المسيحائي** الذي تحدثنا عنه مسبقا.

وقد نجح اليهود في القرن السادس عشر ومع مرور الزمن وتدريجيا ومن خلال حقن فكرة **الظهور المسيحائي** بداخل التعاليم المسيحية وعن طريق حركة الإصلاح الديني (البروتستانتية) في دق إسفين في جسد المسيحية الكاثوليكية وجعل عدد غفير من المسيحيين في خدمتهم عن طريق تجميعهم تحت راية الإعتراض البروتستانتي، واستعملوا هذه الفكرة للتمهيد لبناء الحكم الكوني البني اسرائيلي في الأراضي المقدسة عسى أن يقيموا صرح حكومتهم بعد سلوك المراتب ومر الزمن، وفي مشروع شيطاني متلازم مع واقعة هرمجدون.

وليس عبثيا إهتمام عامة الأوساط التنويرية في العالم في الشرق والغرب بالأدب العالمي والفن العالمي والموسيقى العالمية والعلم والمعرفة العالمية، ويتخطون حدودهم وجغرافياهم الثقافية والترابية لينخرطوا في المعسكر الكوني.

إن زوال واندثار جميع أوجه وصور التقاليد والثقافات والحضارات الشرقية في المجال الثقافي والحضاري الغربي على امتداد الأعوام المائتين الاخيرة وإضفاء الطابع العالمي على الإقتصاد والإدارة والعلم والمعاملات والعلاقات العامة وحتى

١. **المسيري، عبدالوهّاب**، «موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية»، ص ٥١٣.
٢. فريق الدراسات العلمية التركى، «أسس الماسونية»، ص ١٢٨.

الحضرية والعمارة والملبس و...، جعلت كلها سـكان العالم في ظل الإستنساخ الثقافي جاهزين للتفكير بضرورة قانون عالمي والشرطة العالمية والحكومة العالمية والدعوة لها.

وفي هذا الخضم بالذات وتعميم هذا الشعور بالضرورة وبعد إظهار عدم فاعلية وجـدوى عامة الأوجه المجربة والموجودة في أقاصي العالم، ومن ثم على الارجح بعد أزمة كبرى، أن ينبثق من بين المحافل الخفية (الماسونية الكونية) تاج عالمي (موعود اليهود) ليمسك بزمام العالم أحادي الحكم، ويقوده.

وربما من هنا يمكن القول أن الإستنسـاخ الثقافي، يشـكل بحد ذاته تمهيدا لتحقيق مآرب الماسونية الكونية.

المبادئ العقائدية الثمانية للماسونية

وفي ضوء دراسة المسار التكويني للمحافل الخفية والمنعطفات التي مر بها التاريخ الثقافي لقبيلة اللعنة وكما تطرقنا إليه في الفصول السابقة، لم يعد خافيا التوجه العام لنشأة هذه المحافل وإنطباعاتها العامة حول العالم والإنسان وبالتالي جل ما يقال حول مستقبل العالم.

وتم على مر الزمان لاسيما في العصر الحديث – ما بعد الثورة الفرنسية – صياغة مجمل توجهات وإنطباعات المحافل، على يد المثقفين والمنظرين وتحويلها إلى إيديولوجيا. لذلك، يمكن تبيان المواصفات الإيديولوجية لمنظمة إنسانوية تنويرية في العناوين التالية:

١. المذهب الإنساني؛[1]
٢. الليبرالية؛[2]
٣. المذهب الإصلاحي؛[3]
٤. التسامح الديني؛[4]
٥. المواطنةالعالمية؛[5]

1. Humanisme.
2. Liberalism.
3. Reforme.
4. Tolexance.
5. CosmoPolitisme.

٦. الربوبية؛[1]

٧. اليهودية.

٨. الصهيونية.

وتم خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر وإبان تخليق ضروب الإيديولوجيات السياسية والاجتماعية وكذلك في سائر حقول العلوم الحديثة بما فيها علم النفس وعلم الأحياء، صياغة إنطباعات وتوجهات الماسونية على هيئة نظريات. وفي القسم السابق، لاحظنا أن فريقا كبيرا من الثوريين التنويريين والكتاب الفرنسيين الملحميين، كانوا أعضاء في المحافل الماسونية.

إن الأنانية التي تقف على طرف نقيض أصلا من الفكر الديني والأصولية والبحث عن الحقيقة الدينية، تمثل روح وجوهر عامة الإيديولوجيات الناشئة في القرنين السابع عشر والثامن عشر للميلاد.

وعلى الرغم من أن معارضي الكنيسة وداعميهم اليهود، رفضوا في أواخر القرن الخامس عشر ومن بعده القرن السادس عشر، شكل علاقات وصفقات القائمين على الكنيسة الكاثوليكية، وتمردوا على جميع تقاليدها، فان هذه المواجهة تحدت خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر وعلى شكل إختلاق الإيديولوجيات، الأصول النظرية والأسس وبالتالي المبادئ العقائدية الدينية وأدت إلى إنتشار الإنتقائية والإمتزاجية وفي النهاية الإنحراف في الميادين الثقافية والحضارية للغرب ومن بعده الشرق.

وتقول «الموسوعة الكاثوليكية» بشأن إستغلال الماسونية لمفردة تقدم الأديان وتخريبها:

إن أهداف الماسونية هى عبارة عن: التخريب التام لجميع التوغلات الإجتماعية للكنيسة والدين بالتلازم مع إزعاج الكنيسة أو إعتماد سياسة خادعة لفصل الحكم عن الكنيسة، وقدر الإمكان تخريب الكنيسة ومجمل

1. Deism.

الحقيقة أى الدين فوق الإنسانى الذى يتجاوز حب الوطن والإنسان.[1]

ويكشـــف المصدر ذاته النقاب عن أحابيل الماســـونية لمحاربة ومحو الدين عن جميع العلاقات لاســـيما في التربية والتعليم العام، ويشـــير إلى أن الماســـونية تسعى بذريعة حرية التفكير للتأثير بشكل ممنهج على إحساس الأطفال عن طريق المدارس الرســـمية بحيث يكتسبون مناعة في مقابل تعاليم الكنيسة ورجال الدين والدين.[2]

إن **موقـــف الحرية** يتمثل في الحقيقة في إســـتئصال الدين من جميع العلاقات والتعاملات العامة لشعوب العالم.

---

١. **يحيى، هارون**، «الماســـونية الكونية»، ترجمة الدكتور **ســـيّد داوود ميرقرابي**، إصدارات ألمعي، الطبعة الأولى، ١٣٨٥هـ .ش.، ص ١٧٢.

٢. المصدر السابق.

١. المذهب الإنساني، روح إيديولوجيا الماسونية

وعلى الرغم من أن الانسان يملك في مجال الفكر والرؤية الدينية، وجدانا أخلاقيا وقادر على تشـــخيص الخير والشر في الشـــؤون الجزئية، لكن وبما أن الله تعالى هو الخالق والمدبر والربّ ومصدر الحكم في هذا المجال ويحظى بالأصالة، فان تشـــخيص الخير والشر الكليّ وبالأحرى، المعروف والمنكر، يتوقف على الحكم الالهـــي. إن هذه الأحكام جاء بها الأنبياء والرســـل المبعوثين من قبل الله تعالى لتنظيم جملة العلاقات والمعاملات في سياق **الشريعة**.

إن الوصول إلى هذه الأحكام في الإســـلام ممكن عن طريق القرآن وروايات المعصومين عليهم السلام، وفي المســـيحية، عن طريق البابا أو مجلس الكنائس، لكن في الفكر الإنسانوي، فانه يتم إضفاء الأصالة على ضمير الإنسان المنقطع عن الوحي والمســـتغني عن المعـــروف والمنكر المقدم من جانب الإنبيـــاء الالهيين العظام، لذلك فان الإنســـان يعتبر كل ما يستســـيغه، خيرا ومعروفا، وكل ما يكرهه، شـــرا ومنكرا.

ومفهوم أصالة الضمير هذا يتجلى في الغرب في حالتين هما:

١. الفردانية؛[1]

1. Individualism.

۲. الجماعية؛[1]

وبما أن الأصالة في العقيدة الاسلامية، هي للحق، فان أي فرد لمجرد كونه فردا وأي جماعة لمجرد كونها جماعة، لا تكتسي أصالة، بل أن كلا منهما يكتسب مصداقية واعتبارا عن طريق التواصل مع الحق.

إن دعاة المذهب الإنساني، قد أعطوا أوضح تعريف على ذلك:

ويقول كرليس لامنت من المنظرين البارزين للمذهب الإنسانى فى كتاب «فلسفة المذهب الإنسانى»:

إن المذهب الإنسانى يرى أن الطبيعة برمتها صنعت من الحقيقة، إن المادة والطاقة يشكلان أساس العالم ولا وجود لماوراء الطبيعة. إن كون ماوراء الطبيعة غير حقيقى يعنى أولا أن الأناس على المستوى البشرى، لا يملكون روحا غير مادية وخالدة، وثانيا أن العالم على المستوى العالمى، لا يملك إلها غير مادى ولا يفنى.[2]

وكما نلاحظ، فان المذهب الإنساني يساوي الإلحاد وأنصار المذهب الانساني يقرون بهذه الحقيقة.

بيان جمعية المذهب الإنساني الامريكية

إن النظرة العالمية الفلسفية والأخلاقية الخاصة بالماسونية، تقوم من خلال نبذ ماوراء الطبيعة، على الإنسانوية الإلحادية، مثلما جاء في بيان جمعية المذهب الإنساني الامريكية:

وقد نشر فى القرون الماضية، بيانان من هذه المجموعة. أولهما، عام ۱۹۳۳ والذى وقع عليه أهم شخصيات تلك الحقبة والثانى، صدر

1. Collectivism.

۲. **يحيى، هارون**، «فرسان الهيكل (الأسس النظرية للماسونية الكونية)»، ترجمة **فاطمة شفيعي سروستاني**، طهران، هلال، الطبعة الخامسة، ۱۳۹۱هـ .ش.، صص ۵۷-۵۸. نقلا عن:
Lamont, «The philosophy of Humanism», 1977, p.116.

بأربعين عامـا تاليا أى عام ١٩٧٣. وقد أيد البيـان الثانى، البيان الأول وتطـرق إلى التقـدم الحاصل خلال هذه الفترة الزمنيـة. وقد وقع ألوف المفكرين والعلماء والكتاب والإعلاميين، البيان الثانى الذى يحظى بدعم «جمعية المذهب الانسانى الامريكية» الفعالة جدا.

ونلاحظ من خلال دراسـة البيانين، نقاطا رئيسـية، بمـا فيها المعتقدات الإلحاديـة القائمة على أن العالم والانسـان لم يخلقـا، بل وجدا بصورة مستقلة، وإن الأناس لا يتحملون مسؤولية تجاه أى سلطة سوى أنفسهم، ومن أن الإيمان بالله أدى إلى تخلف الأفراد والمجتمع.

ولنلقى الضوء على سبيل المثال، على المواد الست الأولى للبيان:

أولا: إن المذهب الإنسـانى يرى أن العالم وجـود قائم بذاته، ولا يؤمن بالخلق.

ثانيا: إن المذهب الإنسانى يقول بان الإنسان هو جزء من الطبيعة، وحدث من جراء عملية ممتدة.

ثالثا: إن الإنسـانويين يدحضون العقيدة المتمثلة بتماسك الحياة وثنائية الذهن والروح.

رابعـا: إن المذهب الإنسـانى يذهـب إلى أن الحضـارة والثقافة الدينية للبشـرية التى رسـمت معالمها بجلاء فى العلوم الإنسـانية للتاريخ، هى محصلـة تدريجية لفعل وردة فعل الانسـان تجاه بيئتـه الطبيعية وتراثه الإجتماعى. فالانسـان الذى يولد فى بيئة ثقافية بعينها، يسـتمد مقاربته منها إلى حد كبير.

خامسـا: ويزعم المذهب الإنسانى أن ما رسمه العلماء العصريون كجوهر للعالم، يجعل أى ضمانة لكون القيم الإنسانية ماوراء طبيعية، غير مقبولة...

سادسا: لقد اقتنعنا أن العالم، قد تخطى ويتخطى عصر التوحيد وعبادة الله

والحداثة وضروب الأفكار الجديدة.[١]

ونلاحظ فى الحالات آنفة الذكر، تجلى فلسفة مشتركة تطلق على نفسها أسماء مثل المادية والداروينية والإلحاد. ففى المادة الأولى لأسس المادية، يدور الحديث حول الوجود الأبدى للعالم. والمادة الثانية تبين كما تقول نظرية التكامل، أن الإنسان غير مخلوق. والمادة الثالثة ورغم تنكرها لوجود الروح، تزعم أن الإنسان صنع من المادة فحسب. والمادة الرابعة تشير إلى التكامل الثقافى وتنكر الطبيعة الالهية للانسان (الطبيعة الخاصة التى منحت إياه عن طريق الخلق). أما المادة الخامسة فتنكر قدرة الله وسيادته على العالم والانسان، فيما تدعى المادة السادسة أنه آن الأوان لوضع التوحيد جانبا.[٢]

إن الماسونيين يفسرون كيفية نشأة المعتقدات الدينية المتمثلة بالإيمان بالله الواحد الأحد والتي حصلت على إثر تطور الأديان، هكذا:

- **إن الآلهة وليدة أذهاننا وهى حية بواسطة المعتقدات والآراء التى نقدمها. (ألكسندر ديفيد نيل).**[٣]
- **لقد نادى الإنسان طيلة التاريخ، القوى التى لم يتمكن من توضيحها وفك شيفرتها باسماء مثل الطبيعة والمعمار الكبير والله والكائنات. لقد تباين تعريف مفردة الله حسب اختلاف المستوى الثقافى والمعرفة الإجتماعية وتغير الظروف السياسية. إن حدود السلطة الالهية، تراجعت لصالح الردود المنطقية والمعقولة على الأحداث الطبيعية الشبيهة بالمعجزة.**

١. **يحيى، هارون**، «فرسان الهيكل (الأسس النظرية للماسونية الكونية)»، صص ٦٠-٥٨. نقلا عن: www.jjnet.com\archives\documents\humanist.htm

٢. فريق الدراسات العلمية التركي، «أسس الماسونية»، مركز توثيق الثورة الاسلامية، صص ١٨٨-١٨٩.

٣. المصدر السابق.

(جليل لائق، مجلة معمارستان، العدد ١١ و ١٢، ص ٧.)[١]

• لقد آمن الإنسان البدائى والأولى بقوى ماوراء الطبيعة إزاء قوة وعظمة الأحداث الطبيعية، لتكون الأديان الأولية قد ظهرت فى ظل هذه الأوهام.

(مجلة ماسون التركية، العدد ١، ص ٨.)[٢]

إن الذين تحدثوا خلال السنوات الاخيرة من على المنابر الرسمية وغير الرسمية بما فيها الإنترنت عن الماسونية والمحافل السرية وأسترسلوا في البحث عن علائم الماسونية المحفورة على أبواب وجدران المدن، كانوا يفتقدون إلى أبسط المعطيات حول ماهية وطبيعة الماسونية.

إن الماسونية لم تعد **محفلا ومجمعا** على هامش الحياة الإجتماعية لسكان الغرب.

إن الماسونية بوصفها ممثل **الإنطباعات النظرية** والفكر المتخفي في طبقات الحياة الاجتماعية والحضارية للإنسان المعاصر، باتت تمثل **روح الثقافة والحضارة** وجوهر جميع المناسبات المادية والثقافية العامة للإنسان المعاصر. لذلك، فان حكايتنا هي حكاية تلك السمكة التي تبحث عن الماء بينما هي تسبح وتغطس في الماء.

إن المذهب الإنساني ومن خلال إضفاء الأصالة على الإنسان والبشرية العصرية واعتبار الوجود الإنساني أصيلا، أخفى الله لكي يعتلي هو بدلا من الله، **عرش الأمر والنهي** ويتحول إلى حجة. وعلى مدى الاعوام الثلاثمائة أو الأربعمائة الأخيرة، وبعد عصر النهضة، دخل **إله جديد** الساحة وحتى أنه اغتصب موقع جميع الآلهة اليونانيين والرومان المتسمين بالشرك. وعليه، فاننا نعتبر العصر الجديد والتاريخ الغربي الجديد بانه **تاريخ أنانية الإنسان** المُعرض عن الله الحقيقي.

وفى التاريخ الغربى، فان الطاغوت رحل وحل محله المذهب الإنسانى

١. فريق الدراسات العلمية التركي، «أسس الماسونية»، مركز توثيق الثورة الاسلامية، صص ١٨٨-١٨٩.
٢. المصدر السابق.

الذى استتبعته القومية.[١]

وكان العالــم فى اليونان القديمة، الدارة الدائــرة، وأصبح الله فى القرون الوســطى دارة التاريخ، واليوم والعصر الحديث، تحول الإنسان إلى دارة الدائرة.[٢]

إن اكتســاب الإنســان الأصالة في العصر الحديث، يعني إكتساب النفس الأمــارة المنقطعــة عن الوحي، الأصالــة وكذلك الإنبهار الفظيــع بالغرب الذي يســتحوذ على روح الإنسان وجســمه والعالم، بينما **كانت الأصالة في الماضي وفي العصر القديم، لله، لكن الاصالة أصبحت اليوم رديفا للناسوت.**[٣]

إن عالم الناسوت هو عالم الطبيعة والشهادة والملك، أى العالم الجسمى والأجســام والمــادة والماديــات والذى تضطلــع فيه الحركــة والزمان والمكان، بدور. إن عالم الناسوت هو كالقشرة نسبة إلى عالم الملكوت، أى قشور عالم الملكوت.[٤]

وأليــس أن عالم الشــهود والملك، عُــرّف على أنه غاية الانســان المعاصر ومقصــوده ومراده، وأن جل همه وإهتمامه منصــب على التصرف في هذا العالم الملكي والإنتشار فيه ويجعل من إنمائه وتقدمه، معلما ومرشدا له؟

ويحسب البعض أنهم يتحدثون عن الدين والقرآن ويدافعون عنهما وأن إنسان اليوم، عندما يدافع عن القرآن والدين، يعتبرهما تابعين لأفكاره وهواجســه العصرية ويستخدمهما كمحمل لترســيخ دعائم حكم النفس الأمارة البشرية (الانسانوية). ويجعل القرآن والدين تابعين لأفكاره القومية ومذهبه الوضعي وحينها يكرمهما.

ويذهب الماســونيون سواء في الغرب أو الشرق إلى أن مجمل التاريخ والثقافة

---

١. **فريد، سيّد أحمد**، «اللقاء المبهج وفتوحات آخرالزّمان»، باهتمام **محمّد مدبور**، الطبعة الأولى، ١٣٨١هـ .ش.، ص ٣٦.

٢. المصدر السابق، ص ٤٤.

٣. المصدر السابق، ص ٧٩.

٤. **سجّادي، جعفر**، «معجم المصطلحات الفلسفية لملا صدرا»، ص ٣٢٥.

الماضيتيـــن، تابعين للبشـــرية المعاصرة وهما في خدمة النفس الأمارة للانســـان المعاصـــر. إن المذهب الانســـاني وأنبيائه أي الماســـونيين يتعاطـــون مع الدين والحقيقة هكذا.

إن النفـــس فى القرآن تعنى الذات، ولها ماضٍ فى الثقافة الهندية، فـ مارا Mara تعنى الموت والقاتل. وقد أســـتخرجتُ مفردة «مار» [الأفعى] من هـــذه الكلمة. وهو ما يقتل وقاتـــل ومميت، أى النفس الأمارة التى يمكن تشبيهها بهذه الأفعى القاتلة. وحتى تذكروا ذنب آدم، [وقد ظهر الشيطان على آدم وحواء على هيئة أفعى]، ويطلق البوذيون على هذه النفس مفردة «مارا»، أى الأمارة. ويقولون فى البوذية أن النفس يجب قتلها، أى يجب قتل «مارا».

نحن قتلى النفس، وعسى أن يحين وقتها
ونسأل فى القيامة لِمَ لم نقتل النفس

ويطلـــق بوذا على «مارا» إســـم «قريب» ويعتبره النفـــس بعينها، النفس الأمـــارة والكذب بعينهما. ويصـــر بوذا على ذلك، لذلـــك فان قلنا بان الانســـان المعاصر، مصاب بـ«مارا»، نكون قد أصبنا كبد الحقيقة. إن ما يضفى الأصالة على البشرية هو «مارا».

أى أن «مارا» تعبدها البشرية. إن البشرية تعبد ذاتها ونفسها اليوم. وقد أصبح الإنســـان عابدا للنفس الأمارة. النفس الأمـــارة الفردية والجماعية ... فبعـــد القرن الثامن عشـــر، أصبحـــت الأصالة للنفس الأمـــارة الفردية والجماعية.[1]

وبناء على ذلك، أصبح الماســـونيون اليوم تابعين للمحافل الماسونية الصغرى والكبرى بصورة مباشـــرة، فيما يتسم البعض بالطابع الماسوني في غياب وصمت السياســـيين والإقتصاديين والأكاديميين والمتخصصين في الفروع والتخصصيات

١. **فريد، سيّد أحمد**، «اللقاء المبهج وفتوحات آخرالزّمان»، ص ١٣٧.

العلميـــة المختلفة و... إنهم ينقلون من حيث يدرون أم لا يدرون، جميع القواعد والتعاليم الإنســـانوية الماســـونية إلى الأجيـــال القادمة في هيئة العلـــوم الحديثة والسياسات الجديدة ويرون أن من الواجب إتباع جميع جوانبها النظرية والتطبيقية، ويعتبرون العدول عنها، عدولا عن الوحي المنزل ويقومون بقياس جميع المناسبات والتعاملات الفردية والجماعية وفق قواعدها ومقاساتها ويثبتونها بالتالي.

ومـــن هـــذا المنطلق، إعتبرت البحث فـــي العلائم والرمـــوز لدحض التيارات التطبيقية والنظرية للماسونية، عملا يتصف بالبلاهة.

ويصنع جان بول ســـارتر فى «نهاية التاريـــخ» إلها عديم المعنى وهزيل وهو إنسان يضعه مكان الله.

ويقول جان بول سارتر:

«إن العالم يتناسب معنا، وبينما تفتقد الاشياء فى العالم إلى نظام فى حد ذاتهـــا، فاننا نحن الذين نضفى النظام على العالم، فنجعله صاحب نظام أو عديم النظام».

وعندمـــا نهب عدم النظام لهـــذا العالم، نظن أن الله موجود، وننســـى أن الوجـــود لا أصالة له، وأن الله لا وجود له. وفى ظل الأدلة التى بحوزتنا، يجب أن ننسى أن الماهية بالمعنى الذى يورده محيى الدين عربى اللفظ أو افلاطونـــى اللفظ، لا أصالة له. وعلى أى حال، فان جان بول ســـارتر يصنع فى نهاية التاريخ إلها عديم المعنى وهزيل وهو إنسان يضعه محل الله. إن هذا الفعل، يتناســـب طبعـــا مع اليهود الحالييـــن، إن هذه النظرية تتناسب أصلا مع العقل الأنانى اليهودى.[١]

ويعد فلاســـفة بمن فيهم جان بول ســـارتر، من الحماة الفكريين والفلسفيين للمحافل الماســـونية ومقومي أســـســـهم النظرية. لذلك، فان الماسونيين، يفسرون كيفية نشـــأة المعتقدات الدينية التي تحققت في الإيمان بالله الواحد الأحد على

١. المصدر السابق، ص ٢٥٥.

إثر تطور الأديان، بالطريقة التالية:

إن الآلهة هم وليدو أذهاننا وأحياء بالمعتقدات التى نقدمها لهم. فالماسونى الكسندر ديفيد نيل[١] يتنكر للإيمان بالله الواحد ويسعى لإنكار الوحى والنبوة أيضا، ولذلك يعتبر الإنسان مرجعا نهائيا وموقعا لصدور الأحكام والتعليمات للحياة الفردية والاجتماعية. إنهم يعتبرون مجموعة الكلمات الالهية، حصيلة جهود رجال موهومين وأذكياء، إبتدعوا تقاليد خاصة تتناسب مع تقاليد أحيائهم السكنية.

وألم يجمع عيسى المسيح، أفكاره المتعلقة بالديانة المسيحية من مكان وبيئة حياته، منطقة جنوب غرب الأناضول وبلاد «مزبوتامية»؟ وألم يستلهم محمّد، أساس الاسلام من منطقته ورسخه بالتالى؟[٢]

وقد أعلن التنويريون الماسونيون، عن طريق إنكار الوحي والنبوة، العلمانية على شكل فصل الدين عن السياسة، واعتبروا تنظيم العلاقات الاجتماعية والسياسية ووضع أحكام وقواعد السياسة العصرية ونظام الحكم في جميع المجالات، تابع لإنطباعات وتشخيص الإنسان المنقطع عن الوحي والأديان السماوية.

١. «أسس الماسونية»، ص ١٨٨.

٢. المصدر السابق، ص ١٨٩؛ نقلا عن مجلة معمارستان، العدد ١٤، ص ٩.

٢. الليبرالية

إن إنكار الوحي والنبوة، جعل الليبرالية[1] تستحوذ على الحياة الثقافية والحضارية للانسان الغربي. وكان ذلك بمنزلة النتيجة المحتومة لقبول النسبية الأخلاقية وإضفاء الأصالة على التجربة الحسية لكسب المعرفة حول العالم والانسان. المحطة التي أتخذ فيها الانسان كمعيار للتقويم وأجلس على عرش السلطة بعد أن تم افتراض النفس الأمارة، كمبدأ واساس لتعيين الحدود والقيم.

إن هذا الانسان الجديد الذي نشأ من جهاز وخط إنتاج عصر النهضة والمذهب الانساني وعصر التنوير، كان بمنزلة أنا المفكر والقائم بذاته، واحتل موقع تشخيص الصلاح والفساد والتمييز بين المعروف والمنكر، كالانسان الذي قدمه الفيلسوف الغربي الشهير **جان جاك روسو**.

وتحول ضمير الانسان إلى المرجع الوحيد لتشخيص الخير والشرّ ومتحرر من جميع القيود، ولم يبق لا سماويا ولا قدسيا ولا مخلّصاً أفضل. وكأن الانسان يطلق العنان لنفسه فحسب ويعتبر العالم ساحة رحبة للحكم.

ويقول روسو:

الضمير، أيها الضمير! أيها العزيز الإلهى والأبدى! أيها النداء السماوى! أيها المرشد الموثوق به للجهلة والمغفلين! القاضى النزيه للخير والشر،

1. Liberalisme.

والـذى يصنع الانســان كالله، أنت الذى توصل الطبيعــة إلى قمة الرفعة وتجعل أعمالها قرينة للصواب. ومن دونک لا أشــعر بأى شــئ بداخلى يجعلنى أرفع من الحيوانات.[١]

إن روســو يعطي الأصالة للضمير الذي لا يوجد فيه الله. وقد وصل الانســان الحر إلى المقام الإلهي ليعلن:

إن عملى فحســب هو أن أستشير ذاتى بشــأن ما أريد فعله. إن ما أشعر به أنه جيد، فهو جيد وما أشعر به أنه سئ، فهو سئ، وهذه قاعدة بسيطة وحاسمة، سنصبح أناسا شرفاء عندما نتبعها.[٢]

إن المفهوم الرئيســي لليبرالية في الغرب وبتبعه، مذهب الماسونيين، وحسبما قال سارتر يتمثل في تحرر الانسان من أي حكم سوى حكمه. من دون أن يكون لناه سلطة إبداء الرأي.

وكأن تحرر الانسان في هذا العصر، بات بمنزلة إباحة كل شئ.

وأقرب تعريف لليبراليــة، بما يتفق مع تعريف أهل الدين، هو **النزعة الإباحية**،[٣] مثلما أعلن **جان بول سارتر**:

إن الانسان يجب أن يكون تابعا لقراره.[٤]

ويقول كونت فى تعريف التنويرى:

إن التنويرى هو الانســان الذى بلغ مرحلة النضج بحيث لن يكون بحاجة إلى سيد ومراقب. فهو ليس بحاجة إلى الله ولا لنبى ولا لانسان فذ.[٥]

وإستنادا إلى أقوال المفكرين الغربيين هذه، فان الليبرالية أو النزعة الإباحية هي عبارة عن تحرر الإنســان من الإلتزام الالهي والتعاقد مع نفسه الأمارة. وبناء على

---

١. **كرسون، آندره**، «الفلاسفة الكبار»، ج ٢، ص ٥٣١.
٢. المصدر السابق، ص ٥٣٣.
٣. وقد اقتبسنا هذه الترجمة من الأستاذ الفيلسوف والعالم اللغوي المعاصر، المغفور له الدكتور **أحمد فردید**.
٤. «الحركة الفكرية الحديثة في ايران والعالم»، ص ٨٩.
٥. المصدر السابق، ص ٨٩.

ذلك، فان الحرية في المذهب الانساني تدعو إلى إباحة كل شئ وإطلاق يد الانسان للسير في الأرض من دون رادع ووزاع.

وفي مستهل التاريخ الغربي الجديد (القرن الخامس عشر)، فان إطّراح الدين وتوسيع العلمانية أدى إلى السير على جادة الأنانية وإعتبار الإنطباعات المتأتية من العقل الكمي والمذهب التجريبي البحت، من دون تدخل الحجة السماوية والوحيانية، تكفي لنيل السعادة وتجربة الأمن والعدالة، واعتبار الإنطباعات ذاتها، كافية لتنظيم وترتيب العلاقات الاجتماعية والسياسية. ومذاك، تحولت العقود الاجتماعية والمواثيق إلى مصدر ومرجع أولي لتنظيم وصياغة قواعد العيش الجماعي. ويقول **حسين نصر** في هذا الخصوص:

وخلال العصر الجديد، إنفصمت الفلسفة فى الغرب، بداية عن الدين والتحقت بالتالى بالعلوم التجريبية والطبيعية، واستحدثت أساليب فكرية مختلفة كان معظمها بصدد الحلول محل الحقائق الدينية. إن الجزء الأعظم الذى نشهده اليوم فى العالم الحداثى، أكان فى ميدان الاخلاق أو السياسة والدرک النظرى للماهية والحقيقة أو علم المعرفة، يضرب بجذوره فى الفلسفة الجديدة، إذ تدخل كل يوم وأكثر من قبله، فى تنافس وفى الكثير من الحالات فى عداء مع الكلام والحكمة والدين، وبالتالى، أصبح أناس بصدد تسمية الفلسفة الجديدة بـ مسيوسوفى[1]، أى كراهية الحكمة وهى من الناحية اللفظية، على طرف نقيض من الفلسفة أو فيلسوفى[2] التى تعنى حب الفلسفة. وفضلا عن ذلک، أصبحت الفلسفة منذ القرن الثالث عشر حتى القرن التاسع عشر، بصدد إحلال ذاتها محل الدين بالتمام والكمال، وشكل ظهور فكرة الايديولوجيا بحد ذاتها، طليعة هذا التحدى، أى ظهور تعبير يستخدمه المسلمون اليوم على نطاق واسع،

1. Misosophy.
2. Philosophy.

بينما نادرا ما يفهمون، طبيعة هـذا المفهوم، غير الدينى والمعادى للدين أصـلا، والذى يعمل تدريجيا علـى إزاحة الدين التقليدى عن الكثير من المحافل [الإسلامية].[١]

وكان الانسـان الغربي السائر على خطى مثقفيه وفلاسفته، يبحث عن الخير عبر مجموعة مـن الايديولوجيات المصطنعة على يده والتي هي حصيلة تصوراته وتوقعاتـه. متجاهلا أنه بناء على سـنة الكون التي لا تجد لها تغييرا، فان مجمل القدرات الجسـدية والإفرازات الذهنية للانسان، وبسبب النقصان والهزال، عاجزة عن درك جميع سـاحات الوجود واكتشـاف أوجهه الخفية والجلية، وتفتقد إلى إمكانية تخمين عامة الإحتياجات المادية والمعنوية للانسان على امتداد التاريخ.

وفي ظل هذا التوجه الإنسـانوي تجاه الكون والوجـود والإنخراط في النهج الليبرالي، فان الانسـان الغربي وتهربا منه من الحق والحقيقة وجعل العالم رومانياً، أخذ يسير كالذئب بحثا عن السلطة التامة والهيمنة الشاملة عسى أن ينال مبتغاه في الحياة.

وما كان يطلق عليه تسمية الحرية، هو التحرر من الحق والحقيقة، بحيث أنه عندما كان يشير إلى التقدم والرقي، لم يقصد سوى الإستيلاء الخاوي من العطوفة ورفق السماء والأرض وسكان ربوع هذه الأرض مترامية الأطراف.

ويقول **محمّد عبد الله عنان** حول خصومة جماعة البنائين الأحرار (الماسونية):

إن الأساس فى البناء الحر، هو حرية المعتقد والتضامن فى عالم الانسانية [المذهب الانسانى]. وكان هذا ضربا من التجاوز على المحفل البريطانى الذى لا يمضى قدما فى حرية المعتقد إلى حد الإلحاد والإنكار...

ولـم تكتف غرانـد أوريان فى معاداته للدين، بهـذا القدر، بل طلب من كل واحـد من أعضائه أن يعلنوا أن المنـدس الأعظم (الله) وهم وخرافة ليس إلا، وأدلت المحافل بتصريحات فى طعن الدين بحدة ونقده ونسف

١. **نصر، سيّد حسين**، «الشاب المسلم والعالم الحداثي»، طرح نو للنشر، ص ٢١٣.

المبادئ والنظريات الدينية والسخرية منها.[١]

إن ما يصرح به تنظيم الماسونيين، تحت راية محافل بما فيها «غراند أوريان» حـــول الدين والتدين، لا ينحصر على أعضاء هذه المحافل ولا يقتصر عليها، بل كما أســـلفنا، فان تطورا هائلا قد وقع في عالم الغرب وأدى إلى ظهور توجه عام تمثـــل في التنكر للدين. وفي هذا الخضم، كانت جماعة البنائين الأحرار، حاملة راية هذا التيار الشامل، بعبارة أخرى، إنهم كانوا رمز خارج التاريخ الغربي الجديد. ومن هذا المنطلق، قدمت الماســـونية في ظل التوجه الانســـانوي على أنها الروح المستولية على الثقافة والحضارة المعاصرتين.

ويأتي عبد الله عنان خلال إماطة اللثام عن محافل البنائين الأحرار، على ذكر القوى الخفية والمستترة التي تتبنى المشروع الاستراتيجي للمحافل الحرة، ويقول:

والخلاصة أن غراند أوريان وحســـبما يقـــول أعداء البنائين الأحرار، هى هيئة مخربة وغايتها طمس جميع المبادئ الدينية والأخلاقية، إلا أن بعض الباحثين لا ينســـبون هذه الرغبة والدافع الثورى والمدمر إلى البناء الحر ذاته، بل ينسبونه إلى قوى خفية تعمل من وراء الستار، لذلك، فان غراند أوريان هى ســـتار ليس إلا، وراية يقف الأعضاء تحتها ويعملون من اجل نيل مقاصـــد لا يعرفون هم ما هى بالضبط؟ بل أن معظم البنائين الأحرار فى المراتب والدرجات العليا، يجهلون مقاصد الموجهين المستترين، كما يجهلون تلك الســـلطة التى تدير عجلتهم وتعمل مـــن خلف الكواليس. ويذهب الباحثون إلى أن هنـــاك ثلاثة أنواع من البنائين الاحرار الكبار، صنفوا فى ثلاث مراتب هى:

الاولـــى، البنـــاء الأزرق، الذى لا يكشـــف شـــيئا عن الأســـرار الحقيقية للأعضاء، بل هـــو منصب لإصطفاء الأخوة المخلصيـــن، والثانية المراتب العليا، التى لا يطلعون هناك إلا على شـــئ طفيف من الأســـرار الحقيقة،

١. **عنان، محمّد عبدالله**، «تاريخ الجمعيات السرية والحركات الهدامة»، ص ١٢٢.

بيـد أنهم يظنون بانهم واقفون على جميع أسـرار الهيئة الخفية، والثالثة الهيئة الداخلية التى هى مرتبة الأسـاتذة الحقيقيين، وهذه هى الهيئة التى يختفى أعضاؤها خلف ستار أعلى وأن الدرجات والمراتب هى بتصرفهم دائما، وهذه الهيئة الداخلية تكتسـب مـع البناء الحر الخفى، صبغة دولية إلى حد كبير.

ومن هى هذه القوى الخفية التى تقود البناء الحر، وتختفى هى عن الأنظار وما هى؟

ويـرد البعض على هذا السـؤال من أن القـوى اليهودية وموجهى غراند أوريـان، معظمهم من اليهود. ومن ثم يقولون أنه لا يشـكون أن أهداف البناء هى أهداف ثورية ولا يترددون بان الأغراض المذكورة، موحدة مع مقاصد الإشتراكيين الدوليين وهى المقاصد والأغراض ذاتها.[١]

١. **عنان، محمّد عبدالله**، «تاريخ الجمعيات السرية والحركات الهدامة»، ص ١٢٣.

٣. مذهب الإصلاح

وهو مصطلح سياســي فرنســي وأخذ من مفردة الإصلاح (**ريفرم**)[1] ويعني الترميم والإصلاحات. إن الإصلاحيين تابعون لفئة أو حزب سياسي يدعو إلى الإصلاحات من دون ثورة ومن دون تغيير المنظومات الفكرية والثقافية للمجتمع.

إن مذهب الاصلاح هو من خصائص الأشــخاص والمجموعات التي تسعى للإبقاء على موقعها ومصداقيتها أو طبقتها فحسب، وتعتبر أي تغير جوهري بمنزلة نسف جميع مكتسباتها.

إن الماســونيين الذين يعتبرون فصيلا مكونا من الرأســماليين ورجال الأعمال والمثقفين، لا ينادون بتغيير جوهري واستئصال النظام إطلاقا وإن كان مقررا تنفيذ إصلاحــات على أرض الواقــع، فانهم يدعون إلى إصلاحــات تعمل على حفظ مصالحهم وأطماعهم. وبذلك، فان مذهــب الإصلاح أو الإيمان بالإصلاحات خطوة فخطوة، يعتبر الأسلوب المعقول والواقعي والعلمي، ويقف دائما على طرف نقيض من الراديكالية التي تقول بالإصلاحات الجذرية.

---

1. Reform.

۴. التساهل والتسامح

وقد اعتبرت مفردة التساهل بمعنى اللين والسهولة مترادفا لمفردة التسامح. بيد أن التسامح، أشتقت من مادة **السمح** بمعنى الجواد والسخي، لذلك فان التسامح تعني المجاراة والتماشي المتلازم مع السخاء والكرم.

وتقابل هذه المفردة في الإنجليزية كلمة Tolerance ووردت في «معجم أكسفورد» بمعنى السماح لحدوث أو استمرار شئ لا يستسيغه المرء ولا يتفق معه.[1] واصطلاحا، ورد التساهل والتسامح بمعنى عدم التدخل والمنع أو السماح من قصد ووعي، للأعمال والمعتقدات التي لا يوافق عليها المرء.

إن التساهل والتسامح هما من المواصفات المهمة للفكر الماسوني. وبناء على هذه الرؤية، فان الانسان يجب أن يكون متساهلا ومتسامحا في معتقداته وأن يتجنب التعصب والتعنت. لذلك فان التساهل والتسامح يأتيان في مقابل التعصب الذي يعني الإلتزام بالجذور العقائدية.

ويمكن القول أن التساهل والتسامح، هما في الحقيقة ضرب من الليبرالية الأخلاقية.[2]

1. Oxford Advanced Learnere Dictionary (1998-1999), p. 1258

٢. «الحركة الفكرية الحديثة في ايران والعالم»، ص ١٢٩.

٥. المواطنة العالمية

وهذا المصطلح مركب من مفردة كوسموس وتعني العالم وبوليتيك وتعني السياسة والحكم.

إن المواطنة العالمية تقول بأن أي دولة وشعب لا يجب أن يهتما بمصالحهما، بل يجب أن يفكرا دائما بالعالم والبشرية جمعاء، لان العالم يجب أن يدار تحت سياسة واحدة وحكم واحد.

والنقطة المهمة هي أن الانسـان لا يتحول في ضوء هذا الإعتقاد إلى مواطن العالـم، بل يصبح من دون وطن! لان الحكم الكوني الموحد لا يمكن من وجهة النظر الماسونية أن يبقى متخلفا وفاقدا للعلم والمعرفة والتقنية، لذلك فمن الطبيعي أن تمسك أكثر الحكومات تقدمية، بزمام أمور العالم، لتجر معها باقي العالم غير الانسانوي والمتخلف والرجعي.

٦. التوحيد الطبيعي

إن الربوبيـــة تعني الإيمان بـــالله بغير الإعتقاد بالأنبياء والكتب الســـماوية المنزلة والمعاد.

ويقول **ميرجيا اليادة** في «موسوعة الدين»:

إن الربوبية بمعناها الأصلى، تعنى الإيمان بالله الواحد وهى ممارسة دينية قائمة على العقل الطبيعى فحسب (لا الوحى فوق الطبيعى).

ولذلك بيّن **فيفرت**[1] خصائص الربوبة هكذا:

إولئک الذين يؤمنون بالله بوصفه خالق السماء والأرض، لكنهم يرفضون المسيح وتعاليمه.

وتعتبر مقدمة **جون دريدن**[2] التي كتبها لشـــعره، الربوبية بانها نظرية أولئك الذين يؤمنون بالله من دون القبول بأي دين وحياني.[3]

ويقول **إيان بوربور**:

إن الربوبية Deism تعنى الإيمان بان عقل الانســـان قادر من دون اللجوء إو الإســـتناد إلى الإســـتلهام والوحى والإلتزام بالدين، التيقن بوجود الله

---

1. Vivert.
2. John Dryden.
٣. **كريمي، مرتضى**، «التعرف على مدرسة الربوبية»، معهد بحوث العلوم الانسانية والدراسات الثقافية: www.ensani.ir.

والإقــرار به. ووجد هــذا القول، أنصــارا كثر فى عصــر التنوير (القرن الثامن عشر). وكان ماضى هذه الرؤية موجود فى أعمال أنصار المذهب الانسانى لعصر النهضة وحتى قبله.[1]

إن هذا الإعتقاد الصوري الماسوني جاء للنيل من المتدينين السذج الذين كانوا قد بقوا في أوروبا.

إن النظام التأسيســي للماســونية فرع بريطانيا، يعتبر اليوم حفظ هكذا ديكور ربوبي، شرطا ضروريا للعضوية، بينما لا تعتبره الماسونية فرع فرنسا، ضروريا.[2]

١. **باربور، ايان**، «العلم والدين»، ترجمة بهاءالدّين خرّمشــاهي، طهران، مركز النشــر الجامعي، ١٣٦٢هـ .ش.، ص ٢٥

٢. «الحركة الفكرية الحديثة في ايران والعالم»، ص ١٣٠.

٧. النزعة اليهودية

والقصد من النزعة اليهودية، إمتداح أســس الثقافة اليهودية وترويج النزعة اليهودية واتباعها. وفي ظل الرجوع إلى التاريخ والأســس الأولية للمحافل السرية، نجد أن ثمــة ترابطا وثيقا بين هذه المحافل وأشــرار بني اســرائيل، في مختلف العصور. ومنذ السنين الأولى لتنقيب فرسان الهيكل في أنقاض الهيكل والإستئناس بالعلوم الخفية، والسحر والقبالة وما بعدها، أبرمت سائر المحافل عقد أخوة وارتباط دائم مع اليهود.

وبعــد حركة الاصلاح الديني، أصبحت المســيحية البروتســتانتية في خدمة اليهود لتطبيق الأهداف المسيحائية لبني اسرائيل على أرض الواقع. ولذلك، يجب إعتبار النزعة اليهودية والسير على خطى الثقافة اليهودية، جزء لا يتجزأ من الحياة الثقافية للمحافل الخفية والماسونية.

إن تشــرد الماســونيين، هي صفة اليهود الذين ينتشرون في كل مكان بسبب التشــرد وعدم امتلاك وطن، لكنهم لا يعتبرون أنفسهم ينتمون إلى أي مكان. إن نفوذ اليهود في الماسونية بلغ حدا ليس أصبحت نجمة داود واحدة من العلامات الرسمية للماسونية فحسب بل أن تواريخ الماسونية هي تواريخ توراتية أيضا.[١]

---

١. «الحركة الفكرية الحديثة في ايران والعالم»، طهران، إصدارات هلال.

٨. الصهيونية

إن «صهيون»[1] هو إسم تلة في «أورشليم» يقال أنها وقعت بيد النبي **داود**عليه السلام في القرن العاشر قبل الميلاد وأصبحت لاحقا لقب أورشليم ولقب أرض اسرائيل كلها[2] وأعتبرت الصهيونية حركة تدعو إلى عودة اليهود إلى أرض «فلسطين» وإعادة تأسيس دولة خاصة بـ«بني اسرائيل».

وفى أواخر القرن التاسع عشر، طردت مجموعة كبيرة من يهود روسية. وسكن عدد منهم فى غرب أوروبا بينما توجهت مجموعة منهم إلى فلسطين وأقامت فى موقع بالقرب من «البحر الأبيض المتوسط» وأطلقت عليه إسم صهيون.[3]

ويقول عبدالوهاب المسيرى فى معرض تعريف الصهيونية بالدين:

إن مفردة صهيون تطلق فى التراث الدينى اليهودى على جبل «صهيون» و «بيت المقدس» وبشكل أعم الأرض المقدسة. إن اليهود يعتبرون أنفسهم أبناء صهيون. كما أن هذه المفردة تستخدم للإشارة إلى اليهود بوصفهم مجموعة دينية. إن العودة إلى صهيون، تعد فكرة محورية فى المخطوطات الدينية اليهودية، لان أنصار هذه المدرسة يؤمنون أن الماشيح المخلص [النبى عيسىعليه السلام**، مخلص اليهود] سيظهر فى آخر**

1. Zion

٢. «مفردات الثقافة اليهودية»، ص ١٧٨.

٣. **توفيقي، حسين**، «التعرف على الديانات الكبرى»، المصدر السابق، ص ١٠٨.

الأيام ليقود شعبه نحو أرض صهيون وينشر العدل والإستقرار من خلال حكم العالم.[١]

والصهيونية كمصلطح:

وتطلق على رؤية يهودية محددة ظهرت فى أوروبا. ووفقا لهذه الرؤية، فان اليهود ليسوا جزء عضويا من هيكل الحضارة الغربية لتكون لهم حقوق وواجبات مثل سائر المواطنين، بل ينظر إليهم على أنهم شعب مختار ومجموعة مقدسة، وطنهم المقدس فى «فلسطين» ويجب أن يهاجروا إلى هناك. إن هذا التيار الداعى لتوطين اليهود فى فلسطين، استمر حتى مع إنحسار الإحتقان الدينى الذى ترافق مع الحركة الإصلاحية الدينية.[٢]

وعلى الرغم من تصور الكثير من الناس في أرجاء الأرض، فان «الصهيونية» ليست تيارا سياسيا واجتماعيا نابعا من الميول السياسية لفريق من اليهود المقيمين في الغرب، بل أن هذا التوجه السياسي الجديد، قائم ومبني على توجه ديني محدد ويجب البحث عن أسسه النظرية في القرن السادس عشر للميلاد، عصر حركة الإصلاح الديني.

إن تاريخ الصهيونية السياسية يعود إلى أواخر القرن التاسع عشر. جدير ذكره أن عامة الباحثين في مجال «الصهيونية» يرجعون تشكل هذه النطفة السوداء إلى الأعوام الأخيرة وأول إجراءات أشخاص بمن فيهم هرتزل، ويعتبرون ذلك مصدرا وأساسا لنشأة الصهيونية، بينما يمكن تسليط الضوء على هذه الواقعة ضمن سلسلة طويلة ومنعطفات أهم شهدها القرنين الخامس عشر والسادس عشر.

إن حصيلة الدراسات الثقافية حول نشأة «الصهيونية» تشير إلى أن التطورات الثقافية الغربية أسهمت في تشكيل نضهة الإصلاح الديني في القرن السادس عشر ونشأة الصهيونية غير اليهودية وأدت إلى أن تتحول فكرة عودة المسيح

---

١. **المسيري، عبدالوهّاب**، «موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية»، ترجمة **لواء رودباري**، مكتب الدراسات السياسية والدولية، الطبعة الأولى، ١٣٧٤هـ .ش.، صص ٧-٨.

٢. المصدر السابق، ص ٩.

عن طريق مذهبي «البروتستانتية» وما بعد «البيوريتانية» الجديدين والناشئين إلى قضية بذل أنصارها جل سعيهم لإرسال الشعب المختار (بني اسرائيل) إلى «فلسطين»، على أمل أن تمهد هذه الواقعة لسلسلة أحداث تساعد على عودة السيد **المسيح**عليه السلام من جهة، كما أن التطورات السياسية الأوروبية ما بعد فتح «اسبانيا» وتأسيس الحكومات الوطنية وإطلاق يد اليهود في جميع المناسبات والتعاملات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية لسكان الغرب المسيحي ساهمت في اندلا ع موجة من الكراهية لليهود ودفعت العديد من قادة الدول الأوروبية إلى التفكير بترحيل اليهود وتوطينهم في بلاد اخرى للتخلص منهم، من جهة أخرى.

ويقول مؤلف كتاب «اليهود والصهيونية» حول الوجه الأول الذي أسفر عن نشأة وتشكيل «الصهيونية المسيحية»:

إن هذه الفكرة كانت تركز على أنه بالرغم من أن اليهود هم شعب عديم الرحمة والشفقة ويجحدون عيسى المسيحعليه السلام**، لكن وجودهم وبقائهم أمر لا يمكن تجنبه، ويجب العمل كواجب شرعى لتوطينهم فى بلد مستقل، كخطوة تمهد للظهور المجدد لعيسى المسيح**عليه السلام.

وكانت هذه الفكرة تبين للمسيحيين، الأسس النظرية والعقائدية لتوطين اليهود فى أرض «فلسطين» وتشكيل دولة يهودية.[1]

جدير ذكره أن «المسيحيين الصهاينة» كانوا يعتبرون عودة اليهود إلى فلسطين وتأسيس الدولة اليهودية الشاملة، وإعادة بناء «هيكل سليمان» وبالتالي واقعة هرمجدون، حاجة ملحة وشرطا ضروريا للعودة الثانية للمسيح**عليه السلام**.

ويقول **حييم وايزمن**، زعيم الحركة الصهيونية في النصف الاول من القرن الماضي في كتابه «التجربة والخطأ»:

لقد دعمت بريطانيا، الحركة الصهيونية منذ تأسيسها وتبنت تحقيق أهدافها وأعلنت موافقتها على تسليم فلسطين الخاوية من سكانها

---

١. **كريميان، أحمد**، «اليهود والصهيونية»، ص ٣٠٠.

المحليين، لليهود للعام ١٩٣٣.

إن الشعب البريطانى، لاسيما البريطانيين الأصوليين، يقعون أكثر من كل الشعوب الاخرى تحت أثر «التوراة». إن تقيد البريطانيين بمبادئ الديانة، هو الشئ ذاته الذى يحقق تطلعاتنا على أرض الواقع، لان البريطانى المتدين يؤمن بما ورد فى التوراة حول عودة اليهود إلى فلسطين، وقدمت الكنيسة البروتسانتية البريطانية أكبر المساعدات والدعم فى هذا المجال.[١]

وكان للحركة الصهيونيةالمسيحية، أنصار آخرين من بين الشخصيات السياسية البريطانية فى القرن التاسع عشر.

ومن هؤلاء «تشارلز هنرى تشرتشيل» (الجد الأعلى ل ونستون تشرتشل، رئيس وزراء بريطانيا الأسبق) الذى أعلن خلال رسالة وجهها عام ١٨٤١ للميلاد إلى رئيس الجمعية اليهودية فى لندن: إن عودة الشعب اليهودى إلى فلسطين تصبح أمرا لا يمكن تجنبه فى ضوء إتحاد وتكاتف عاملين، الأول، أن يحمل يهود العالم، مسألة العودة، على محمل الجد ويعملون لتطبيقها على أرض الواقع، والثانى، أن تهتم الدول الأوروبية بتحقيق ذلك.[٢]

١. **كريميان، أحمد**، «اليهود والصهيونية»، ص ٣٠٢؛ نقلا عن **يوسف العادي الطويل**، «الصّليبيون الجدد»، ص ٦٠.
٢. المصدر السابق، «اليهود والصهيونية»، ص ٣٠٤.

الماسونية وتعاليم الكابالا

وكما أشرنا في الأقسام السابقة، فقد انتقلت «الكابالا» من «مصر القديمة» إلى «بني اسرائيل» وأدت إلى تلوث ديانة بني اسرائيل وانحرافها عن مسارها الحقيقي تدريجيا.

وانتقلت تعاليم الكابالا إلى أوروبا مع انتقال فرسان الهيكل (وعقب بحوثهم في الهيكل) وأثرت على الإنطباعات النظرية للاوروبيين. وبما ان تعاليم الكابالا تعتبر الإنسان غير مخلوق وأبدي، فان العديد من المصادر ترى أن «الكابالا» تشكل أساسا لنشأة المذهب الانساني.

ويقول ملاكاي مارتين،[1] مؤلف كتاب «مرشد هذا العرق» والذى هو استاذ مادة التاريخ فى «مؤسسة دراسات الكتاب المقدس» التابعة لجامعة الفاتيكان الاسقفية، حول أثر ونفوذ الكابالا بين الإنسانويين:

وقد تأسست فى المناخ غير العادى والغامض لمطلع عصر النهضة فى ايطاليا، شبكة من الجمعيات الإنسانوية للتهرب من المراقبة العامة للنظام الحاكم. إن هذه الجمعيات التى كانت تتابع هكذا أهداف، إضطرت للعمل خفية، وكان ذلك ضروريا، فى مستهل العمل، على الأقل، لكن المجموعات الإنسانوية كانت تتميز بمواصفتين أخريين غير التخفى

1. Malachi Martin.

والعمل السرى، الأولى، أنها كانت تعاكس التفاسير القائمة عن الكتاب المقدس والتى كانت تدعمها الكنيسة وأولياء الأمور، والثانية، كانت تعارض أسس الكنيسة فى مجال الفلسفة والتوحيد والتى كانت أخذت بنظر الإعتبار للناس والشؤون السياسية...

ولم يكن الامر مثيرا للإستغراب أن تتابع هذه الجمعيات فى ضوء هكذا عناد مع الرسالة الرئيسية للكتاب المقدس والوحى الإلهى، مفاهيمها الخاصة بها. إن ما كان يسميه هؤلاء، العلم السرى بالكامل والعرفان، إستقوه إلى حد ما من الأعراق الطائفية والرمزية فى «شمال افريقيا» و «مصر» وإلى حد ما من الكابالا التقليدية لليهود. وقام الإنسانويون الإيطاليون بتكرير الكابالا. فقد أحيوا مفاهيم الرموز الروحانية والعرفانية وهبطوا بها إلى مستوى دنيوى تماما. إن العرفان الخاص الذى كانوا يبحثون عنه، كان علما سريا يستخدم للسيطرة على القوى الطبيعية الخفية، بغية نيل الأهداف الإجتماعية والسياسية.[١]

إن الجمعيات الإنسانوية التي كانت تسعى لإيجاد بديل للثقافة الكاثوليكية الأوروبية، وتمهد عن طريق ذلك، السبيل لإدخال تعديلات اجتماعية وسياسية، لجأت إلى التعالم الكابالائية المتبقية.

ويقول البروفيسور مارتين:

وكان مؤسسو الجمعيات الإنسانوية الجديدة، أنصار القوى الكبرى – مهندس الكون الأعظم – الذى كانوا يسمونه يهوه المقدس... وقد اقتبسوا [الإنسانويون] العلائم الأخرى – الهرم والعين – من المصادر المصرية أصلا.[٢]

والملفت أنهم كانوا يستخدمون مفهوم مهندس الكون الأعظم، المصطلح

---

١. **يحيي، هارون**، «فرسان الهيكل»، صص ٦٧–٦٨.

٢. المصدر السابق، صص ٦٩–٧٠؛ نقلا عن:
Malachi Martin, «The keys of this Blood,» pp.520-522.

الذى مازال الماسونيون يستخدمونه لهذا اليوم. وهذا الأمر يظهر أنه يجب أن يكون هناك تواصل بين أنصار المذهب الانسانى والماسونية.

ويقول البروفسور مارتين:

وبالمناسبة، فقد حصل تحالف مهم فى المناطق الشمالية مع الإنسانويين لم يكن يتصوره أحد. وفى عقد ال١٣٠٠ للميلاد، حيث كانت الجمعيات الإنسانوية ترسم توجها لها، كانت ثمة جمعيات قرون وسطائية متبقية من قبل، فى بلدان بما فيها بريطانيا واسكتلندا وفرنسا. ولم يكن أحد يتوقع فى عقد ال١٣٠٠ للميلاد، إن يحصل إتحاد بين أفكار جماعة الماسونيين والإنسانويين الإيطاليين...

وقد خرجت الماسونية الحديثة من تبعية مسيحية روما، وبدا مرة أخرى ضروريا الرغبة فى إتباع السرية بسبب الظروف والأوضاع.[١]

إن الماسونية وإستنادا إلى تعاليم الكابالا، والإنطباع الخاص الذي كانت تبديه تجاه خالق الكون والوجود، أوجدت توجها إنسانويا تجاه العالم. وكان إنطباعهم عن خالق الكون والله المتعال، يختلف أصلا عما كانت تتحدث عنه الديانات التوحيدية.

وقد أحلت الماسونية، بمكر وحيلة، مصطلح مهندس الكون الأعظم، محل الله البارئ الحكيم والعالم للكون. وثمة كتاب لمؤلفه أحد كبار الماسونيين الأتراك ويدعى سلام ايشيندغ بعنوان «إستلهامات من الماسونية» وقد وضع الكتاب لتدريب وتعليم الماسونيين الشبان. ويقول بشأن إعتقاد الماسونيين بمهندس الكون الأعظم:

«إن الماسونية لا تنكر الله، لكن المفهوم الذى تقبلته بشأن الله، يختلف عما هو سائد فى الأديان. إن إله الماسونية، هو كمال أعلى ويصل إلى قمة الكمال. إننا قادرون من خلال تأنيب باطننا واعتماد الذكاء والتقوى،

١. المصدر السابق، صص ٦٩-٧٠.

تقليص الهوة بيننا. إن هذا الإله، لا يتمتع بالخصال الطيبة والسيئة للإنس، ولا تضفى عليه الشخصية، ولا يعد مرشدا للطبيعة أو الانسان. إنه، مهندس الكون الأعظم. إنه مجمل مخلوقات العالم، أى القدرة الكلية والطاقة التى تحيط بكل شئ. ومع ذلك، لا يمكن قبول أنه كان نقطة البداية... إن هذا الموضوع يمثل لغزا كبيرا.

ومع إمعان النظر فى ذلك الكتاب، يتضح أنه عندما يتحدث الماسونيون عن مهندس الكون الأعظم، فانهم يقصدون، الطبيعة. إنهم يعبدون الطبيعة: «إن أى سلطة، سوى الطبيعة، ليست مصدر أفكارنا ونشاطاتنا...» إن أسس ومعتقدات الماسونية، هى حقائق علمية، مبنية على الدعائم والأسس العلمية وأن سلطة الطبيعة هى جزء منها. لذلك، فان الحقيقة التامة، هى التكامل ذاته والطاقة التى تحيط بالطبيعة».[١]

إن طرد اليهود من «اسبانيا» و«البرتغال» عامي ١٤٩٢ و ١٤٩٧ للميلاد، أدى إلى هجرة الكابالائيين وتعاليم الكابالا من هذه المناطق إلى شمال افريقيا وايطاليا ولوزان وتوسيع الكابالا فيها. ومذاك، تحولت الكابالا إلى أحد أكثر التعاليم المعنوية أثرا في حياة اليهود بالقرن السادس عشر.

وقام معلم إيطالى من أنصار المذهب الانسانى فى القرن السادس عشر ويدعى بيكو دلا ميراندولا،[٢] **بترجمة نصوص القبالة [الكابالا] إلى اللاتينية. وتحولت ترجمته إلى أهم مصدر إستخدمه لوضع رسالة أعتبرت أول نص كابالائى مستحدث على يد مسيحى...**

إن يوهان روشلين[٣] **الذى تعلم حكمة القبالة بطريقة وأسلوب بيكو، قدم فى كتابه بعنوان «حكمة الكابالا»**[٤] **إلى شعوب أوروبا أولى التفاسير**

١. **يحيي، هارون**، «فرسان الهيكل»، صص ٧١-٧٢.

2. .Pico della Mirandola.

3. Johannes Reuchlin.

4. De arte Cabbalistica.

المسيحية المكتوبة.

وفـى مطلـع القرن الخامس عشـر، قـام عرفاء بمـن فيهـم فيتربو[1] و فرانسيسكو جيورجيو[2] بتطوير الرؤى المسيحية والفلسفية الكابالائية فى رسـائلهم المعتمدة. وقد بلغ التأويل السـحرى للقبالة فى كتاب فلسـفة العلـوم الغريبة[3] تأليف هنرى كورنليوس اغريپانتشـايم،[4] ذروة تطوره. كما وصلـت أفكار القبالة عن طريق تأليفات هـؤلاء الكتاب الايطاليين والألمـان وكذلـک أعمال هنـرى دورر[5] إلى الأدب والفـن البريطانى والفرنسى فى النصف الثانى من القرن السادس عشر.

وفى القرن السـابع عشر، حظى كتاب «**Cabala denudata**» الذى كان من تراجم النصوص الكابالائية الشـهيرة، بدراسة واسعة النطاق من لدن التنويريين الأوروبيين، وأصبح لفترة طويلة مع كتاب **Aris Cabalistica** تأليف جان بيسـتوريوس،[6] بمنزلة المصدر الرئيسى لأثر النزعة الباطنية اليهودية على الفكر الأوروبى. وقد أدرک فلاسفة الأفلاطونية المحدثة، فيمن فيهم لايبنيتس و كمبريتش فى القرن السابع عشر وكتاب ومؤلفون بمن فيهم لسـينغ وامانويل سودنبرغ،[7] ووليام بليک،[8] فى القرن نفسه، الأفكار الكابالائية. وازدهرت المجموعـات الباطنية كما تأثرت أوروبا الوسطى بالفكر القبالى الشاباتائى فى القرن الثامن عشر.

وقد برزت هيمنة الفكر الكابالائى الزهرى لاسيما فى أعمال عارف القرن

1. Egidio de Viterbo.
2. Francesco Giorgio.
3. De Oculta Phillosophia.
4. Henri cornellius Agrippansteim.
5. Durer.
6. John Pistorius.
7. Emanuel Swedenborg.
8. Jaeques Derrida.

التاسع عشر اتش.بى.بلاوفتسكى.[١] وفى القرن العشرين،[٢] يمكن تعقب موطئ قدم الحكمة الكابالائية فى أدب الخيال وأشعار فرانتس كافكا ويوان غول،[٣] وخوخه لوييس بورخس وفلسفة النقد الثقافى ل والتر بنيامين والأدب النقدى ل هارولد بلوم[٤] وجاک دريدا.[٥]

ويعتبر **محمّد عبد الله عنان**، القبالة بانها «مصدر» التقاليد السرية لليهود ويذهب إلى أن جميع مواصفات هذه التقاليد، قد التأمت في القبالة، ويقول:

إن القبالة هى مفردة عبرية، وما يستشف من معناها هو أن عادات وتقاليد القبالة، هى خليط من الفلسفة وتعالم الوحى وخدع السحر التى كانت مألوفة وسائدة بين اليهود منذ العصور القديمة، وقد ظهر أثر تعاليم القبالة فى المجتمعات الأوروبية خاصة فى القرن الثامن عشر...

وكان مروجو القبالة، يولون أهمية بالغة للسحر والخداع والأسرار والطلاسم ورموز الأعداد، وقد وردت تعاليم القبالة وأسرارها ورموزها فى وثيقة عبرية. وإحدى هاتين الوثيقتين هى «سفر الجزر» أو «كتاب الخلق» وهو عبارة عن مجموعة الأحاديث والخطب التى نقلت عن ابراهيم عليه السلام والاخرى هى «سفر هازوهار» أو «كتاب النور» المعروف عادة بـ«زوهار».[٦]

وكانت أساطير الكابالا وتعاليمها ورموزها، مصدر معظم الجمعيات السرية الغربية بدء من فرسان الهيكل وصولا إلى البنائين الأحرار (الماسونيين) ممن استخدموا تلك المصادر لوضع نظامهم ورموز عملهم واصبحت فى الغالب مصدر استلهام الكثير من الفرق المتمردة والهدامة

---

1. H.P. Blavatsky.

٢. **كاوياني، شيوا**، «ديانة القبالة»، طهران، فراروان للنشر، الطبعة الثانية، ١٣٨٤هـ .ش.

3. Yvan Goll.

4. Harold Bloom.

5. Jaeques Derride.

٦. **عنان، محمّد عبدالله**، «تاريخ الجمعيات السرية والحركات الهدامة».

بمـا فيها «أخوة الشـيطان» و «أصحـاب القداس الأسـود» و مجموعة «السحرة».

وبنـاء على اختلاف الفرق والفئات ومقاصدها، فان جمعيات أخرى كانت تعمـل فى الخفاء وأتينا على ذكرها سـلفا، اسـتلهمت جميعها من ذلك المصدر.[۱]

وحسب «موسوعة اليهود»:

وقـد اعتقدت المحافل الثقافية لعصر النهضة بعمق أنها حصلت من خلال رسـائل الكابالا على المصـادر الأصيلة والبكر لأسـرار الكون القديمة، رسائل مفقودة ظهرت الان ويمكن بواسطتها الوصول إلى أسرار كتابات أفلاطون وسـائر المفكرين اليونان القدامى فضلا عن التعرف على أسرار المسيحية.[۲]

إن الأدبيات والتقاليد والعلامات والرموز الرائجة بين المحافل الماسونية، مؤشر على التأثر العميق للطرق الماسونية بالقبالة اليهودية.

وقد ألقى كاوى كرامب الماسونى من الدرجة الثلاثين، بظلال من الشك على الفرضية التى روج لها روبرت فرک غولة، المؤرخ الماسونى الشهير والتى تشـير إلى أن الماسونية انبثقت من باطن صنوف (غيلدات) بنائى العصور الوسـطى فى أوروبا، وتطرق فى مقال مسـهب إلى الترابط بين الماسونية ومدرسة الكابالا.[۳]

وثمة ماسـونى أخر يدعى ويت[۴] يقول: بتقديرى، أنه أمر محتوم وقطعى أن عناصر من القبالة قد تسربت إلى جمعياتنا السرية.[۵]

---

۱. المصدر السابق، صص ۳۵۷-۳۵۸.

۲. **شهبازي، عبدالله**، «حكومة أثرياء اليهود والفرس»، المصدر السابق، ج ۲، ص ۲۹۷؛ نقلا عن:
Judaica, Vol.10, p.643.

۳. **شهبازي، عبدالله**، «حكومة أثرياء اليهود والفرس»، ص ۳۵۷؛ نقلا عن:
w.w.covey-crump. «The craft and the kabalah», Albert F.calvert
4. w.F.Waite.

۵. **شهبازي، عبدالله**، «حكومة أثرياء اليهود والفرس»، صص ۳۵۷-۳۵۸.

ويمكن بذلك استنتاج أن المحافل الماسونية تأثرت بشدة بالتعاليم اليهودية للقبالة، بل أن اليهود يعدون من مؤسسي ومصممي الهيكل النظري والتطبيقي لها.

إن حقد ابليس الدفين تجاه الله المتعال، وحسده للإنسان واهتمامه لتضليل أبناء آدم عن طريق تدنيس جسمهم وروحهم بالأصناف المختلفة للشرك والكفر، انتقل على الفور إلى أشرار اليهود الذين وضعوا بوصفهم أداة عمل ابليس وممثليه مطلق الصلاحية، على جدول أعمالهم تدمير وتهديم جميع الدعائم العقائدية الدينية وعرضوا عن طريق المحافل الخفية، التعاليم المشركة في إطار أنواع الفلسفة والفن والأدب وبالتالي الإيديولوجيات السياسية والاجتماعية. وبذلك مهدوا لإعراض جميع الشعوب عن الأديان التوحيدية، وجعلوا الناس من خلال تلويثهم بالنجاسات الفيزيقية والميتافيزيقية يقعون في فخ ابليس.

إن ما يميز التاريخ الغربي الجديد (خلال الأربعمائة العام الاخيرة) عن سائر القرون، هو ظهور وبروز الأنماط المختلفة للوثنية والشرك ضمن الأطر العلمية والثقافية الحديثة. وفي أي عصر، لم تكن المدارس والإيديولوجيات السياسية والاجتماعية والاقتصادية والأدبية والفنية، ملوثة ومدنسة بقدر عصرنا الحاضر بالتعاليم والأسس النظرية المشركة والشيطانية على امتداد الكرة الأرضية.

إن هيمنة الثقافة والحضارة الغربية على عامة التقاليد وتهميش عامة الثقافات والحضارات غير الغربية، أدى إلى أن ينتشر الشرك والإلحاد الغربيين على نطاق واسع ويتسرب إلى أقاصي العالم.

وكانت المحافل الماسونية، أهم ركن لتطوير وبسط هذا التيار غير الرحماني بين الشعوب.

إن اهتمام المحافل الماسونية بانتقاء أكثر الاشخاص سلطة وتأثيرا في المجالات السياسية والاقتصادية والثقافية والحضارية، يتجلى باشد صوره، بحيث أن عامة سكان الأرض في القارات الخمس، مصابون اليوم بالمجالات الثقافية والحضارية الغربية المتساوية وفي الوقت ذاته الماسونية.

الوجهة النهائية للماسونية

وبعد الدراسة المقتضبة للمسألة النظرية والعقائدية للماسونية الكونية وتبيان موقعها الإلحادي والمادي، فان شـرح وفك شـيفرة الأهداف المرحليـة والنهائية لهذه المحافل، يوضح موقفنا أثناء دراستها ومواجهتها في الميادين النظرية والتطبيقية.

إن الترابط بين الماسـونية وأوليغارشـية أثرياء اليهود، يعقبه بالضرورة الإشتراك فـي الأهداف والغايات، وكما ذكرنا في مسـار التطور التاريخـي والثقافي لقبيلة اللعنة، فانه يمكن الإتيان على ذكر تشييد هيكل **سليمان**عليه السلام المزعوم وصولا إلى إرساء عالم أحادي الحكم ومركزه «بيت المقدس» بوصفه الوجهة النهائية لجميع المحاولات المطنبة لهذا التيار الشيطاني المخيف.

إن هذا الهيكل لا يعد بالنسـبة للطبقة الأرسـتقراطية ونبلاء المحافل الخفية والمنغمسـة في العلوم الغريبة وتعاليم الكابالا، وسـيلة لتشفى بها غليلها وتختبر السـيادة على الأرض تحت حكومة ذات أبعاد كونية، بل تميط اللثام عن انتقام ابليس وجنوده من الإنسـان الناجح والديانات الالهية، وهو الذي اسـتغل أبنائه بالتبني (الماسونية وسائر المحافل الخفية) لقبيلة اللعنة لنيل هذا الحلم القديم.

وبينمـا ينظر أتبـاع الديانات الابراهيمية (المسـلمون والمسـيحيون) وأفراد من الأتباع الصادقين للديانة الموسـوية لاسـيما الفلسـطينيون إلى بيت المقدس بنظرة عاطفية مصحوبة بالمشـاعر الدينية، ويقاسـون من انعدام الأمن والتشـرد

والفقر بسبب الألعاب السياسية والعنف العسكري للتحالف القائم بين الصليب وصهيون، فان قادة هذا التحالف الدامي يمضون قدما لتحقيق الأهداف النهائية لأشرار اليهود من خلال استخدام جميع الأدوات الشرعية وغير الشرعية.

جدير ذكره أن الماسونية الكونية قائمة في الأساس على الإيديولوجية اليهودية وتنظر إلى العالم من منظار توراتي محرف، واقتبست رموزها وعلاماتها من بين هذه المصادر وأخفت أهدافها النهائية والشيطانية خلفها.

بحيث أنهم يصادرون هذه الآية الواردة في «سفر إشعياء» لصالح إعادة بناء الهيكل المزعوم فوق «جبل صهيون»:

ويحدث فى الأيام الأخيرة أن يصبح «جبل هيكل» الله أشهر من جميع الجبال وأعلى من جميع التلال. وهنا تتجه جميع الأمم نحوه وتقول الكثير من الأمم:

«تعالوا نذهب إلى جبل الله، بيت آل يعقوب، إنه يعلمنا دربه وطريقه، ونسلك الطريق فى سبيله، لان الديانة والشريعة تنبعان من صهيون ويقرأ من أورشليم كلام الله. لذلك فانه يتغلب على جميع الأمم ويحكم الكثير منها. وبذلك فانهم يحولون سيوفهم إلى محاريث وسهامهم إلى مناجل، ولا تشهر أى أمة سيفها بوجه أمة أخرى ولا تتجهز للحروب المقبلة.»[1]

وعلى مدى السنوات الأخيرة، لاسيما منذ منتصف القرن العشرين، بذل بعض اليهود المتطرفين المستوطنين في فلسطين المحتلة بمن فيهم «المسيحيون المتصهينون» مرارا محاولات لهدم «المسجد الأقصى». وهؤلاء يصرون على أن بناء المسجد الأقصى أقيم على أنقاض «هيكل سليمان المزعوم».

إن تواطؤ الماسونية العالمية واليهود المتصهينين لهدم المسجد الأقصى ليس بالامر الجديد، بل أن هذه القضية كانت سارية منذ القدم، بينما تتعرض

١. سفر إشعياء، ٢: ٤-٢.

المقدسات الإسلامية في القدس لخطر الهدم والتدمير والزوال. إن هذه الإعتداءات والهجمات، كانت مستمرة طيلة التاريخ ومنذ أن أقام **غادفروى دو بويلون** عام ١٠٩٩م. وفي عهد الملك **بالدوين الأول** معسكرا لجنوده في تلك المنطقة واستحدث فيها مركزا للقيادة وحول المسجد الأقصى إلى كنيسة وسماه هيكل سليمان.

وفي العصر الحاضر، أي منذ أن إحتلت اسرائيل «بيت المقدس» عام ١٩٦٧، يسعى اليهود لتنفيذ مخططهم الرامي لهدم المسجد الأقصى وتسويته بالتراب، ليشيدوا على أنقاضه وبدلا منه هيكل سليمان. إن هذه الهجمات والإعتداءات والمحاولات استمرت على الدوام لهدم المسجد الأقصى، وتكررت لمرات ومرات، ونورد بعضا منها كالآتي:

١. وفي أغسطس ١٩٦٩ قام ميخائيل روهان بأضرام النار في «المسجد الأقصى»؛

٢. وتم عام ١٩٨٠ إكتشاف أكثر من طن من المتفجرات داخل المسجد؛

٣. وقام جندي اسرائيلي باقتحام المسجد الأقصى عام ١٩٨٢ وأطلق النار عشوائيا على المصلين المسلمين فيه؛

٤. وفي ١٢ مارس ١٩٨٢ قامت جمعية «الدفاع اليهودي» الإرهابية بقيادة الحاخام مائير كاهاناي بمهاجمة المسجد الأقصى؛

٥. وعثر الحراس في ٥ مارس ١٩٨٢ على حزمة متفجرات كبيرة للغاية مزروعة بجانب المسجد الأقصى؛

٦. وفي ٢١ مارس ١٩٨٣ كشفت لجنة حماية المسجد الأقصى النقاب عن نشاطات تنظيم وجمعية تدعى «صندوق جبل البيت» [الإسم العبري للقدس] والتي كانت قد تأسست في فلسطين المحتلة وولاية «كاليفورنيا الامريكية» وهدفها تهديم المسجد الأقصى. وكانت جماعة غوش إيمونيم الإرهابية **وجيولا كوهين تنرو** أحد أعضاء الكنيست الاسرائيلي أعضاء في تلك الجمعية وتولى **نيري**

ايزنهاور و**استانلي غولدفت** زعامة هذا التنظيم؛

٧. وفي ٢٦ يناير ١٩٨٤ تم العثور على عدد كبير من الرمانات اليدوية التي كانت معبئة بداخل ست حقائب بجانب المسجد الأقصى؛

٨. وفي ٢٩ ديسيمبر ١٩٨٥ إقتحمت مجموعة من عشرين من أعضاء الكنيست الاسرائيلي يرأسها الحاخام اليعازر والدام، حرم المسجد الاقصى ووصلوا إلى باحته؛

٩. وفي ٩ يونيو ١٩٨٩٦ هاجمت ثلاث مجموعات من «غوش إيمونيم» المسجد الأقصى؛

١٠. وفي ٤ أغسطس ١٩٨٧ كان ثلاثة أرهابيون ينوون تفجير المسجد الأقصى؛

١١. وفي ١ يناير ١٩٨٨ هاجمت قوة يهودية (إسرائيلية) المسجد الاقصى وقتلت ٢٨ مواطنا وأصابت ١١٥ اخرين.

ويتم متابعة هذه المحاولات بشكل حثيث فيما يستمر مشروع العدوان الاسرائيلي على المسجد الاقصى بصورة متسلسلة وبلا نهاية، وكذلك تستمر محاولات اليهود لتهديم المسجد الاقصى وبناء «هيكل سليمان» على أنقاضه، بينما يقوم حراس المسجد الأقصى على الدوام بالمتابعة والمثابرة لكشف المؤامرات وأعمال التخريب هذه.[١]

ويزعم **جان هوغي** المبشر المسيحي الصهيوني العنيد للولايات المتحدة الامريكية:

> إن أورشليم الذهبية تتورط فى تراشق النار الخارق... إننا نتحرك بسرعة بإتجاه آخر الزمان بينما تقع إسرائيل فى عين هذه العاصفة.[٢]

وتعتبر هذه الجماعة معركة هرمجدون، بانها تمثل المعركة النهائية بشأن

---

١. «الماسونية في أثوابها المعاصرة»، صص ١٨-٢١ وكذلك: **طرابلسي، ابراهيم**، «الاسلاميون و القضية الفلسطينية»؛ المؤسّسة الاسلامية للطباعة والصحافة والنشر، الطبعه الاولي، عام ١٩٨٨م.

٢. **سايزر، ستيفن**، «الصهيونية المسيحية»، ترجمة حميد بخشنده، طه للنشر، ١٣٨٦، صص ٣٠٧-٣٠٨.

«أورشـــليم» وتصر على وقوعها ضمن مشروع سياسي وعسكري شامل. ولذلك، ومن أجل كسب ود الرأي العام المسيحي الأوروبي والامريكي والتمهيد الميداني، يفســـرون الآيات المحرفة للمصادر التوراتية بطرق مختلفة ويوصلونها إلى أسماع المتلقين من خلال وسائل الإعلام الحديثة.

ويهرع مستشـــرفو المســـتقبل المنتمون إلى المنظمات الأصولية المســـيحية اليهوديـــة مـــن حيث يدرون أو لا يدرون إلى رفد المحافل الخفية، ويســـعون من خلال التفاســـير المزعومة لتطبيق بعض آيات المصـــادر التوراتية مع وقائع العصر الحاضـــر ويصرون على هـــذا الإدعاء من أن النبوءات الـــواردة في أبواب الكتب المقدســـة، هي على حافة الوقوع، وســـيتم قريبا وعقب اندلا ع حرب هرمجدون الشـــاملة، إعادة بناء «هيكل ســـليمان»، لا بل أن عصر حكم «بني اســـرائيل» العالمي لألف عام ســـيحين على أن يمهد هذا الحكم العالمي الذي يقام عقب معركة دامية تندلع في ســـهل «مجيدو» في فلســـطين المحتلة، لتأسيس مملكة الألفية.

ويحكمون معه لألف عام.[١]

وقـــد تراكمت وانتشـــرت هذه الأوهام فـــي الزوايا المعتمـــة للمحافل الخفية الماســـونية بعد مرور الألفيات وتجاوز التطورات والتغيرات الحاصلة في الديانتين التوحيديتين الموســـوية والعيسوية ووقوع الإنحرافات والإنقسامات الكثيرة بما فيها البروتستانتية اللوثرية وعن طريق التعاليم التلمودية القبالية والمذاهب السحرية، لكي يتسنى لها التحقق في الأرض بمدد إبليس بعد توافر مجالات تحققها.

وقد تحولت فكـــرة نهاية التاريخ وظهور المســـيحي اليهودي المحارب، في الوقت الحاضر إلى فكرة شـــاملة وكاملة للتيار اليميني السياسي المحافظ واليمين المسيحي في الولايات المتحدة الامريكية.

وتناولنـــا في الجزء الخامس مـــن مجموعة «قبيلة اللعنة» وباســـهاب التطلع

١. سفر الرؤيا: ٥:٢٠.

المسيحي الكابالائي وطريقة حقنه في جسد المسيحيين البروتستانت وما بعدهم «الصهاينة المسيحيين» و «الصهاينة اليهود» للعصر الجديد، وندعو عامة الراغبين لدراسة هذا الفصل.

وبيّنا هناك أن إعادة تأهيل الفكرة اليهودية القبالية المتمثلة في «ظهور المسيح» في نحلة «البروتستانت الإنجيلي»، كانت توحي للمسيحيين الناقدين والمعترضين على الكنيسة الكاثوليكية أن الخارطة الإلهية العامة تنطوي على قدر إقامة الدولة الاسرائيلية في «أورشليم»، ومع تأسيس هذه الدولة، سيهبط المسيح الموعود لبني اسرائيل في الأرض المقدسة. ولذلك يمكن القول أن حركة «اليهودية الصهيونية» تقوم على أكتاف البروتستانت الإنجيليين والتطلع المسيحائي.

ويقول الدكتور **ستيفن سايزر**،[1] مؤلف كتاب «الصهيونية المسيحية» والذي كان هو رئيس الجمعية الدولية للكتاب المقدس في بريطانيا ومن الأعضاء المؤسسين لجمعية الدراسات الصهيونية المسيحية، مستندا إلى بعض المصادر:

> وخلال القرون التسعة عشر الماضية، كان اليهود المتدينون (؟!) يبتهلون ثلاث مرات فى اليوم: إلهى! إنا نسألك أن يتم إعادة بناء هيكل سليمان فى عصرنا على وجه السرعة.
>
> ويزعم رندال برايس أن «التوراة» تكلف اليهود، بإعادة بناء الهيكل كلما أمكن. (سفر الخروج ٨:٢٥) ...

إن التخطيط الذي يمارسه اليهود والماسونيون لتعميم ونشر الكفر والإلحاد يتم بطريقة يستفيد منها اليهود فحسب، لان تحول الناس إلى الكفر وتخليهم عن الدين، سيبقى قلوبهم خاوية من الإيمان بالله. ويستغل هؤلاء هذه الفرصة، ليجعلوا بديلا لذلك في قلوب الناس. وهذا البديل ما هو إلا ذلك الذي يعتبرونه، النور الحقيقي والإيمان باليهودية والديانة التي يدينون بها.

وتؤكد أحد البروتوكولات اليهودية، هذا الموضوع. ووردت قضايا في

1. Stephen R.Sizer.

«البروتوكول العاشر» ما مضمونها:

وعندما ننفذ ثورتنا وانقلابنا السياسي وننجزه بالتمام والكمال، سنقول للجمهور: «إن كل شئ كان في أسوأ حالاته وظروفه، وكلكم قاسيتم من تلك الظروف، إننا سنزيل الان سبب وعلة معاناتكم التي كانت تتمثل في النزعة الطائفية والعرقية، لكنكم وبلا شك، أحرار من وجهة نظرنا، لكن هل تقدر حكومتكم أن تكون من دون عيب وثغرات ونقص قبل أن تتحلوا أنتم بالتخصص والوعي والعلم تجاهها، إننا قادرون على تحمل مسؤولية الحكم عليكم وأن نعمل من أجل خيركم ومصلحتكم.

وعندها فان الذين عقدوا الأمل علينا وسعداء بهذا العمل، يرفعوننا على الأيادي وهم يشعرون بالنصر وتسود سلطة التصويت (الديمقراطية) التي لقناها للأناس التافهين والجهلة، بين المجموعات المنتظمة وستضطلع بدورها النهائي، وهذه السلطة (أصوات كتلة الشعب) التي تمسكنا بها واعتلينا من خلالها العرش وكرسي الحكم، ستؤدي للأسف ما عليها لنا.[١]

إن إستطلاع الرأي الذي أنجزته غالوب بسبع سنوات بعد عام ١٩٩٦م. على وجه التحديد لتقييم الآراء حول سيادة بني اسرائيل على جبل الهيكل، أظهر أن ٥٨٪ من الإسرائيليين في ذلك الحين، دعموا [المؤسسة اليهودية] «مؤمنو جبل الهيكل» وإعادة بناء هيكل اليهود.[٢]

ويرى **ليندزي**، وهو الشخصية النموذجية لمستشرفي المستقبل المسيحيين الصهاينة أنه:

أكانت ثمة عقبة أم لم تكن، فان هيكل سليمان سيتم إعادة بنائه على وجه الدقة. إن التنبؤ هو اللازم لتحقيقه... وفضلا عن ذلك، فان اليهود سيولدون مرة أخرى في أرض فلسطين وتصبح أورشليم القديمة بعد ٢٦٠٠ عام،

١. «بروتوكلات حكماء صهيون»، ص ١٦٢.
٢. **سايزر، ستيفن**، «الصهيونية المسيحية»، ص ٣١٤.

مرة أخرى تحت السيطرة التامة لليهود ويجرى الحديث عن إعادة بناء الهيكل الكبير، إذ تمثل بالنسبة لنا أهم علامة على العودة القريبة لعيسى المسيح.[١]

وتسعى «الماسونية العالمية» مستعينة بالأداة العصرية لإفساد جميع ميادين الحياة المادية والثقافية لسكان العالم، لكي يتم في ظل إنتشار وتعميم الكفر والإلحاد والفجور، إفراغ قلوب الأمم من الإيمان من جهة، كما تسعى من جهة أخرى لتقديم نفسها كمخلص ومنقذ للبشرية من العواصف العاتية الناتجة عن الأزمات السياسية والاقتصادية والعسكرية، وترى أن تأسيس حكومة بني اسرائيل الكونية، يشكل آخر سبيل للخلاص والنجاة من الأزمة. حكومة مستبدة تخرج من تحت رماد الحروب العالمية المدمرة وفتنة «هرمجدون».

نعم، إن اليهود يبذلون قصارى جهدهم للقضاء على جميع الديانات ونشر الإلحاد والكفر والفوضى في جميع بلدان العالم على يد وكلائهم.

ونورد فيما يلي جزء من أقوال هؤلاء اليهود الذين كشفوا النقاب عن أهدافهم بشكل صريح:

وجاء في «البروتوكول الرابع عشر»:

عندما نكون أقوياء، سنكون نحن أسياد الأرض وحكامها.

ولن نسمح لأى دين كان، سوى ديننا، للعمل. إن ديننا يعتبر الله واحدا ومن حسن حظنا، لقد اخترنا نحن لنكون أتباع هذا الدين، وأن مصير العالم مرتبط بهذا الدين.

ولهذا السبب، يتحتم علينا إزالة جميع العقائد والديانات. والنتيجة المؤقتة لهكذا عمل تتمثل فى إيجاد عدد غفير من الكفرة والملحدين الذين يزداد عددهم يوما بعد آخر. إن هذا لا يمس هدفنا، بل سيكون هؤلاء عبرة للأجيال اللاحقة ويتحولون إلى مثل يضرب للناس. وستصغى الأجيال

١. **سايزر، ستيفن**، «الصهيونية المسيحية»، ص ٣١٥.

القادمــة لتعاليمنا القائمة على دين موســى، بينما نحن اليهود متمســكون بديننا ومعتقدنا. إن جميع شعوب العالم يجب أن تخضع لهيمنتنا.[١]

ويتضح من خلال وقفة تأمل في هذه الكتابة أن:

أ: إن اليهود يبذلون قصارى جهدم ويســتخدمون جــل طاقاتهم وتنظيماتهم السرية بما فيها الماسونية، ليبسطوا حكمهم وسلطتهم في أرجاء الأرض؛

ب: إنهم وبمجرد الإمساك بالسلطة وتحولهم إلى حكام الأرض، لن يسمحوا لأي ديانــة عدا الديانــة اليهودية، بالعمــل والظهور، لانهم يؤمنــون بان الديانة اليهودية، هي الديانة الوحيدة التي تؤمن بوحدانية الله وأن أســاس هذا الدين قائم على التوحيد.

١. «بروتوكلات حكماء صهيون»، صص ١٨٤-١٨٥.

الأسس الفكرية والثقافية للماسونية

إن الواقعة التي لا يمكن المرور عليها مرور الكرام، هي صياغة «الموسوعة التنويرية الفرنسية الكبرى». وقد أقدم المثقفون الإنسانويون الفرنسيون في القرن الثامن عشر وإبان الثورة الفرنسية وعصر التنوير، على تأليف وإصدار «الموسوعة الفرنسية» في خطوة لترسيخ مبادئهم وتنظيم أكبر المصادر الثقافية في عصرهم. وكان أصحاب الموسوعة قد إلتأموا برئاسة **ديدرو** (١٧١٣-١٧٨٤م.). وكانوا ينوون بداية ترجمة موسوعة «تشيمبوز» إلى الفرنسية، لكن هذا لم يتحقق، وعليه لجأوا إلى التأليف.

وكان هذا الفريق يضم كلا من: **دالامبير وفولتر** (١٦٩٤-١٧٧٨م.) و**مونتسكيو** (١٦٨٥-١٧٥٥م.) و**جان جاك روسو** (١٧١٢-١٧٧٨م.). وبالرغم من أن إصدار هذا العمل، تأخر بعض الشئ لدواع سياسية، لكنه صدر في النهاية بصورة سرية.

وتم تأليف هذه الموسوعة في أهم منعطف للتاريخ الغربي أي القرن الثامن عشر لتضم في عصر التوجهات الفلسفية الخاصة ومن ثم زمن الإعراض عن الدين، الأفكار الحديثة للفلاسفة والعلماء ومستكشفي العالم الحديث والسياح والمؤرخين، وتتحول إلى مصدر قابل للإستناد لتدعيم الأسس الثقافية للتيار التنويري الأوروبي.

وتم في هذا العصر ومن خلال هذا العمل الضخم، تقديم الأفكار الفلسفية

لكل من **بيكن وديكارت وهوبز ولوك وباركلي واسبينوزا و...** وكلذك الأفكار العلمية **لكوبرنيك وساليوس وكبلر وغاليليو** وديكارت و**نيوتن وأفكار السياح والآخرين.**

ويشكل الأدب الفرنسي أحد أسباب أثر هذا العمل وإضطلاع فرنسا بدور في الحقل الثقافي للغرب بالقرن الثامن عشر.

إن النفوذ الصناعى الفرنسى فى القرن الثامن عشر فى أوروبا لم يكن كبيرا. لكن أثر أدبها كان أكبر بكثير. وكانت باريس تعد فى القرن الثامن عشر، بمنزلة دماغ أوروبا، وكانت اللغة الفرنسية تعد اللغة الدولية تقريبا. ويقول أحد الشعراء الإيطاليين عام ١٧٥٨ للميلاد:

«إن اللغة الفرنسية كانت وسيط التواصل بين الشعوب، لانه حيثما ذهبنا، فانهم يقرأون الفرنسية ويكتبونها.»[١]

وعلى الرغم من أن التطورات الفكرية والثقافية للتاريخ الغربي الحديث، بدأت من «إيطاليا» بيد أن «فرنسا» القرن الثامن عشر، إضطلعت بدور لا يمكن إنكاره في بسط هذه الثورة الفكرية لتغطي الطبقات الثقافية وتغير العلاقات والتعاملات السياسية والحقوقية والإجتماعية.

إن أعمال كتاب القرن الثامن العشر الفرنسيين، تختلف تماما عن أعمال القرن الذى سبقه.

ولم يكن الأدباء يهتمون بالصناعة، ولم يطلبوا الأدب من أجل الأدب، بل اعتبروه وسيلة وأداة للتعبير عن آرائهم السياسية ودرسوا الإنسان من حيث إنتمائه للمجتمع والعلاقات والدولة ووجهوا بحوثهم نحو هيكل الدولة. وقاموا بتحليل كافة الآراء السياسية التى ورثوها من الأجيال السابقة والتى كانت واجبة الإتباع والطاعة ككتاب منزل، واحدة واحدة، ونظروا إليها بنظرة نقدية وميزوا الصائب عن السقيم والجميل عن القبيح، وعرضوا بدلا من المبادئ السياسية المنسوخة، مبادئ جديدة تحولت

---

١. **ماله، آلبر – إيزاك، جول**، «تاريخ القرن الثامن عشر للثورة الفرنسية الكبرى وإمبراطورية نابليون»، ترجمة **رشيد ياسمي**، مكتبة إبن سينا، الطبعة الرابعة، ١٣٥٧هـ .ش.، ص ٢٩٦.

إلى أساس للتنظيم الجديد.[١]

إن ما يشـــير إليه كتاب تاريخ القرن الثامن عشـــر والثورة الفرنسية **كنظرة نقدية لمبادئ ومعتقدات الأقدمين**، يمثل في الحقيقة إعراضا عن التقاليد الدينية والإنطباعات الوحيانية وإحلال التقاليد الإنسانوية والعلمانية للعصر الغربي الحديث محلها والتي ترسخت تحت عنوان «المبادئ الحديثة».

ولا ننســـى أن تراث الســـلطنة المطلقة والإمتيازات الطبقية الخاصة في القرن الثامن عشر، كان لها بالغ الأثر في تحول التوجهات السياسية والاجتماعية للعلماء الفرنســـيين. وعليه يمكن إســـتنباط أن دعائم النظم السياسية والاجتماعية والنظام القانوني قد ترسخت بين الجماهير في العصر الفرنسي الجديد.

وانقســـم خلفـــاء مفكرى القرن الســـابع عشـــر بمـــن فيهم وبـــان وفنلون ولـــوك، إلـــى فئتين من العلماء بالقرن الثامن عشـــر: فئة الفلاســـفة وفئة علماء الإقتصاد. وانصبت جهود الفلاســـفة على دراســـة القضايا السياسية والأخلاقية والدينية والاجتماعية، وثلاثة من مشـــاهيرهم هم مونتســـكيو وفولتير وروســـو برزوا أكثر من غيرهم، فيما أصبح كِســـنى[٢] وغورنى[٣] أشـــهر علماء الإقتصاد، إذ سلطا الضوء على مبادئ الثروة وظروف العمل والصناعة والتجارة ونظم الضرائب.

أما اللغويون أو الموســـوعيون فيمكن إدراجهم فى فئة الفلاسفة وكذلك فى صنف علماء الإقتصاد.

وإصبـــح دالامبير وديدرو من زعماء هؤلاء الموســـوعيين وكانا يعتبران رواد النهضة المعاكســـة للمبادئ القديمة ورافعى راية ترويج المعتقدات الجديدة.[٤]

---

١. المصدر السابق، ص ٢٩٧.

2. Quesnay.

3. Gournay.

٤. **مالـــه، آلبـــر – إيزاك، جول**، «تاريخ القرن الثامن عشـــر للثورة الفرنســـية الكبـــرى وإمبراطورية نابليون»، صـــص٣٠٠-٣٠١.

إن هذه العبارة التـــي أطلقها **تورغو** (١٧٢٧-١٧٨١م.) الذي كان قبل توليه الوزارة، أحد الكتاب الموسوعيين، تبين أحوال علماء هذا القرن بالكامل:

إن حقوق الأفراد الذين يشكلون مجتمعا ما، لا تقوم على الماضى التاريخ، بل مبنية على الطبيعة البشرية.

وكان جميع علماء هذا العصر، يعتبرون العقل، مرشـــدا ودليلا لهم وكانوا بصـــدد إلغاء جميع مبـــادئ الأقدمين وجعل العقل يعتلـــى العرش. ويقول دالامبير فى مطلع القرن:

"إن الحكمـــة تعنـــى معرفة الحقـــوق الحقيقية للعقل وإعـــادة قدرة العقل المفقودة إليه ورفع طوق الهوامش وسلطة أصحاب الحكم والزعامة عن عنـــق الأفـــكار والآراء». ويمكن فى الحقيقة إعتبار هذه العبارة، شـــعارا لمفكرى القرن الثامن عشر.[١]

إن عدم درك الشرقيين، لهذا التعبير والأسس النظرية الداعمة له، أدى بهم إلى عـــدم تقربهم من الغرب (بالمعنى الحقيقي للكلمة) رغم كل الجهود والمحاولات والتكاليف التي أنفقت، وأن يظلوا يراوحون من منطلق الإنفعال في موقع بين الشرق والغرب. إنهم فســـروا إعتماد النزعة الغربية بمنزلة تقليد الغرب وشـــراء المحاصيل التكنيكية الغربية بدلا من إعتبار أن ذلك يحصل في الميدان الثقافي بمعنى عقلنة العلاقات، وفي الوقت ذاته، إســـتغفلوا تماما حقيقة الشـــرق أي النزعة إلى الدين، لذلك، فان سكان الشرق لم يصبحوا لا عقلانيين ولا دينيين.

وقد امتنع مؤلفو الموســـوعة في المجلد الأول منها، عن مهاجمة الدين. وفي المجلـــد الثالث، هاجموا المســـيحية، لكنهم غلفـــوا هجومهم بغلاف معتقدات الديانة المسيحية الأصيلة.

وكان المؤلفون [الموسوعيون] يأملون أن يرسوا فى ثمانية مجلدات من الموسوعة، الهيكلية الفلســـفية المتكاملة على هذا المبدأ: الدين الطبيعى

---

١. **مالـــه، آلبـــر - إيزاك، جول**، «تاريخ القرن الثامن عشـــر للثورة الفرنســـية الكبـــرى وإمبراطورية نابليون»، صـــص٣٠٠-٣٠١.

الذى يعد فيه الله المسبب الأزلى الوحيد؛ وعلم النفس الطبيعى الذى يعد فيه الذهن، نتاج وظاهرة الجسد؛ والأخلاق الطبيعية التى تعد فيها الطيبة، الواجب المتبادل بين الأناس، لا واجب الإنسان تجاه الله.[1]

وتمت إعادة طباعة الموسوعة ثلاثة وأربعين مرة على مدى خمسة وعشرين عاما، والتى كانت غير مسبوقة بالنسبة لمجموعة بهذا الثمن الباهض.

... وكانت بشارة العقل مقابل الأساطير [الأمر المقدس] والعلم والمعرفة مقابل الجزمية [الدينية] والتقدم [التنمية] عن طريق التعلم، يجول أرجاء أوروبا كالسحاب الماطر ويحطم التقاليد ويحث الأذهان على التفكير ويحضر الناس للنهضة والتمرد. وكانت الموسوعة، ثورة قبل الثورة الفرنسية.[2]

وكانت «الموسوعة» تتولى كعمل ثقافي وفلسفي، صياغة وتنظيم جميع إنطباعات وإستنتاجات العصر الجديد في إطار عمل يمكن أن يحظى بقبول وإقبال عامة الجماهير.

إن الهبوط بالدين والحقيقة الدينية إلى مستوى الدين الطبيعي الذي لا ينطوي على أي تكليف وشريعة سماوية، هو بمنزلة الهبوط بالإنسان إلى مستوى البهيمة الفاقدة للروح المجردة والماورائية وإصطناع النسبية الأخلاقية والحط من قدر النشأة الثابتة والمطلقة للأخلاق الدينية، الأمر الذي يجلب معه، العلمانية والليبرالية ومذهب الإصلاح في جميع الميادين الثقافية، ويدفع بالتاريخ الغربي العصري بإتجاه تجربة العصرنة والحداثة في الميادين الثقافية والحضارية.

إن الموسوعة وحسب البيان الذى بشر بصدورها، كانت عبارة عن قائمة الجهود والمساعى التى بذلها العقل البشرى فى القرون السالفة لمعرفة

---

١. **موسوي، حميد**، «الفلسفة في عصر التنوير» (مقال)، الموقع الإلكتروني:
www.farashenakht.blogfa.com

٢. المصدر السابق.

المسائل المختلفة، بعبارة أخرى، كانت ثقافة شاملة ومفضلة تحوى جميع معطيات ذلك العصر وتتحدث عن كل شاردة وواردة وصغيرة وكبيرة. بدء من تصنيع مستحضر تجميل الوجنتين وصولا إلى ترتيب الدول وتنظيم الشرائح الإجتماعية.[١]

ويقر عامة الباحثين بأثر الموسوعة على الثورة الفكرية والثقافية الفرنسية، فضلا عن ضرورة التذكير بان أصحاب «الموسوعة» كانوا جميعهم ماسونيين.

لقد أخرجت فرنسا على يد ديدرو ودالمبير وهلفاتيوس وكندرسة وغيرهم. إن هذه النهضة الفكرية، تركت أثرا بالغا ومعمقا على عقلية هيئة فرنسا ما قبل الثورة، إن هذا المعجم الكبير (الموسوعة) كان بمنزلة البرنامج الفكرى للبنائين الأحرار، فى الفترة التى سبقت هذا التاريخ، أى منذ تأسيس غراند أوريان [الشرق الأعظم] عام ١٧٣٧ للميلاد، إذ اقترح الفارس رامسى فى كلمة شهيرة له فى تلك الحقبة، أن يتعاون الأساتذة الكبار فى جميع الأمم ويحفزون هذه الأمم على إعتناق الأخوة، وأن يقوموا وفى ظل الدعم من الأساتذة الكبار، بصاغة ثقافة شاملة تنطوى على جميع الفنون والعلوم المفيدة والحرة. وما أن تم ضبط وتنظيم غراند أوريان واستطاع بلاط «بروس» الإمساك بزمام الأمور، ألهم قادة سريون وخفيون، ديدرو ورفاقه الذين كانوا بمجملهم من البنائين الأحرار، بان ينقلوا ثقافتهم الكبرى من حيز النظرية إلى مرحلة التطبيق، وعملوا على تعزيزهم ماديا ومعنويا. وانتشرت هذه الثقافة الكبرى وبالعلوم والمعارف الجديدة فى المجتمع الفرنسى، وقضت بذلك على المبادئ والتقاليد والعبارات القديسة وطعنت بالمعتقدات والخرافات الدينية، بحيث اضطرت الحكومة الفرنسية للتدخل وأوقفتها عند حدها.

أن يكون إصدار الموسوعة في القرن الثامن عشر، من عمل البنائين الأحرار،

---

١. **ماله، آلبر – ايزاك، جول**، «تاريخ القرن الثامن عشر للثورة الفرنسية الكبرى وإمبراطورية نابليون»، ص ٣١٠.

أمر لم ينكره البناؤون الأحرار أنفسهم، بل أنهم افتخروا به، ويمتدحون التذكير به، بما في ذلك قول البناء الحر، بربند، الذي أدلى به في «مؤتمر غراند أوريان» عام ١٩٠٤ للميلاد، إذ قال:

وكانت الموسوعة قد ارست فى القرن الثامن عشر فى معابدنا، هيئة حماسية وملحمية، وكانت الهيئة الوحيدة فى ذلک العصر الذى لم يكن الناس يعرفون فيه شيئا، أطلقت شعار الحرية والمساواة والأخوة المطنطن، وأثمرت البذرة الثورية التى زرعها أولئک الرجال الصفوة بسرعة، وأكمل أخواننا، البناؤون الشهيرون، دالمبير وديدرو وهلفاتيا [هلفاتيوس] وأولباخ وفولتير وكندرسة تحول وتطور العقول وأعدوا التحضيرات للعصر الجديد، وما أن سقط «الباستيل» تمثل الفخر الرفيع للبنائين الأحرار فى أن ذلک القرار الذى أطلقوه بخلوص نية، وهبوه لعالم الإنسانية وتمثل فى إعلان حقوق الانسان.[١]

وتقدم «الموسوعة الكاثوليكية» معلومات مهمة في مهمة «الشرق الأعظم» [غراند أوريان] المناهضة للدين أو الماسونية الفرنسية ذاتها:

ويستشف من الوثائق الرسمية للماسونية الفرنسية الموجودة بصورة رئيسية فى النشرة الخبرية الرسمية للشرق الأعظم أن جميع اللوائح المناهضة لرجال الدين التى صودق عليها فى الجمعية الفرنسية، كانت قد صيغت قبل ذلک فى المحافل الماسونية ونفذت تحت إشراف مباشر من الشرق الأعظم، وهدفها السافر تمثل فى السيطرة على كل شخص وكل شئ فى فرنسا.

إن تصريحات ممثل مَسه[٢] بعام ١٨٩٨ للميلاد، هى تصريحات المتحدث الرسمى لجمعية عام ١٩٠٣ الميلاد، إذ يقول:

إن أسمى واجب للماسونية، هو التدخل المتزايد فى النضالات السياسية

---

١. **عنان، محمّد عبدالله**، «تاريخ الجمعيات السرية والحركات الهدامة»، صص ١٣١-١٣٢.

2. Masse.

والمناهضة للدين. إن النجاح (فى النضال ضد رجال الدين) رهن إلى حد كبير بالماسونية، لان نية الماسونية وبرنامجها وأساليبها هى التى انتصرت.[١]

وتواصل «الموسوعة الكاثوليكية» تقريرها حول مكافحة الماسونية الفرنسية للدين، هكذا:

إن جميع الإصلاحات التى نفذها الماسونيون تحت مسمى مناهضة رجال الدين، منذ عام ١٨٧٧ للميلاد فى فرنسا بما فى ذلك جعل التعليم غير دينى والقيام باجراءات ضد المدارس المسيحية والمؤسسات الخيرية الخاصة وقمع التعاليم والأوامر الدينية ونهب الكنائس فى إعادة التأهيل المناهض للمسيحية والدين للمجتمع الإنسانى، بلغت فى الحقيقة أوجها ليس فى فرنسا وحدها بل فى جميع أرجاء المعمورة. وبذلك، فان الماسونيين الفرنسيين بصفتهم حاملى راية جميع الماسونيين يزعمون أنهم البادئين بالعصر الذهب للحكم الكونى للماسونية، وأن جميع الأناس والبلدان ينتمون لعضوية الأخوة الماسونية. وقال أستاذ محفل الشرق الأعظم السيناتور دلبش[٢] فى ٢٠ سبتمبر ١٩٠٢ للميلاد:

«إن التفوق الجليلى[٣] [الإسم الذى كان يطلقه المشركون على السيد المسيح] إستمر عشرين قرنا، لكنه يزول اليوم بدوره... وقد أرسيت كنيسة روما على أساس الأسطورة الجليلية، لكنها تراجعت يوما بعد يوم مع استقرار الجمعية الماسونية».[٤]

---

١. **يحيى، هارون**، «الماسونية العالمية»، المصدر السابق، ص ١٦٨؛ نقلا عن:
The Catholic Encyclopedia, Masonary, new advent.

2. Delpech.

3. Galilean.

٤. **يحيى، هارون**، «الماسونية العالمية»، المصدر السابق، ص ١٦٨.

صياغة النظام التأسيسي

إن صياغة النظام التأسيسي حوّل التنظيم الماسوني من هيئة مهنية علمية إلى تنظيم سياسي ليواصل عمله في إطار أهداف البلدان الأوروبية وإتحاد «الصليب وصهيون».

إن أى مجتمع يتبلور من خلال إعتماد مبادئ وقواعد محددة. ولذلک، وبناء على طلب الدوک فيليب دو وارتون[1] الأستاذ الأعظم لمحفل لندن الكبير، تم صياغة النظام التأسيسى للماسونيين ونشر عام ١٧٢٣ للميلاد. وكان الدوک دو وارتون قد استهل طلبه هكذا:

«إن أمرنا يقضى بقبول واعتماد هذه النظم التأسيسية فى كافة المحافل الخاصة التابعة لنا وأن يتم قبولها من قبل الماسونيين بوصفها النظام التأسيسى الوحيد واستخدامها فى تعليم وتدريب الأخوة الجدد...»

وعرف هذا الكود الماسونى بـ«نظام أندرسون التأسيسي»[2] والذي أخذ من إسم القس وعالم الانساب الاسكتلندي جيمز اندرسون الذي كلف بصياغة الوثيقة، لكن عددا من الأخوة ساعدوا أندرسون في عمله، من بينهم مفكر متنور يدعى جان تيوفيلوس دزاغولية،[3] الذي كان بلاشك الكاتب والمؤلف الرئيسي.

---

1. Duc Phililp de Wharton.
2. Constitutions d›Anderson.
3. John Theophilus Desaguliers.

إن هذا القس الذى كان إبن قس أيضا، ولد فى «لاروشل[1] الفرنسية» لكنه هاجر إلى بريطانيا عام ١٦٨٥ بصحبة أبيه وأمه. وحصلت هجرة الأسرة هذه فى أعقاب الإلغاء المذهل والمحزن لـ«أمر نانت»[2] على يد لوى الرابع عشر (وقد صدر هذا الأمر من قبل هنرى الرابع بهدف تشريع الكنيسة البروتستانتية فى عام ١٥٩٨ الميلاد). وكان دزاغولية رجل قانون وعالما فيزيائيا وصديقا قريبا من نيوتن وعضو الجمعية الملكية[3] والقس الخاص للكنيسة الصغيرة للأمير «غال»[4] وأصبح فى النهاية كبير أساقفة الكنيسة البروتستانتية.

وبادر هذا النظام التأسيسى فى البداية، بجمع وصياغة أقسام من المهام القديمة بما فيها المخطوطات اليدوية لأرشيف «يورك»[5] و «رجيوس»[6] والمتعلق بالعام ٩٦٠ للميلاد، وأقسام أخرى وأصبح علنيا فى القرنين الرابع عشر والخامس عشر. وركزت هذه المجموعة فى البداية على الأسرار والرموز الدينية ومن ثم استلهمت من مواقع قوة الفلسفة التنويرية للقرن الثامن عشر. ووفقا لمبادئها وقواعدها التى كانت تسمى العناوين الرئيسية،[7] فان الأعضاء كانوا مكلفين باتباع ومراعاة النقاط التالية:

- الإيمان بالله الذى هو المهندس الأعظم للكون؛
- إعتماد أداة البنائين بمفردات فلسفية وأخلاقية؛
- يمين كتم الأسرار؛
- التقيد بعلائم التشخيص (المفردات والحركات واللمس والمصافحة)؛

1. Le Rocheelle.
2. Nantes.
3. Royal society.
4. Prince de galles.
5. Cooke.
6. Reguis.
7. Landmarks.

– التسامح مع كافة الأديان، لكن منع الملحدين والنساء والعبيد والخدم من الدخول إلى المحافل؛

– إعلان الوفاء للملك؛

– إقامة مراسم تعليم المتدربين وتعريفهم على المعلومات الرمزية، الأمر الذى له علاقة بدرجات المتدربين والرفاق.

إن النهضة الماسونية انتشرت بسرعة بسبب إتصافها بالاريستقراطية وطريقة تفكيرها. وحتى أنه ساد بين أعضاء الأسرة الملكية أن يحظوا بالقبول من قبل النهضة. وانخرط كبار قساوسة الديانة المسيحية البريطانية، فى عضويتها فوجا فوجا، ولم يهتموا بصمت كنيستهم المصحوب بالتذمر. وغيروا فى عام ١٧٣٨ للميلاد، الأنظمة التأسيسية لعام ١٧٢٣ للميلاد وأدخلوا عليها تعديلات، لانهم كانوا يطالبون بعودة الحركة من جديد إلى المسيحية. وفى فرنسا ورغم الصمود فى وجه تعنت الفاتيكان، أصدرت الحكومة أمرا بمراقبة نهضة الماسونية التى كانت تتشكل، لانها كانت تخشى أن تظهر الجانسينية[1] مرة أخرى فى البلاد، أو أن يتوغل المتواطئون التابعون لأسرة استوارث هناك عندما كانوا يتعبون تدريجيا من الإرتباط ببريطانيا.

وبناء على ذلك، أخذ الماسونيون من أصحاب النظر فى العصر الحاضر، جزء من فلسفتهم من جوهر عصر النهضة وعصر التنوير وأخذوا جزء من قواعدهم العقائدية من عمال العصور الوسطى الذين نشأوا على المسيحية، لكن كلا من الماسونيين أكانوا من أصحاب النظر أو أصحاب التطبيق،

١. الجانسينية هو مذهب لاهوتي كاثوليكي دعي نسبة لداعيته الأسقف الهولندي جانسينوس. وانتشر هذا المذهب في المحافل التنويرية والدينية في ذلك العصر، لاسيما في معبد «بورورويال» Port-Royal حيث أصبح مهد الجانسينية.

إن الجانسينية هو في الحقيقة أرثوذكسية متطرفة للمذهب الكاثوليكي استلهم من أفكار أغوستيني ومثل الحركة الدينية والفكرية أصلا للطبقات العليا في المجتمع الفرنسي بالقرن السابع عشر. إن أتباع الجانسينية، يحتقرون أي زمان ويحملون تشاؤما غامضا تجاه أي إلتزام سياسي. وهذه الطائفة كفرّها الكاثوليك.

يندرجون فى سلسلة إنسانية طويلة، تطرح على الدوام على نفسها تساؤلات حول مغزى الحياة، وتسعى للإجابة على هذه التساؤلات.[١]

١. **شابو، جاك،** «ماسونية التاريخ، أسطورة وحقيقة» ترجمة حسن رواندي، طهران، شركة كتب الجيب المساهمة، الطبعة الأولى، ١٣٨٦هـ .ش.، صص ٣٢-٣٦.